د. السيد أحمد مصطفى عمر

البحث الإعلامي

مفهومه وإجراءاته ومناهجه

الكتاب الأول

منشورات
جامعة قاريونس
بنغازي

البحث الإعلامي

مفهومه وإجراءاته ومناهجه

البحث الإعلامي

مفهومه وإجراءاته ومناهجه

الكتاب الأول

د. السيد أحمد مصطفى عمر
قسم الإعلام - كلية الآداب والتربية
جامعة قاريونس

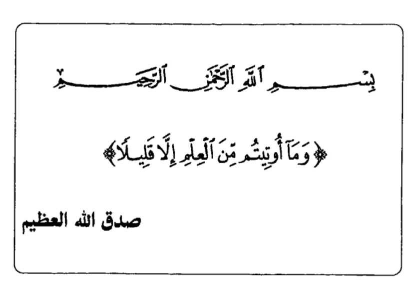
منشورات


بنغازي

الطبعة الأولى

1994




بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾
صدق الله العظيم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تقديم

تتزايد النظرة إلى الإعلام، باعتباره مهنة تستند إلى علم، وتتوسل بنظرياته في التطبيق. ويلزم دارسو الإعلام شأنهم شأن غيرهم في العلوم الأخرى تعميق فهمهم للنظريات العلمية التي يقوم عليها الإعلام بمختلف وسائله وفنونه. ومما يساعد بصورة مباشرة في تعميق هذه الأصول العلمية، البحث العلمي الذي يقع عليه الدور الأكبر.. حيث تنتقل أساسياته من العالم والأستاذ إلى الدارسين في حجرات الدراسة، الذين يجب أن يكونوا بعد تأهيلهم، قادرين على البحث العلمي.

والبحث العلمي في مجال الإعلام، يهدف إلى تنمية المعرفة الجديدة. ذلك أن أي تطبيق لمعرفة جديدة ينطوي على تغيير. والتغيير الإعلامي المضبوط نحن أحوج ما نكون إليه في مجتمعاتنا العربية.

بيد أن هذا التغيير، لا يكون جميعه نتيجةً للبحث الإعلامي. بل قد يكون الحافز الأول له، انطلاقةً ثقافيةً جديدةً أو رغبة في التطور الاجتماعي.. والتغيير في هذه الحالة يجب أن يستتبعه البحث العلمي حتى يؤكده ويدعم أساسياته.

والإعلام كأحد مجالات البحث العلمي، يمكن أن ينقسم إلى مضمون ودور وأثر.. كما يمكن تقسيمه إلى تاريخ وتطور وبنية.. ومهما تعددت التقسيمات فإن عناصر العملية الاتصالية كلها هي محل البحث العلمي في مجال الإعلام.

فالدراسة العلمية في مجال الإعلام ومسائله، حاجة اجتماعية أكيدة من حاجات هذا العصر الذي نطلق عليه عصر الاتصال. وأكبر ما تتطلبه الدراسة العلمية في هذا المجال الفهم العميق للبحث الإعلامي، والتمكن من طرائقه وخطواته وأساليبه وأدواته.

وإذا نظرنا إلى ميدان البحث الإعلامي في وطننا العربي، وجدنا نقصاً واضحاً في المراجع العربية التي تتناول مناهج البحث في مجال الدراسات الإعلامية. والذي يمكن أن يسترشد بها الباحثون في هذا الميدان. وعلى الرغم من كثرة البحوث والدراسات الإعلامية.. إلا أن الباحثين ظلوا ولسنوات طويلة يعتمدون على المراجع والكتب التي تناولت مناهج البحث بصفة عامة أو تلك التي تناولتها في مجالات العلوم الاجتماعية الأخرى بصفة خاصة..

ولهذا فإن هذا الكتاب الذي نقدمه للمكتبة العربية سيقدم العون ـ بإذن الله ـ للطلاب الدارسين في ميادين الإعلام المختلفة عند اطلاعهم بمهمة البحث العلمي.. خاصة أولئك الذين يقبلون لأول مرة على الدراسة والبحث العلمي حيث يمكنهم من تبصر معالم الطريق في هذا المشوار العلمي الشاق.

إن الهدف من هذه المساهمة العلمية المتواضعة التي وضعتها في هذا الكتاب، هو غرس واحترام الروح العلمية للبحث والتعريف بالطرق والأساليب المستخدمة في حل المشكلات العلمية.. وقبلها كيف يتم تحديد المشكلات وتكوين رؤية فرضية عنها؟ وما هي الأساليب والإجراءات والأدوات اللازمة لدراستها؟.

أما عن محتويات هذا الكتاب.. فهو يضم بالإضافة إلى التمهيد، اثني عشر فصلاً وخاتمة وعدداً من الملاحق.

ففي تمهيد الكتاب، يقدم المؤلف رؤية تاريخية لتطور المعرفة، وذلك عبر عرض سريع ومركز لمسيرة الإنسان نحو المعرفة.. منذ بدء الخليقة..

حتى مرحلة المعرفة العلمية المقننة بمناهج وطرق وأساليب علمية، وذلك من خلال عرض لجهود العلماء الأوائل الذين ساهموا في بناء هذا النشاط الإنساني الذي يهدف إلى معرفة الحقيقة.

ويجيء الفصل الأول من هذا الكتاب مدخلاً لموضوعه، الذي يتناول البحث الإعلامي من حيث مفهومه وأهدافه ومقوماته. وفيه نعرض لمفهوم البحث الإعلامي بصفة عامة.. ومفهومنا له في مجالات دراسته. فنقدم مفهومنا للبحث الإعلامي التاريخي، والبحث الإعلامي الوصفي، والبحث الإعلامي شبه التجريبي.. والبحث الإعلامي التجريبي.

أما الفصل الثاني من هذا الكتاب، فيتناول تعريف المفاهيم والمصطلحات في بحوث الإعلام. وتفصيلاً يتعرض هذا الفصل بشيء من التركيز لأهمية وضع تعريفات للمفاهيم والمصطلحات وأنواعها.. وكيفية وضع التعريف الإجرائي للمفهوم أو المصطلح مع إيراد قائمة تتضمن تعريفات لبعض المصطلحات المستخدمة في مجال الإعلام بصفة عامة وبحوث الإعلام بصفة خاصة. وقد اعتمدنا في إيرادها على العديد من الكتب والمراجع التي تناولت مجالات الدراسات الإعلامية المختلفة.

ويتناول الفصل الثالث الملاحظة في بحوث الإعلام.. وقبلها أوضحنا مفهوم الملاحظة وأهميتها وأنواعها في مجال البحث العلمي بصفة عامة.. مع التركيز على الملاحظة العلمية بصفة خاصة من حيث مفهومها وخصائصها وأنواعها ومزاياها وعيوبها. وفي رؤية خاصة تناول هذا الفصل كذلك الملاحظة في بحوث الإعلام ودورها في التعرف على المشكلات العلمية.. وكوسيلة من وسائل جمع البيانات.. وكأسلوب من أساليب الدراسة. أما متطلبات المنهجية لاستخدام الملاحظة كطريقة للبحث، فقد جاءت في نهاية هذا الفصل مع الاعتبارات التي يجب مراعاتها عند استخدام الملاحظة في دقة وحيدة وموضوعية.

وعالج الفصل الرابع برؤية جديدة التجربة في بحوث الإعلام. فشمل

مفهوم التجربة ومستوياتها في مجالات العلوم الاجتماعية المختلفة، واستخدامها بصفة خاصة في مجال بحوث الاتصال. . والمتطلبات التي ينبغي توافرها عند استخدام التجربة في البحوث الإعلامية.

أما الفصل الخامس، فقد تناول المشكلة العلمية في بحوث الإعلام. وقد استفاد المؤلف كثيراً من جهود السابقين في هذا المجال بالذات. وعُني بصفة أكثر بتجربة الباحثين في قسم الإعلام بكلية الآداب والتربية بجامعة قاريونس. كما تناول الفصل أهمية تحديد المشكلة والعوامل التي تؤثر في تحديدها. . والطرق التي ينبغي على الباحث في مجال الإعلام اتباعها وصولاً إلى مشكلة بحثية قابلة للدراسة والحل. .

ويجيء الفصل السادس تحت عنوان «الفرض في بحوث الإعلام» متناولاً شرح ماهية الفرض وأهميته ووظيفته وأنواعه والأسس العلمية لصياغته. . وأساليب التحقق منه.

ويتوقف الفصل السابع عند المنهج العلمي من حيث ماهيته وأنواعه، وتقسيماته. وهي وقفة رأيتها ضرورية قبل تناول المناهج الأكثر استخداماً في مجال البحوث والدراسات الإعلامية. ففي هذا الفصل يتعرف الباحث على الأسس العلمية للمنهج وقواعده وذلك من خلال المفهوم الواسع للمنهج كإطار عقلي للعمليات الفكرية التي تدور في ذهن الباحث هذا من جهة. . وكمجموعة قواعد وأساليب وإجراءات يجري بموجبها البحث من جهة أخرى.

أما الفصول الثلاثة التي تلي الفصل السابع، فقد تناولت على التوالي المنهج التاريخي في بحوث الإعلام، والمنهج الوصفي في بحوث الإعلام، والمنهج التجريبي في بحوث الإعلام، وذلك من حيث أهمية المنهج، والقواعد التي يقوم عليها. . وخطوات العمل به، ومتطلباته المنهجية.

وقد جاءت هذه الفصول ذاخرة بالعديد من الأمثلة والدراسات والبحوث من الواقع الإعلامي العربي والأجنبي.

وتحت عنوان «بيانات البحث الإعلامي: الأدوات والمصادر» يجيء الفصل الحادي عشر.. وقد استهلينا هذا الفصل بتوضيح مفهوم المصدر ومفهوم الأداة.. وركزنا بصفة خاصة على المقابلة وأهدافها ومقاييسها وتقنياتها. وكذلك الأمر بالنسبة للاستبيان وأنواعه وتصميم صحائفه وقدمنا نماذج لصحيفة الحالة واستمارة الملاحظة.. كأداة من أدوات جمع البيانات والمعلومات.

أما الفصل الثاني عشر من هذا الكتاب، فقد جاء تحت عنوان كتابة تقرير البحث من حيث محتويات التقرير ولغته وقواعد الاقتباس وإثبات المراجع.. وغيرها من المسائل الفنية الأخرى، والتي لاحظنا ومنذ فترة طويلة أهميتها بالنسبة للباحثين والدارسين في هذا المجال.

وتجيء خاتمة الكتاب متضمنةً لمنهج مقترح للبحث في مجالات الإعلام.. وهو منهج ليس جديداً في استخدامه إلا أن الكتب والمراجع العربية لم تضع تقنيناً له، الأمر الذي جعله محل خلاف مستمر بين العلماء والباحثين والمهتمين بمناهج البحث على حد سواء. ولهذا فقد رأينا ضرورة صياغته في رؤية منهجية واضحة، كمساهمة علمية متواضعة في هذا المجال.. هذا بالإضافة إلى بعض الملاحق التي وضعناها كنماذج يمكن أن تعين الباحثين كمؤشرات يهتدون بها عند العمل بها أو وضع شيء مماثل لها.

وفي ختام هذه المقدمة لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى جامعة قاريونس، وأخص بالشكر الدكتور عبد السلام الزليتني والدكتور يٰس أحمد لاشين على ملاحظاتهم القيمة وجهودهما في مراجعة هذا الكتاب والتوصية بطباعته على نفقة الجامعة.

وإنني إذ أتقدم بهذا الكتاب الذي يأتي تحت عنوان «البحث الإعلامي: مفهومه وإجراءاته ومناهجه» أتمنى أن أكون قد ساهمت بجهد متواضع في هذا المجال الذي بدأت تدريس مناهجه منذ عام 1978 في معهد الإعلام بالخرطوم والجامعة الإسلامية بأم درمان.. وفي قسم الإعلام بكلية الآداب

والتربية بجامعة قاريونس منذ عام 1985.. آملا أن يأتي الجزء الثاني منه متناولاً «القياس في بحوث الإعلام» والذي يتضمن توظيفاً علم الإحصاء ومعادلاته في خدمة البحوث الإعلامية ذات الطبيعة التحليلية والميدانية والتجريبية.

والله ولي التوفيق
بنغازي ـ ليبيا
1992/6/15

تمهيد

تطوّر المعرفة: رؤية تاريخية

يقول الله تعالى في محكم التنزيل:

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۞ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾[1].

وقوله تعالى:

﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾[2].

إن في هذه الآية، وكل الآيات التي في معناها، وما أكثرها في القرآن الكريم، حكمة تستوجب الوقوف عندها، بل فيها مفتاح البحث العلمي. وأن قوله تعالى: ﴿ربنا ما خلقت هذا باطلاً﴾ إنما توضح أن كل ظاهرة أو عابرة في الكون، إنما تستند على قانون علمي غير باطل[3].

وقوله تعالى:

﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[4].

تدل الآية الكريمة على أن للإنسان من الوسائل ما يعينه على اكتساب المعرفة.. بيد أن حواس الإنسان لا تقوم بمفردها بعملية اكتساب المعرفة. فالعقل الإنساني الذي يساعد الحواس على اكتساب المعرفة المحسوسة، يدرك أموراً أخرى غير محسوسة وذلك في سعيه المتصل من أجل الحقيقة[5].

لذا فقد اتسمت مسيرة الإنسان نحو المعرفة بالمحاولة والخطأ تارة، وتارة أخرى باللجوء إلى الغيبيات فيما استعصى عليه فهمه، ثم فتح المنطق أمام ذلك الإنسان آفاقاً أرحب للعلم والمعرفة، فاستطاع عن طريق تفاعله الخلاق مع البيئة بمظاهرها المختلفة أن يلاحظ ويدرك ويفكر.. هذه العملية النشطة والفعالة، دفعت بالإنسان إلى مسار البحث عن الحقيقة، ومحاولة تفسير ما يجري حوله، وبالتالي التعرف على عالمه، والإجابة على تساؤلاته عن العالم المحيط به.

وإذا أردنا تتبع محاولات الإنسان للوصول إلى المعرفة «تواجهنا صعوبتان: أولاهما من أين نبدأ؟ فليس هناك نقطة محددة، أو زمن بعينه نبدأ به.. وثانيهما: أننا لا نستطيع في هذا المجال، إعطاء فكرة كافية عن تطور أساليب الفكر الإنساني في الوصول إلى المعرفة.. ومع كل ذلك، لو بدأنا من الحضارات القديمة التي أثبتت من خلال ما تركته إمكانية العقل البشري واتساع وعمق قدرته، لوجدنا أن هذه الحضارات، لم تترك قوانين ونظريات تفسر لنا وسيلتهم في الحصول على المعرفة.

والإنسان لم يصل إلى ما وصل إليه الآن ن معرفة علمية مقننة إلا بعد صراع طويل مع الطبيعة، وعبر مراحل بدأت بمرحلة المعرفة الحسية، وانتقلت إلى المعرفة الفلسفية إلى أن وصلت إلى المرحلة العلمية. وبين المعارف الحسية والمعارف العلمية، مر الإنسان بأساليب مختلفة للمعرفة حيث كان يتعلم من كل حقيقة تمر به عن طريق الصدفة أو عن طريق المحاولة والخطأ، ولم يدرك الإنسان في تلك المرحلة العلاقات القائمة بين الظواهر الطبيعية، ولم يتوصل إلى تفسير منطقي لجميع الظواهر.. فقد كان تفكيره منحصراً في كيفية المحافظة على بقائه. ولكن بعد أن أخذت حياته تستقر شيئاً فشيئاً، اتسع نطاق تفكيره، وأخذ يتأمل ما حوله من أشياء وموجودات، بفرض الكشف عن حقيقتها، وتفسير وجودها. وتساءل.. وأرجع الأمور التي عجز عن فهمها إلى قوى غيبية خفية، وذهب إلى الاعتقاد

بوجود روح خاصة بالطبيعة لها أفعال وظواهر لا تتقيد بقانون أو نظام، فدخل مرحلة التفكير الخرافي. وعندما بدأ الإنسان الشك في كل أو بعض المعارف والخرافات التي نقلت إليه سابقاً، بدأ في السعي إلى محاولة التوصل إلى حلول لكل ما يعترضه من مشاكل بغية الوصول إلى الحقيقة.

كان ذلك بداية الدخول إلى مرحلة المعرفة الفلسفية، حيث تمكن الإنسان من التوصل إلى المعرفة التي تعتمد على التأمل العقلاني، فوضع الإنسان عن طريق هذه المعرفة البناء الحضري والفكري للمجتمعات، وكشف عن كثير من حقائق الأشياء وعرى غموضها معتمداً على الاستدلال DEDUCTION الذي يتم التوصل إليه من خلال استنتاج INFERENCE سابق أو بالاستناد إلى دليل سابق. فاتسمت المسائل التي تناولتها المعرفة الفلسفة بالتفكير، بأنها مسائل كلية غير ملموسة، يقتصر إدراكها على العقل وحده وهي في ذات الوقت ذاتية بحتة.

ويمثل أرسطو مرحلة وسط بين المعرفة الفلسفية والمعرفة العلمية، بوضعه لقواعد المنهج القياس الذي يبدأ بمسلمات، وينتهي بنتائج، وكانت هذه خطوة نحو الاستقراء INDUCTION العلمي.. ونقطة متميزة في سلسلة المحاولات نحو الوصول إلى الأسلوب العلمي في البحث عن الحقيقة والظواهر. فقد حدد أرسطو أُسس القياس، ولفت الأنظار إلى أهمية البحث المنظم والملاحظة الموضوعية. «وعلى الرغم من أنه لم يخرج عن نطاق القياس المنطقي في الحكم على الأشياء، إلا أنه منهجه المسمى بالمنطق الصوري قد تضمن أُسساً للتفكير العلمي الذي يتركز على افتراض ثلاثة مبادىء للفكر هي:

1 ــ مبدأ الذاتية: THE PRINCIPLE OF INDENTITY:

ويقوم على أن أي شيء يحتفظ بذاتيته بصرف النظر عن السياق الذي جاء به (أ هي أ).

2 ــ مبدأ التناقض: THE PRINCIPLE OF CONTRADICTION:

ويقضي عند الحكم على حقيقة الأشياء، أن الشيء لا يتصف بصفة ونقيضها في آن واحد.

3 ــ مبدأ الثالث المرفوع:

ويقضي هذا المبدأ أنه ليس ثمة ثالث أو وسط بين أ ولا أ»[6].

وعموماً ظل التفكير الاستنباطي أهم طرق الحصول على المعرفة قروناً طويلة، لأنه بالرغم من أي اعتراض، لا يمكن الاستغناء عنه في الوصول إلى المعرفة.

المعرفة العلمية: SCIENTIFIC KNOWLEDEGE:

تتسم المعرفة العلمية بالدقة، وتتكامل مع أنواع المعرفة السابقة، وإن كانت لا تخضع للإدراكات الحسية والتأمل والقياس الذي يعتمد على المقدمات التي ربما كانت في أصلها آراء شخصية غير محققة من الناحية العملية.

وتعتمد المعرفة العلمية أساساً على الاستقراء INDUCTION الذي يعتمد على أسلوب الملاحظة المنظمة للظواهر ووضع الفروض، وإجراء التجارب، وجمع البيانات وتحليلها للتثبت من صحة الفروض أو خطأها.

وينقسم الاستقراء إلى قسمين:

1 ــ الاستقراء التام:

ويقوم على دراسة جميع جزئيات الظاهرة. . وهذا المنهج الذي قدمه فرانسيس بيكون FRANCIS BACON، والذي دعا فيه إلى جمع كل المعلومات المتصلة بالظاهرة محل الدراسة، وهو أمر فوق طاقة الباحث بمفرده.

2 ــ الاستقراء الناقص:

ويقوم على دراسة بعض جزئيات الظاهرة، بهدف استخلاص نتيجة عامة تسري على كل الحالات الجزئية المشابهة التي لم تبحث.

ويرى مل MILL «أن الاستقراء الناقص، هو الاستقراء العلمي الصحيح، لأننا نستطيع أن نتنبأ بما سيحدث في المستقبل بإصدار تعميمات محتملة الصدق والثبات. فالاستقراء الناقص، يعتبر قوام وأساس المنهج العلمي، لأنه يعتمد على جمع الحقائق والمعلومات وإعداد الأدلة والشواهد التي تساعد على إصدار هذه التعميمات»[7].

ولهذا فإن هذا النوع من أنواع المعرفة، يعتمد على أساليب خاصة لاستقاء المعلومات وتحليلها، تختلف عن الأساليب المتبعة في المعرفة الحسية والمعرفة الفلسفية. ومن بين هذه الأساليب الملاحظة والتجربة ووضع الفروض والتحقق منها. فالفرق بين المعرفة الفلسفية والمعرفة العلمية، أن الأولى تسلم بصحة المقدمات، بينما الثانية تضع هذه المقدمات موضع الاختبار، عن طريق بعض الطرق والأساليب العلمية للحصول على معرفة أكثر فاعلية وموثوق بها.

وقد شغف المسلمون منذ بداية الأمر، بالبحث عن الحقيقة. وأذكوا التحرر العقلي الذي طبع تفكيرهم بروح البحث العلمي، فأتبعوا منهجاً سليماً، تتبعوا فيه سير الظواهر، ولم يقبلوا شيئاً على أنه الحق ما لم تؤكده الخبرة، ويسنده الواقع العملي. وبهذه المقومات أرسى المسلمون قواعد البحث العلمي. وكان ذلك عبر بعض العلماء العرب والمسلمين أمثال ابن رشد، وأبو بكر الرازي، والزهاوي، وابن سينا، وابن النفيس، والكندي، ويوسف الرازي، وابن الهيثم، وجابر بن حيان.. وغيرهم.

وفي مرحلة تالية، قام فلاسفة وعلماء أوربا بصياغة للمناهج التي اتبعها المسلمون والعرب، فاتخذوا منها فلسفةً ومنهاجاً وصاغوها في قواعد مضبوطة.

فقد استطاع بعض علماء أوربا من أمثال بيكون BACON ورينيه ديكارت RENÉ DESCARTES الاستفادة من وجود العلماء المسلمين. وتواصلت جهودهم في مجالات العلوم المختلفة وبرزت جهود كل من إيساك

نيوتن NEWTON وجاليليو GALILEO في مجال العلوم التطبيقية. وفي مجال العلوم الاجتماعية برزت جهود كل من لو بلاي LE PLAY، وأميل دوركايم EMILE DURKHEIM، وتشارلز بوث CHARLES BOOTH، وتشارلز هورتن كولي CHARLES H. COOLEY، ووليام توماس W.L. TOMAS، وروبرت بارك R. PARK، في تصميم مناهج أكثر فاعلية في تحصيل المعارف، فجمعوا بين التفكير الاستنباطي والاستقرائي.

وقد نتج عن ذلك، الجمع بين الفكر والملاحظة والتجربة وهو ما سمى بالاستقراء الاستنباطي، إذ يمكن عن طريقه استخدام النتيجة التي توصل إليها الباحث من خلال الاستقراء، كقضية ينهض عليها استدلال استنباطي. فالجمع بين عمليات الاستنباط والاستقراء في مزيج واحد، قوامه إكمال المفكر والملاحظة في آن واحد، هو أساس المنهج العلمي الجديد.

وقد حدد «جون ديوي JOHN DEWEY» (1359 ـ 1952) في كتابه كيف نفكر؟ HOW TO THINK؟ ملامح ذلك المنهج العلمي الجديد، باعتباره نشاطاً إنسانياً يعمل الباحث من خلاله على الجمع الهادف للحقائق، متنقلاً بين الاستنباط والاستقراء في إطار من التفكير التأملي بحيث يمرحل حل أي مشكلة من خلال الخطوات أو المراحل الخمس التالية:

«أ ـ الإحساس بالمشكلة:

يرى جون ديوي أن الإنسان عندما يواجه أي مشكلة أو معضلة تحيره، يكون تصرفه محدداً وعاجزاً عن الوصول إلى الفهم المطلوب، ومع صعوبة تحديد خصائص المشكلة يعجز عن تفسيرها.. ويواجه الإنسان موقف مُشكل PROBLEMATIC SITUATION يتحدى تفكيره.

ب ـ حصر المشكلة وتحديدها:

وهي المرحلة التي تتم من خلال قيام الإنسان بجمع المعلومات والملاحظات التي تساعده على تحديد المشكلة وحصرها في الإطار

الذي يساعده على حلها أو مواجهتها.

ج ــ اقتراح الحلول للمشكلة:

في هذه المرحلة، يرى جون ديوي أن الإنسان ومن خلال الدراسة المبدئية للحقائق المتصلة بالمشكلة يقوم باستنباط مجموعة من التخمينات [الفروض] مفترضاً أنها حلول ممكنة للمشكلة أو باعتبار أنها تعميمات مقترحة لتفسير الحقائق التي يرى الإنسان أنها السبب وراء ظهور المشكلة.

د ــ استنباط نتائج للحلول المقترحة:

وفي هذه المرحلة يرى ديوي أن الإنسان الباحث في مقدوره أن يستنبط حلولاً للمشكلة ما دامت فروضه التي تصور أنها تحل المشكلة البحثية المطروحة صحيحة [مقدمة]، فلا بد أن تترتب على تلك الفروض بالتبعية حلولاً معينة [نتيجة].

هـ ــ الاختبار العملي للفروض:

وفي هذه المرحلة يرى جون ديوي أن الإنسان الباحث لا بد أن يبحث عن دليل مادي للحلول التي وضعها كتخمينات عامة، وهو في هذه المرحلة ليست أمامه سوى اختبار الفروض عملياً لإثبات مدى صحة ما ذهب إليه»[8].

ويرى فان دالين «أن تلك الخطوات التي قدمها جون ديوي لعملية التفكير التأملي تثبت أن الاستنباط والاستقراء معاً هما جناحا العلم وبدونهما لن يصل الإنسان إلى الحقيقة، حيث يمهد الاستقراء لتكوين الفروض، ويعمل الاستنباط على الكشف عن النتائج المنطقية المترتبة عليها، وذلك بهدف استبعاد الفروض التي لا تتفق مع الحقائق، ثم ما يلبث الاستقراء أن يعود مرة أخرى ليساهم في تحقيق الفروض الباقية وهكذا حتى يتم التأكيد من صدقها أو عدمه»[9].

وهكذا يظل الباحث متنقلاً بين الاستنباط والاستقراء للوصول

إلى المعرفة التي يمكن الوثوق بها.

هذا المنهج العلمي الجديد، على الرغم من بساطة جوهره لم يكتسب إلا بمشقة بالغة، وقد ساهم العرب والمسلمون في إرساء قواعده مساهمةً فعالة، عندما كانت أوربا تنام في سبات عميق. فقد كان لاكتمال الدين في صورته النهائية، وشموله على كثير من آيات الله البينات التي تأمر بالبحث والتفكير، والتدبر في خلق الله، أكبر حافز دفع بالعلماء المسلمين للبحث عن الحقيقة والمعرفة.

ويورد برايس. ج. PRICE. J. وبلمر. هـ. BULMER. H. وجونسون. هـ. JOHNSON. H. الشروط التي تتميز بها المعرفة العلمية على النحو التالي:

1 ــ المعرفة العلمية مكونة من حقائق ومعلومات متشعبة ومتكاملة وقادرة على تفسير الظواهر والتفاعلات والتغييرات والملابسات التي تنتاب وحدات الموضوع، وعناصره، والمواد التي تتكون منها الأشياء موضع البحث والدراسة.

2 ــ تستخدم المعرفة العلمية الأسلوب العلمي كالملاحظة والتجربة ووضع الفروض واختبارها، ولهذا فهي معرفة نظرية وتطبيقية في آن واحد.

3 ــ حقائق ونظريات وقوانين المعرفة العلمية قابلة للزيادة والتراكم فكلما زادت الأبحاث حول اختصاص معين.. كلما ازدادت وتشعبت النظريات والقوانين.. وكلما أصبح العلم قادراً على تفسير الظواهر والملابسات الدقيقة والمعقدة.

4 ــ المعرفة العلمية معرفة تجريبية EMPIRICAL أي أن حقائقها ونظرياتها وقوانينها، لم تظهر إلا بعد إجراء الدراسات والاختبارات والمسوحات العلمية أو الميدانية التي تنتهج الأساليب النظامية والموضوعية والإحصائية في التقصي والتحليل..

5 ــ نظريات وقوانين المعرفة العلمية قابلة للتغير والتبدل بتغير وتبدل

الظروف الموضوعية للأشياء والظواهر والحقائق التي تهتم بدراستها وتحليلها واستيعابها، كما أن النتائج والحقائق يجب أن تكون نسبية من حيث صحتها. . فالعلم لا تجوز فيه الأحكام المطلقة نظراً لتبدل الظروف المحيطة بالظواهر بين آونة وأخرى.

6 ـ المعرفة العلمية تهتم بدراسة ما هو كائن، ولا تهتم بدراسة ما يجب أن يكون. . بمعنى أن المعرفة العلمية تتجه إلى دراسة الحقائق المتصلة بالظاهرة كما وجدت ولا تهتم بدراسة القيم والأحكام التي تبنى عليها من وجهة النظر الذاتية[10].

المـراجـع

(1) القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآيتان 190، 191.

(2) المرجع السابق، سورة الأنعام، الآية 38.

(3) أحمد عبد الرحمن العاقب، في القرآن مفتاح البحث العلمي، المجلس القومي للبحوث، الخرطوم، 1984، ص 4.

(4) سورة النحل، الآية 78.

(5) إحسان محمد الحسن، الأسس العلمية لمناهج البحث الاجتماعي، دار الطليعة، بيروت، 1981، ص 7.

(6) أحمد فؤاد الأهواني، فجر الفلسفة اليونانية، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1954، ص 129.

(7) . MILL. J.S, A SYSTEM OF LOGIC, LONDON LONGMANS GREEN, 1941, P. 27

(8) . CHARLES, HERBET L., LOGIC AND SCIENTIFIC METHODS. NEW YORK THE RONALD PRESS COMPANY, 1948, p 4.

(9) دالين د. ب. فان، مناهج البحث في التربية وعلم النفس، ط 3، ترجمة محمد نبيل نوفل وآخرين، الأنجلو المصرية، القاهرة 1985، ص 50.

(10) إحسان محمد الحسن، مرجع سابق، ص 12 ـ 13.

الفصل الأول

البحث الإعلامي

البحث في اللغة العربية، كما يقول ابن منظور في لسان العرب، هو «أن تسأل عن شيء وتستخبر»[1].

ويرى حاجي خليفة[*] «أن التأليف والبحث، لا يخرج عن أن يكون على سبعة أقسام، لا يؤلف عالم عاقل إلا فيها وهي:

1 ـــ إما إلى شيء لم يسبق إليه فيخترعه..

2 ـــ أو شيء ناقص يتممه..

3 ـــ أو شيء مغلق [غامض] يشرحه..

4 ـــ أو شيء طويل يختصره دون أن يخل بشيء من معانيه..

5 ـــ أو شيء متفرّق يجمعه..

6 ـــ أو شيء مختلط يرتبه..

7 ـــ أو شيء أخطأ فيه مصنفه فيصلحه..[2].

والبحث العلمي نشاط إنساني يقوم به الباحث من أجل الوصول إلى حقيقة الشيء الذي يبحثه.. وهو نشاط يصعب أن يستغنى عنه أي علم يريد أن يظهر نظرياته، ويحقق لقوانينه مزيداً من الدقة، ذلك لأن التقدم العلمي مرهون دائماً، بما تسفر عنه البحوث من نتائج، وما تقدمه من إضافات.

والبحث العلمي نشاط أساسي لأي مجتمع يريد أن يطور حياته ويخطط لمستقبله، ويسعى إلى إيجاد حلول سليمة للمشكلات التي تعترض سبيله. وهذا الفصل يتناول موضوع البحث العلمي من حيث:

(*) مؤرخ تركي معروف.

* مفهوم البحث العلمي.
* مفهوم البحث الإعلامي.
* أهداف البحث الإعلامي.
* مقومات البحث الإعلامي.
* أخلاقيات البحث العلمي.

مفهوم البحث العلمي:

تعددت مفاهيم وتعريفات البحث العلمي إلى أكثر من مائة تعريف، نسوق بعضاً منها بهدف الوصول إلى النقاط المشتركة في هذه التعريفات، والتي يمكن على أساسها وضع تعريف لمفهوم البحث العلمي الذي يقودنا إلى وضع تعريف لمفهوم البحث العلمي في مجال الدراسات الإعلامية.

وقبل أن ندخل في استعراض بعض هذه التعريفات، نود أن نوضح أن مصطلح البحث العلمي SCIENTIFIC RESEA'RCH قد استُخدم بصفة عامة في المجالات المختلفة، لذا فإن تعريف هذا المصطلح يتوقف على المضمون الذي يستخدم فيه، والمجال العلمي الذي يقل الباحث في إطاره. فالبحث قد يجري لتقديم وصف أو تفسير أو نقد لظاهرة معينة أو لكشف عن أسلوب التعامل معها، أو لإيجاد حل لمشكلة معينة.

ومن التعريفات البارزة لمفهوم البحث العلمي:

1 ــ البحث العلمي: تقرير واف يقدمه باحث عن عمل تعهده وأتمه على أن يشمل هذا التقرير، كل مراحل الدراسة منذ أن كانت فكرة حتى صارت نتائج مدونة مرتبة ومؤيدة بالحجج والأسانيد "[3].

2 ــ البحث العلمي: استقصاء منظم يهدف إلى إضافة معارف يمكن توصيلها والتحقق من صحتها عن طريق الاختبار العملي[4].

3 ــ البحث العلمي: عبارة عن عمليات فحص دقيقة ومستمرة للوصول إلى حقائق وقواعد عامة والتحقق منها[5].

4 ـ البحث العلمي: عملية مستمرة ومتصلة تهدف إلى التعرف على المشكلات وتحديدها، ثم تكوين الفروض وتحقيقها واستخلاص النتائج وتعميمها.. وفيه يقرر الباحث لماذا أجرى دراسته؟ وما هي الخطوات التي اتبعها في إجراءاته؟ وما أهم النتائج التي توصل إليها؟ وما هي الإسهامات التي قدمتها تلك النتائج في بناء المعرفة العلمية أو التراث العلمي[6].

5 ـ البحث العلمي: عبارة عن عملية تقصي عن الحقائق ومعانيها وتطبيقها بالنسبة لمشكلة معينة[7].

6 ـ البحث العلمي: محاولة دقيقة ناقدة للتوصل إلى حلول للمشكلات التي تؤرق البشرية وتحيرها[8].

7 ـ البحث العلمي: يعني الفحص أو التقصي المنظم الذي يهدف إلى الزيادة في المعرفة الحاضرة، ويتم بطريقة تسمح بالنقل والنشر والتنوع[9].

8 ـ البحث العلمي: استعمال إجراءات وطرق منظمة متقنة سعياً وراء الحصول على المعرفة[10].

9 ـ البحث العلمي: جهد فكري، يتم بمنهجية منظمة مدروسة ويفرز نتائجاً منطقية موضوعية يمكن توظيفها في حل مشاكل المعرفة والإنسان والمجتمع[11].

10 ـ البحث العلمي: عملية الوصول إلى حلول للمشكلات وذلك من خلال تجميع البيانات بطريقة مخططة ومنظمة ثم تحليل تلك البيانات وتفسيرها[12].

11 ـ البحث العلمي: دراسة علمية منظمة لظاهرة معينة باستخدام المنهج العلمي للوصول إلى حقائق جديدة يمكن توصيلها والتحقق من صحتها[13].

12 ـ البحث العلمي: الدراسة الموضوعية التي يتقدم بها الباحث في أحد

التخصصات، والتي تهدف إلى معرفة واقعية ومعلومات تفصيلية عن مشكلة أو موضوع معين[14].

13 ــ البحث العلمي: يستند إلى ثلاث محاور:

أ ـ البحث بمعنى التنقيب عن الحقائق: وتتضمن الدراسة التنقيب عن حقائق معينة دون محاولة التعميم أو استخدام هذه الحقائق في حل مشكلة معينة.

ب ـ البحث بمعنى التفسير النقدي للحقائق: أي التدليل المنطقي للوصول إلى حلول للمشكلات التي تتصل بالأفكار وخاصة عند دراسة مجالات الفلسفة والتاريخ والأدب.

جـ ـ البحث الكامل: وهو البحث الذي يهدف إلى حل المشاكل ووضع التعميمات بعد التنقيب عن جميع الحقائق المتعلقة بموضوع البحث وتحليل جميع الأدلة التي يتم الحصول عليها، وتصنيفها تصنيفاً منطقياً فضلاً عن وضع الإطار المناسب واللازم لتأييد النتائج التي يتم التوصل إليها[15].

14 ــ ومن أبرز التعريفات ذلك التعريف الذي قدمه هيلوي. ت. HAILWAT. T. والذي يقرأ «البحث وسيلة للدراسة يمكن بواسطتها الوصول إلى حل لمشكلة محددة وذلك عن طريق التقصي الشامل والدقيق لجميع الشواهد والأدلة التي يمكن التحقق منها والتي تتصل بهذه المشكلة المحددة.

Research is an method of Study by which Through the Carefull and exhaustive investigation of all the Ascertainable evidence bearing upon a definable problem we reach a solution to that problem[16].

من التعريفات السابقة، يتضح لنا أن البحث العلمي يمثل نهجاً موضوعياً وسلوكاً منظماً لاستقصاء الحقيقة، أياً كان نوعها ومجالها، كما يتضح لنا أن هناك عناصر ونقاط مشتركة بين التعريفات السابقة ذكرها يمكن

تحديدها على النحو التالي:

1 ــ البحث نوع من النشاط الفكري الذي يهدف إلى تقديم إضافات جديدة. هذه الإضافات تختلف من بحث إلى آخر. فقد يسعى باحث إلى التحقق من صدق بعض النتائج التي توصل إليها غيره من الباحثين. وفي بعض الأحيان تكون هذه الإضافة من نوع غير قابل للتعميم إلا من أضيق المجالات وفي أحيان أخرى تكون الإضافة على مستوى عالي من التجريد والعمومية[17].

2 ــ يستلزم البحث وجود مشكلة تتطلب الحل أو النقد أو الفهم أو التفسير بالكشف عن الغموض الذي يكتنف بعض جوانبها.

3 ــ يتجه البحث إلى تحقيق أهداف وغايات عامة غير شخصية، على الرغم من أن كل بحث يبدأ بشعور الباحث بمشكلة معينة إلا أنه من الضروري أن تكون المشكلة ذات قيمة علمية ودلالة اجتماعية معينة.

4 ــ البحث عملية منظمة واعية تتطلب وضع خطة محسوبة بعناية، وبإجراءات وخطوات دقيقة سعياً وراء الحقيقة أو تلبية لحاجة علمية أو اجتماعية ملحة.

5 ــ البحث عملية واقعية تنبع من الواقع وتنتهي به.

6 ــ نتائج البحث قابلة للاختبار من قبل باحثين آخرين أي أنها قابلة للتكرار والوصول إلى نفس النتائج أو نتائج متقاربة متشابهة وذلك حين تكرار البحث من باحثين آخرين حسب التصميم والخطة والظروف الموضوعية والإجراءات المنهجية والحصول على نتائج متشابهة أو متوازية.

واستناداً إلى ما سبق ذكره من تعريفات للبحث العلمي، والنقاط المشتركة التي أمكن استخلاصها من مضامين هذه التعريفات، فإننا نسوق وجهة نظرنا الخاصة حول مفهوم البحث العلمي بصفة عامة:

البحث العلمي: دراسة موضوعية تهدف إلى تحقيق المعرفة المنظمة

والمنطقية لمشكلة معينة أو موضوع معين بإتباع خطوات وأساليب ووسائل علمية للبحث وجمع المعلومات والبيانات وتحليلها وصولاً إلى النتائج التي تعين على حل المشكلة أو فهم الموضوع المعين.

مفهـوم البحـث الإعلامـي:

استخدم مصطلح البحث RESEARCH في مجال الدراسات الإعلامية، لدراسة مشكلات وقضايا وظواهر متعددة يصعب حصرها في هذا المجال. كما استُخدم هذا المصطلح في دراسة موضوعات وقضايا ومشكلات ذات صلة بمجال الإعلام ولكنها وافدة عن ساحات علمية أخرى، كعلم النفس والاقتصاد والاجتماع والعلوم السياسية وهكذا.

لذا فمن الطبيعي، أن يتوقف مفهوم البحث الإعلامي على المضمون الذي يستخدم فيه، وعلى المنهج الذي يعمل ويفكر الباحث في إطاره، ومن خلاله تنتظم عملياته الفكرية والذهنية، وعلى الطريقة أو الأسلوب الذي يوجه عمليات البحث وأدواته، سواء أكان تاريخياً أو وصفياً أو تجريبياً.

ولما كان هذا المجال ـ مجال الإعلام ـ بطبيعة تنوعه، يتداخل مع مجالات علمية أخرى، ولما كانت موضوعات وظواهر البحث في هذا المجال تجمع بين الماضي والحاضر والمستقبل، لذلك فإننا نرى أنه من الصعب وضع تعريف محدد لمفهوم البحث العلمي في دراسات الإعلام، وإن كان من الممكن أن نسوق عدة مفاهيم للبحث الإعلامي من واقع المنهج والطريقة التي يجري بموجبها البحث. . وذلك على النحو التالي:

أ ـ البحث الإعلامي التاريخي: HISTORICAL:

عملية منظمة لاكتشاف حقائق ومعلومات حول ظاهرة إعلامية حدثت في الماضي، وتحليلها ونقدها وتقييمها للخروج باستنتاجات تساعد على فهم الظاهرة وموقعها في السياق التاريخي وأحداثه. ومن أمثلة هذا النوع من الدراسات تلك التي تتناول ـ على سبيل المثال ـ نشأة وتطور الصحافة

والقضايا التي تناولتها في فترات تاريخية سابقة، ومواقفها واتجاهاتها من بعض الأحداث الهامة.

ب ــ البحث الإعلامي الوصفي: DESCRIPTIVE:

عملية منظمة موضوعية تهتم بدراسة الظروف والممارسات والمعتقدات والآراء ووجهات النظر والقيم والاتجاهات حول موضوع أو ظاهرة أو قضية معينة. وفي بعض الأحيان يهتم البحث الإعلامي الوصفي بدراسة العلاقة بين ما هو كائن وواقع، وبين بعض الأحداث السابقة التي تكون قد أثرت أو تحكمت في الأحداث والظروف الراهنة.

ومن أمثلة هذا النوع: الدراسات الوصفية، والبحوث الوصفية التفسيرية التي تتعدى وصف الظاهرة إلى تفسيرها والخروج باستنتاجات حولها كالدراسات المسيحية، ودراسات تحليل المضمون.

جـ ــ البحث الإعلامي شبه التجريبي: QUASI EXPERIMENTAL:

عملية منظمة وموضوعية تستهدف الكشف عن العلاقات الحالية والمتداخلة بين المتغيرات والعناصر المكونة لظاهرة ما في موقف أو ظرف معين، ووصفها وتفسيرها للكشف عن طبيعة هذه العلاقات واتجاهاتها والارتباطات القائمة بينها. ومن أمثلة هذا النوع من البحوث، الدراسات الارتباطية، ودراسة الحالة، والدراسة السببية المقارنة. وبحوث الدور التي تجمع بين قليل المضمون والمسوح الميدانية.

د ــ البحث الإعلامي التجريبي: EXPERIMENTAL:

عملية منظمة وموضوعية تستهدف التعرف على العلاقة السببية بين المتغيرات الواقعة في إطار ظاهرة معينة وذلك بالتحكم في حركة المتغيرات عن طريق الضبط والتصميم التجريبي. ومن أمثلة هذا النوع البحوث التي تدرس العلاقة السببية بين المتغيرات المستقلة والمتغيرات التابعة.

التلفزيون ــ محو الأمية «بحوث الأثر».

أهـداف البحـث الإعلامي:

تشترك العلوم على اختلاف تصنيفاتها ومجالاتها، في افتراض أن هناك علاقات منظمة بين الظواهر المختلفة في إطار كل علم أو فرع من فروع المعرفة.

والبحث العلمي ـ أياً كان مجاله ـ في محاولته للكشف عن هذه العلاقات يهدف إلى تفسير هذه الظواهر، وضبط العوامل المؤدية إليها، والتنبؤ بمستقبلها إذ ما سارت الظروف سيراً معيناً.

والبحث الأعلامي، كغيره من بحوث العلوم الاجتماعية والإنسانية يسعى إلى تحقيق هذه الأهداف، ولكنه بدرجات تتفاوت في دقتها عن بحوث العلوم الطبيعية، وفي ذلك فإننا نرى:

1 ـ التفسير كهدف للبحث الإعلامي:

يهدف البحث الإعلامي في هذا الجانب إلى التعرف على وضعية الظاهرة محل البحث، وبيان عناصرها ومكوناتها وعلاقتها بالظواهر الأخرى. وتعتبر البحوث الإعلامية التاريخية، والوصفية، والوصفية التفسيرية، من أنسب أنواع البحوث التي يمكن أن تعمل على تحقيق هذا الهدف.

2 ـ الضبط كهدف للبحث الإعلامي:

يهدف البحث الإعلامي في هذا الجانب إلى محاولة التحكم في العوامل المؤدية إلى الظاهرة بغرض السيطرة عليها أو الحد من تأثيرها أو توجيهها وجهة معينة. وتسعى البحوث التجريبية وشبه التجريبية إلى تحقيق هذا الهدف بالإضافة إلى الهدف السابق ذكره. ذلك أن تحقيق الضبط كهدف للبحث الإعلامي، قد استعان إلى حد كبير بعناصر الاستقراء العلمي وأهمها التحليل والتركيب، فبالتحليل أمكن إدراك الحقائق الجزئية للظاهرة والتعرف على العلاقات القائمة بين هذه العناصر بعضها ببعض، كما أمكن بالتركيب تجميع هذه الحقائق الجزئية للخروج بحقائق كلية واضحة عن الظاهرة قيد

البحث، وبالتالي أمكن فهم العوامل المؤدية إلى الظاهرة ومن ثم إمكانية ضبطها والتحكم فيها وعزلها عند إجراء التصاميم التجريبية.

3 ــ التنبؤ كهدف للبحث الإعلامي:

التنبؤ في بحوث الإعلام يأتي بمعنى الاحتمال القوي الذي يتوقع الباحث عن طريقه بما قد يحدث للظاهرة إذا سارت الظروف سيراً معيناً. وهنا يكون التنبؤ خاضعاً للاحتمال بدرجات مختلفة، ذلك أن الظواهر الإعلامية ـ كغيرها من الظواهر الاجتماعية ـ لا تتأثر بعامل واحد أو عاملين، وإنما تتأثر بعوامل كثيرة ومعقدة. فعلى سبيل المثال: إذا درسنا ظاهرة تأثير التلفزيون على سلوك الطفل، فمن الصعب إرجاع هذه الظاهرة إلى التلفزيون بمفرده، ذلك أن هناك عوامل كثيرة يمكن أن تؤثر على السلوك عند الأطفال. وبعد إدخال الأساليب الإحصائية، واستخدام معايير الصدق والثبات، أمكن للبحوث الإعلامية، التنبؤ بمستقبل الظاهرة، كما أمكن التوصل إلى نظريات متعددة، بدأت تأخذ طريقها إلى الاستقرار، وخاصة تلك النظريات التي تتصل بدور وسائل الاتصال وتأثيرها.

مقومات البحث الإعلامي:

في مجال البحث الإعلامي، يصعب الاعتراف بما يقوم به بعض الباحثين من رصد لآراء الآخرين حول موضوع معين، ثم الإدلاء بالرأي الشخصي، على أنه بحث علمي، على الرغم من أن هذا الأسلوب معترف به في مجالات الدراسات المكتبية في بعض التخصصات، إلا أن البحث العلمي يتجه في معظم أحواله إلى:

- ☐ الوصف والوصف التفسيري.
- ☐ أو التعرف على دور وسائل الإعلام.
- ☐ أو قياس أثر هذه الوسائل.

منتهجاً، اتجاهات ميدانية أو تحليلية أو تطبيقية أو تجريبية أو خليط منها. وهي اتجاهات تتطلب استخدام بعض الطرق والأساليب والأدوات التي

تختلف في طبيعة التعامل معها عن رصيفاتها المستخدمة في الدراسات النظرية والمكتبية.

واستعانت بحوث الإعلام في السنوات الأخيرة بعلوم الإحصاء ومعاملاتها، وبأساليب القياس، وبالتجارب على اختلاف أنواعها «بيئية، ومعملية وميدانية»، وهذا بدوره قد فرض على بحوث الإعلام أن تتخلص في كثير من جوانبها من اللغة الإنشائية، وخاصة في البحوث التحليلية والميدانية والتجريبية.

واستناداً إلى ما سبق، فإن مقومات خاصة بالبحث الإعلامي قد ظهرت، بالإضافة إلى المقومات المعروفة للبحث العلمي، وأهمها مفهوم الأصالة(*). وأبرز مقومات البحث الإعلامي هي:

1 ــ وجود مشكلة تستدعي الدراسة أو الحل أو الفهم أو الشرح أو التفسير، يتحدد عن طريقها نوعية الدراسة التي سيقوم بها الباحث [نظرية، تطبيقية، ميدانية، تحليلية، تجريبية]، والأسلوب العلمي الذي سيستخدم في دراستها، ونوع البيانات والمعلومات المطلوبة والأدوات اللازمة لجمعها وتحليلها وقياسها.. وما إلى ذلك.

2 ــ تحديد المجالات التي سيجري عليها البحث، وتوضيحها وهي:

أ - مجتمع البحث «بشر، صحف، مطبوعات، أدوات، أقسام..».

ب - مكان البحث أو بيئته.

جـ - زمان البحث أي الفترة الزمنية للبحث.

(*) معايير الأصالة:

1 ـ مدى إسهام موضوع البحث في إضافة رصيد جديد إلى المعرفة.

2 ـ جدة موضوع البحث وحداثته.

3 ـ جدة واستقلالية الأفكار الرئيسية التي بنى الباحث على أساسها موضوع البحث.

4 ـ الابتعاد عن دراسة الموضوعات التي تعتمد على معلومات أو وثائق متحيزة.

5 ـ الابتعاد عن دراسة الموضوعات الغامضة[18].

3 ــ تحديد الأطر الذي سيعمل الباحث من خلالها على معالجة مشكلة البحث وهي:

أ - الإطار المنهجي للبحث.

ب ـ الإطار النظري للبحث.

جـ ـ الإطار التحليلي، أو الميداني، أو التجريبي للبحث.

4 ــ تقديم الحجج الأولية التي تجعل مشكلة البحث مسألة علمية مقبولة.. وذلك بتبيان إمكانية دراستها وذلك عن طريق تحليلها وتحديد الفروض النابعة منها.

5 ــ تحديد المفاهيم وشرح المصطلحات الواردة في مشكلة البحث وفروضها. ويعتبر هذا المفهوم من مستلزمات الدقة في العلم، والموضوعية في البحث، مهما بدت هذه المصطلحات بسيطة أو واضحة.

6 ــ تحديد الهدف من إجراء البحث، والذي يفهم من خلاله السبب الذي قام من أجله الباحث بإجراء الدراسة وما الذي يبغي الوصول إليه.

أخلاقيات البحث العلمي:

مما لا شك فيه أن علمية الباحث تتوقف إلى حد كبير، على درجة التزامه بأخلاقيات البحث العلمي.. والتي هي في واقع الأمر، صفات يجب على الباحثين في مجالات العلوم المختلفة أن يتصفوا بها، وأبرز هذه الصفات:

1 ــ الأمانة العلمية: سواء أكان الأمر في الاقتباس وعرض آراء الآخرين، أو في عرض النتائج والحقائق التي يتوصل إليها الباحث. وطالما أن البحث العلمي يهدف إلى الوصول إلى الحقيقة، فإن المبدأ الأخلاقي يلزم الباحث بالكشف عنها، وعرضها في حيدة وموضوعية وتجرد.

2 ــ الإنصاف: وذلك بأن يعرض الباحث للآراء المخالفة لرأية ويناقشها

بموضوعية، ودون تجريح أو تشهير. ويرى جابر ابن حيان في ذلك «أنه لا بد من إنصاف الخصوم، فليس بينك وبين أحد منهم عداء شخصي، وإنما المسألة بينك وبينهم مسألة حق يراد بلوغه، فإذا كنت بصدد خصم علمي في فكرة بعينها، فواجبك أن تعرض حججة كلهة حجة حجة، لا تترك منها شيئاً وأنت عامد ولا تضيف إليها شيئاً وأنت عامد»[19].

3 ـ الاعتراف بفضل السابقين، وذلك بتنويه الباحث للأبحاث والكتب والمراجع المستخدمة في البحث، والتي استقى منها معلوماته، دون أن يتورع في تصحيح أخطائهم أو أخطائه، وكذلك الاعتراف بفضل كل من قدم له مساعدة في البحث.

4 ـ الموضوعية العلمية: وتأتي على رأس قائمة أخلاقيات البحث العلمي. وتعنى «أن يقدم الباحث فهماً أو تصويراً للواقع الذي يدرسه بحيث يكون مطابقاً قدر الإمكان لما عليه هذا الواقع»[20].. وهذا يتطلب من الباحث عند تناوله لموضوع بحثه، أن يكون مراقباً علمياً محايداً، بحيث لا تتأثر نتائج بحثه بالانطباعات الذاتية، وأهوائه ومعتقداته الشخصية.

ويرى د. معن خليل «أن الموضوعية هي التي تخلصت من ضغوط الأهواء السياسية والفكرية، وسلمت من التأثيرات والغايات، وبرئت من شوائب النزعات، ولم تخضع لآية اعتبار من مألوفات المحيط الاجتماعي، ولم تتحيز لأفراد أو جماعات مِمَّنْ يمثلون مراكز النفوذ في المجتمع»[21].

وقد يقال إن الموضوعية المطلقة في مجال البحث العلمي، قد تكون خرافة، لأن ذاتية الباحث، لا بد وأن تتدخل بصورة أو أخرى في سير البحث. ومع التسليم بأن الموضوعية المطلقة مسألة مستحيلة، إلا أن الباحث بالرغم من ذلك مطالب بالتزام أكبر قدر من الموضوعية حتى تصبح نتائجه يقينية.

ويرى برتراند رسل RUSLL أن ما هو موضوعي هو ما يكون مشتركاً، في حين أن ما هو ذاتي هو ما يكون مختلفاً وخاصاً[22].

مراجع الفصل

(1) ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين بن مكرم، لسان العرب، الجزء الأول، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1300 هـ، ص 218.

(2) حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مطبعة المثنى، بغداد، ب.ت، ص 44.

(3) آرثر كول في أحمد شلبي، كيف تكتب بحثاً أو رسالة، ط 12، القاهرة، النهضة المصرية، 1980، ص 13.

(4) POLANSK, N.A. (EDITOR), SOCIAL WORK RESEARCH, 2nd ED. CHICAGO, THE UNIVERSITY OF CHICAGO PRESS, 1962, P.2.

(5) WHITNEY, F., ELEMENTS OF RESEARCH, NEW YORK, N.P. 1959, P. 15.

(6) KERLINGER, F.N., FOUNDATION OF BEHAVIORAL RESEARCH 3rd ED., NEW YORK, HOLT RINEHART AND WINSTON, 1973, P. 18.

(7) جماعة زملاء التربية في جمال ذكي والسيد يس، أسس البحث الاجتماعي، القاهرة، دار الفكر العربي، 1962، ص 9، 10.

(8) دالين ـ د. ب. فان، مناهج البحث في التربية وعلم النفس، ط 3، ترجمة محمد نبيل نوفل وآخرون، الأنجلو المصرية، القاهرة، 1985، ص 9.

(9) MARY, E. MACDONALD, IN POLANSK, N.A., OPCIT, P. 29.

(10) UNDER WOOD, BENTON, J., PSYCHOLOGICAL RESEARCH, OIK, NEW YORK, PLETON - CENTURY - CROFTS, INC, 1957, P. 197.

(11) PARTLY FROM TUCHMAN. B, CONDUCTING EDUCATIONAL RESEARCH, N. . YORK, HAR COURD BRAC JOVANOVICH, INC, 1972, PP. 10 - 11.

(12) MOULY, G.L., EDUCATIONAL RESEARCH: THEART AND SCIENCE OF INVESTIGATION , ALLYN AND BACON, BOSTON, 1978, P. 19.

(13) عبد الباسط محمد حسن، أصول البحث الاجتماعي، ط 5، القاهرة، الأنجلو المصرية، 1971، ص 140.

(14) ABRAMS. M, SOCIAL SURVEYS AND SOCIAL ACTION, HEINE HANN, LONDON, 4th ed, 1981, P. 9.

(15) أحمد بدر، أصول البحث العلمي ومناهجه، ط 3، الكويت، وكالة المطبوعات، 1977، ص 19 ـ 22.

(16) HILL WAY TYRUS, INTRODUTION TO RESEARCH, 2nd ed, BOSTON, HOUGHTON MILLIN CO, 1949, P. 5.

(17) PARTLY FROM: WILSON, B: INTRODUCTION TO SCIENTIFIC RESEARCH, NEW YORK, MC, GROWHILL BOOK CO, INC, 1952, pp. 40-42.

(18) محمد زيان عمر، البحث العلمي: مناهجه وتقنياته، ط 4، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، جدة، 1983، ص 67، 68.

(19) زكي نجيب محمود، جابر بن حيان، ط 2، مطبعة مصر، القاهرة، 1974، ص 90 ـ 91.

(20) عبد الرحمن عميرة، أضواء على البحث والمصادر، دار الشروق، جدة، 1397 هـ، ص 55.

(21) معن خليل عمر، الموضوعية والتحليل في البحث الاجتماعي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1983، ص 17، 18.

(22) محمد مهران خليفة، برتراند رسل، دار المعارف، القاهرة، 1977، ص 11.

الفصل الثاني

تعريف المفاهيم والمصطلحات في بحوث الإعلام

تعتبر مسألة تحديد ووضع تعريفات لمفاهيم ومصطلحات العلوم، وتلك التي تتضمنها مشكلات البحوث وفروضها، وما يتصل بذلك من توضيح لأبعادها، من المسائل الجوهرية التي وجدت اهتماماً كبيراً من الباحثين في ميادين العلوم المختلفة. وبصفة خاصة في ميدان العلوم الاجتماعية والإنسانية. ذلك أن اللغة واستخداماتها المختلفة لا تؤدي في بعض الأحيان إلى المعنى المقصود بسبب غموض بعض المصطلحات أو المفاهيم أو استعمالها بطرق مختلفة.. أو بسبب اختلاف المعنى الذي يرمي إليه المصدر عند المتلقى، الأمر الذي يشكل عقبة في الوصول إلى معنى محدد.

«ومع أن هذه المشكلة تقل عند استخدام التعابير العلمية، فإن عدم وجود وحدة كاملة للتعابير المستعملة في اللغة العربية في المجالات التي نحن بصددها، يجعل الاختلاف وارداً وجائزاً»[1].. نظراً لما تتصف به الألفاظ من مرونة وتعقيد شديدين. ولهذا فقد تنشأ التباسات إزاء المعاني التي تحملها أبسط العبارات. ففي أي لغة يوجد الكثير من الكلمات التي تحمل معاني مختلفة في سياقات متعددة، كما يوجد عدد من الكلمات المختلفة التي تنقل فكرةً واحدةً. ومن الممكن أن نلاحظ موقفاً أو حدثاً، ولا نجد كلمةً تحمل المعنى لوصف هذا الموقف أو ذلك الحدث. وفي مثل تلك الحالات، ينبغي على الباحث أن يحدد المعنى الذي يقصده من الكلمة التي يستخدمها، تحديداً دقيقاً[2].

والتعريف DEFINITION هو وسيلة لتوضيح معنى الألفاظ. . وخاصة إذا كانت هذه الألفاظ مبهمة أو غامضة، فهو ضروري لتيسير الفهم والتفاهم والتعلم. فالإنسان لا يسهل عليه دراسة الهندسة مثلاً، قبل أن يتعرف على تعريفات المفاهيم والمصطلحات المستخدمة في مجال الهندسة كالنقطة، والمستقيم، والزاوية، والمثلث والمربع والدائرة. . الخ.

وكثيراً ما نجد أن تحديد المراد بمصطلح أو مفهوم معين، موضوع علم بأسره. فتحديد مفهوم الاتصال مثلاً موضوع لعلم بأكمله.

وعلى ذلك فإن موضوع هذا الفصل يتناول:

أولاً: أهمية وضع تعريفات للمفاهيم والمصطلحات وأنواعها.

ثانياً: تعريف بعض المصطلحات المستخدمة في مجال الإعلام.

ثالثاً: تعريف بعض المصطلحات المستخدمة في بحوث الإعلام.

وسنتناول في ذلك بعض المصطلحات العلمية الأكثر استخداماً في مجال الإعلام وبحوثه، بما يبين حدود استخدام هذه المصطلحات، والمعاني التي تحملها، والأبعاد المرتبطة بهذه المعاني، حتى يتعرف عليها الدارسون لمناهج البحث في هذا المجال.

أولاً ــ أهمية وضع تعريفات للمفاهيم والمصطلحات وأنواعها:

تعتبر هذه الخطوة من الأسس المنهجية في أي بحث علمي. ويرى مؤلفا كتاب القاموس الاجتماعي أن «تحديد المفاهيم يعني «توضيح مقاصد ومعاني وتصنيفات المصطلحات العلمية والفنية المستخدمة في البحث، ومحتوياتها الفكرية، وأبعادها العلمية والفنية. . . وفي حالة عدم تعريف المفاهيم من بداية الدراسة، فإن بعض الصعوبات قد تواجه القارىء في فهم الدراسة من بدايتها إلى نهايتها، وربما لا يستطيع استيعاب نتائجها النهائية»[3].

فالباحث عادةً ما يواجه ـ بعد تحديد مشكلة بحثه ـ ووضع الفروض المتصلة بها، بعض المصطلحات التي يجب عليه استخدامها في دراسته. وحتى يتجنب اللبس وسوء الفهم أو التفسير المتباين لبعضها، فإن الباحث يقوم بتحديد مفهومه لهذه المصطلحات تحديداً دقيقاً. . لأن ذلك يعد جزءاً من تحديد مشكلة البحث ذاتها.

فعلى سبيل المثال، فإن مصطلح «الدعاية المضادة» COUNTER PROPAGANDA. . يعطي معنيين هما:

1 ــ الدعاية الموجهة من بلد ضد بلد آخر.
2 ــ التصدي لدعاية معادية بإعداد خطط وحملات دعائية مضادة تفند وتكذب هذه الدعاية الموجهة.

ولذلك، فإن على الباحث، عند دراسته لهذا الموضوع أن يحدد التعريف الذي يعنيه لهذا المصطلح، إما التعريف الأول، أو التعريف الثاني، أو الاثنين معاً، وذلك وفقاً لطبيعة الموضوع الذي يدرسه، قبل البدء في عمليات البحث. . على أن يكون دقيقاً وواضحاً في ذلك. فإذا تم له هذا الأمر بنجاح، سُهل على القراء الذين يتابعون البحث، إدراك المعاني والأفكار التي يريد الباحث التعبير عنها، دون أن يختلفوا معه فيما يقول أو يذهب إليه.

وبما أن الاتجاهات والمواقف والآراء السائدة في المجتمعات، ليست ثابتة، وكغيرها من المسائل الأخرى، قابلة للتعديل والتبديل والإلغاء أيضاً، فقد يتبدل أو يتغير تبعاً لذلك مضمون المصطلح في المجتمع الواحد أكثر من مرة عبر المراحل التاريخية المختلفة. فمصطلح الديمقراطية مثلاً تبدل مفهومه أكثر من مرة، وتنوعت معانيه وفقاً للمنطلقات الفكرية للذين يستخدمون هذا المصطلح. .

ويرى عبد الباسط محمد حسن أن الاصطلاح أو المفهوم العلمي CONCEPT، يعد الوسيلة الرمزية SYMBOLIC التي يستعين بها الإنسان للتعبير

عن المعاني والأفكار المختلفة بغية توصيلها لغيره من الناس[4].

ويرى حسن الساعاتي أن المفهوم هو«الوسيلة الرمزية المختصرة والواضحة، التي يستعان بها للتعبير عن معنى أو معاني أو أفكار معينة يراد إيصالها إلى المعنيين بالموضوع الذي يراد فهمه توطئةً لتجليته ومعرفة تفاصيله[5].

ومن هنا، فقد برزت هذه المسألة المنهجية، في مجال البحث العلمي، كضرورة علمية اقتضت توضيح دلالات المصطلحات، خاصةً تلك التي «يحتمل التشابه والاختلاف في معانيها..»[6]. وذلك بسبب اختلاف الأفكار والمنطلقات العلمية والفكرية لمن يستخدمون المصطلح، طالما أنها «تنشأ نتيجة خبرات اجتماعية، وتجارب علمية يمر بها الإنسان. ولما كانت هذه الخبرات والتجارب تختلف باختلاف ظروف وصفات الأفراد والجماعات، فإن مفهوم المصطلح يختلف من فرد إلى آخر ومن بيئة علمية إلى أخرى»[7].

ومن جانبنا، فإننا نعني بتعريف المصطلحات، تلك الصفات أو الأفكار التي تطلق على لفظ معين، تبين دلالة هذا اللفظ، ومعناه، وأبعاده المختلفة، وحدود استخدامه. وهي لظروف نشأتها وتطورها بتطور المجتمعات غير ثابتة، وتحمل صفات التطور والتبدل والتغير تبعاً للظروف المحيطة بها.

ولهذا، فإن البعض يرى أن معظم المفاهيم التي يستخدمها العلماء هي «مفاهيم تجريدية ABSTRACT CONCEPTS أي أنها تهدف إلى التوضيح والتحديد، ولهذا فإنها لا تخرج عن كونها وسائل رمزية يعتمد عليها في التعبير عن المعاني والأفكار بغية وصولها للآخرين، وهي غالباً ما تعبر عن صفات مجردة توضح عناصر الشيء، وتحدد ماهيته، ومكوناته.

فقد تكون هذه الصفات بنائية أو وظيفية، فإذا كانت بنائية.. فإن مفهوم المصطلح هنا يكون مبنياً على الصفات العلمية التي يتكون منها المصطلح سواء أكانت هذه الصفات جوهرية بمعنى أنها تمثل حقيقة الشيء أو صفات عرضية بمعنى أنها تمثل جزئية من الجزئيات المكونة للشيء المراد تعريفه»[8].

أما إذا كانت الصفات التي أطلقت على المصطلح صفات وظيفية، فإن تعريف المصطلح هنا ينبغي أن يكون قائماً على الوظيفة أو المهمة التي يؤديها هذا المصطلح بما يساعد على فهم طبيعته ودوره.

وعلى ذلك فإن التعريف البنائي «هو تعريف اسمي أي أنه يعتمد على تعريف اللفظ بعبارة أو مرادف يساويه في الاستعمال المتفق عليه بين الناس ويطلق عليه كذلك التعريف القاموسي.

أما التعريف الوظيفي فهو تعريف اشتراطي، أي أنه يحدد ما ينبغي أن نفهم به المصطلح عند استعماله.

وقد ذكر (وايتهد WHITEHEAD) و (رسل RUSSELL) أن التعريف هو الإعلان بأن رمزاً معيناً قد هممنا باستعماله. . ونريد أن يكون معناه كذا»[9].

أما التعريف الوظيفي فهو التعريف الذي يقدمه الباحث لمصطلح معين يبين فيه إجراءات استخدامه للمصطلح في مجال القياس أو التجربة أو التفسير أو إبداء الرأي.

فالباحث الذي يعرف الإخراج الصحفي MAKE-UP بأنه «توزيع المواد التيوغرافية على سطح الصفحة البيضاء توزيعاً يستهدف عرضها بشكل جمالي يريح عين القارىء ويساعده ويغريه على القراءة، ويلفت النظر إلى الموضوعات الهامة ويدفعه إلى شراء الصحيفة»[10]. هذا الباحث يكون قاصداً أن يكون تعريفه لهذا المصطلح اسمياً. ولكن عندما يكون الباحث بصدد تحليل عناصر الإخراج الصحفي، والتي تتكون من المواد التيوغرافية كالنقطة والخط والحرف والعنوان والصورة والرسم وما إلى ذلك ودراستها للتعرف على اتجاهات الإخراج، فإن تعريفه لمصطلح الإخراج يكون تعريفاً اشتراطياً. وفي الحالتين لا يمكن وصف التعريف الأول بأنه صحيح، والثاني بأنه خطأ أو العكس. . ولكن يمكن وصف كل منهما بأنه مفيد، لأنه حقق اتصالاً للمعنى بين الباحث وقارىء البحث، وبين الباحث وإجراءات بحثه

ومدى حاجته إلى التعريف البنائي أو الوظيفي وفقاً لطبيعة البحث الذي يطلع به والمنهج الذي يستخدمه.

ويضيف فان دالين VAN DALIN بعداً ثالثاً لعملية تعريف مفاهيم المصطلحات، بما يعرف بالتعريف الإجرائي OPERATIONAL DEFINITION . . الذي يقترب من التعريف الوظيفي ولكنه يصل بالمصطلح إلى إجراءات استخدامه في البحث عن طريق الملاحظة والتجربة والقياس وتفسير النتائج وإبداء الرأي[11].

وقد ظهرت فكرة التعريف الإجرائي أو التعريف العملي «على يدي المدرسة العملية في التفكير، وتمثلت في أعمال عالم الطبيعة ف. و. بريدجمان[*] F.W. BRIDGMAN الذي دعا إلى أن كل مفهوم علمي، يجب أن يكون قابلاً للتحديد، بتحديد عملية ا ختبارية محددة له، تعطي معياراً معيناً لتطبيقه»[12].

وفي مجال العلوم الاجتماعية، يلجأ الباحث إلى التعريف الإجرائي خاصةً عندما لا يتفق الباحث مع ما كتب حول مفهوم المصطلح الذي ورد في مشكلة بحثه[13]. وأصبح له وجهة نظر أخرى نتيجة خبرته وقراءاته الدقيقة، فيحدد معنى المصطلح عنده، متضمناً الإجراءات العملية التي سيتعامل بها معه عند إجراء البحث. فقد تكون هذه الإجراءات تجريبية، اختبارية أو قياسية. وهكذا نلاحظ أن التعريف الإجرائي لا يتقيد بالشروط البنائية والوظيفية لتعريف المصطلح، لأنه يصل بتعريفه للمصطلح إلى أقصى ما يستطيعه الباحث من الوضوح في ذهنه، وذهن الذي يقرأ البحث.

(*) أعلن بريدجمان BRIDGMAN عن هذه الفكرة في كتابه THE LOGIC OF MODERN PHYSICS الذي صدر في مدينة نيويورك عام 1928. وقد أخذ الفكرة عنه عالم النفس الأمريكي طولمان TOLMAN ودعا إلى استخدامها في بحوث ودراسات علم النفس عندما أصدر كتابه «السلوك العرضي عند الإنسان والحيوان» PURPOSIVE BEHAVIOR IN ANIMAL AND MEN وذلك في عام 1932.

ويرى كيرلنجر KELINGER أن هناك نوعين من التعريفات الإجرائية :

أ ـ نوع متعلق بالقياس : أي يصف ويحدد طريقة قياس المتغير كتعريف الذكاء بطريقة تقودنا إلى قياس هذا المتغير من شخص إلى آخر.

ب ـ نوع متعلق بالتجربة: أي يشرح كيفية التعامل مع هذا المفهوم أثناء إجراء التجربة[41].

وبهذا يكون التعريف الإجرائي عبارة عن عملية لتعيين الأبعاد التي يمكن قياسها أو ملاحظتها في التعرف على ما يشير إليه المصطلح المحدد. ومثلما هناك مصطلحات يسهل تحديدها لأنها تعبر عن أشياء ملموسة، يمكن الإشارة إليها أو التعبير عنها بالحركة، هناك أيضاً مصطلحات يصعب تحديدها بدقة ووضوح لأنها تعبر عن أشياء غير ملموسة[51]، الأمر الذي جعل التعريفات الإجرائية لمصطلحات البحوث تواجه مشكلة أساسية ألا وهي مشكلة تحديد الظواهر موضوع البحث والذي يمكن استخدام التعريف الإجرائي في دراستها.

فإذا أردنا مثلاً التعرف على وجهة نظر فئة من المشاهدين لبرنامج تلفزيوني معين، فإننا نواجه بمشكلة التعرف على الإجراء المناسب لقياس هذه الاتجاهات. وقد أمكن التغلب على هذه المشكلة وغيرها من المشكلات المماثلة في البحوث الاجتماعية بحساب تكرارات وجهات النظر وتطبيق مقاييس(*) الاتجاهات مثل [رديء ـ جيد ـ ممتاز] أو بإعطاء درجات حسابية لهذا القياس مثل [1، 2، 3، 4، 5، ... 10].

ولأن مصطلحات العلوم الاجتماعية في معظمها مستمد من لغة الحياة العملية، فهناك حاجة ماسة إلى شرح وتحديد المصطلحات التي يستخدمها

(*) مثل مقياس جوتمان «أوافق بشدة، أوافق، لا أوافق».

الباحثون في هذا المجال. ولذلك فإن أكثر التعريفات في هذا المجال تجمع بين التعريفات الإسمية «البنائية» والاشتراطية «الوظيفية» والإجرائية «العملية». . وذلك في إطار المفردات اللغوية للعلم الذي ينتمي إليه موضوع البحث[16].

وقد استطاعت العلوم الاجتماعية أن تضع لنفسها كياناً واضحاً من المفاهيم التي تخص بها موضوعاتها. . ومن خلال هذه العملية ابتكرت آلاف من المصطلحات التي تم تنقيحها ووضعها من قواميس خاصة، مثل قاموس المصطلحات الاجتماعية وقاموس المصطلحات الإعلامية.

وتجدر الإشارة هنا، إلى أن المفهوم الذي يقدمه الباحث، يجب أن يرتبط بالتعريفات السابقة له ما أمكن، خاصةً إذا كانت هذه التعريفات من جنس العلم الذي ينتمي إليه البحث. . فكلما استطعنا ربط المفهوم العلمي بالتعريفات السابقة له، كلما أصبح من اليسير الوصول إلى تحديد دقيق لهذا المفهوم.

وفي الدراسات والبحوث الإعلامية، يستعين الباحث بعدد من المصطلحات في التعبير عن مشكلة بحثه، وبدون معرفة ما الذي يعنيه كل مصطلح منها، لا نستطيع تقييم البحث، أو تحديد ما إذا كان الباحث قد أجرى بحثه على ما تعنيه مشكلة بحثه أم لا. فالإعلام ينطوي على رصيد ضخم من المصطلحات والمتغيرات التي قد يعتمد عليها الباحث في التعبير عن مشكلة بحثه، وذلك مثل مصطلحات الإعلام الداخلي، والإعلام الخارجي، والسياسات الإعلامية، الدعاية، الدعاية المضادة، . . . الخ؛ وهنا فإن الباحث في هذا المجال مطالب بتوضيح مقاصده من استخدام مثل هذه المصطلحات أو بعضها، وذلك بتقديم تعريف لها، باعتبارها رموز لغوية. وترد هذه الخطوة تحت عنوان تعريف المصطلحات. وعلى الباحث أن يدرك أن التعريفات التي يقدمها ليست قوانين أو نظريات علمية، إنما هي مجرد قول قُصد به استخدام المصطلح بطريقة معينة.

طرق التعريف الإجرائي للمفهوم أو المصطلح:

يمكن للباحث وضع تعريفه للمصطلح أو المفهوم الذي ينوي استخدامه بإتباع الأساليب التالية:

أ ـ الرجوع إلى التعريفات السابقة للمصطلح، والقراءة المتأنية لها من البحوث التي تقع في إطار التخصص، وتحليلها، للوصول إلى النقاط المشتركة بينها.

ب ـ التحقق من الشروط الإسمية «البنائية» والوظيفية «الاشتراطية» للمصطلح، للتعرف على خصائصه ومكوناته، والتأكد من أنها تكفي لإجراء الدراسة أو لا تكفي لذلك.

جـ ـ وضع التعريف الإجرائي للمصطلح، إذا كانت نتائج التحقق لم تكف لمتطلبات الدراسة.. وهنا يجب على الباحث أن يضع معياراً محدداً لما يجب أن يدخل في نطاق الظاهرة محل البحث، وما لا يدخل.. وذلك بتحويل الأفكار النظرية المجردة إلى أشياء يمكن قياسها والتعبير عنها بشكل عملي. ولنضرب مثلاً لذلك.. إذا أراد الباحث أن يعرف الطفل كمفهوم يجري عليه البحث، فعليه أن يحدد المساحة العمرية للطفل، بدايتها ونهايتها، وذلك وفقاً لطبيعة المشكلة البحثية التي يدرسها. فإذا كان الطفل المعني بالبحث قارئاً لصحف الأطفال.. يكون من الخطأ تحديد بداية المساحة الزمنية بست سنوات مثلاً، لأن الطفل في مثل هذه السن لا يكون قارئاً.

د ـ التأكد من دقة التعريف، وذلك بإجراء اختبارات أولية عليه، ووضعه في صورة محكمة وموجزة ومعبرة عن الغرض الذي وضع من أجله.

وفي تقديري أن المغالاة في تعريف المفاهيم والمصطلحات، مسألة غير مقبولة في كل الحالات، طالما أن هناك العديد من المصطلحات التي يصعب تعريفها إجرائياً. ولذا لا ينبغي أن نجعل هذه المسألة تقف عقبة في

سبيل تقدم العلم، بل يكفي لاصطلاحاتنا معاني محددة وواضحة، طالما أن الغرض من ذلك تجنب اللبس، وتحديد ما يشير إليه المصطَلح بدقة.

وقد يعترض البعض على الاتجاه الإجرائي في وضع التعريفات، لأنه يتطلب جهداً. وقد يسأل الآخرون في كل صغيرة وكبيرة، ماذا يقصد الباحث بكذا، وماذا يعني بكذا... وقد تبدو هذه المسألة في وجهة نظر هؤلاء، مسألة لا نهاية لها.. ولعلنا نجيب على مثل هذا الاعتراض بالقول إن العيب ليس في الاتجاه الإجرائي، أو قلة التعريفات الإجرائية أو كثرتها، ولكنه عيب في الشخص الذي يصوغ المشكلة، ويضع فروضها، لأنه لم يفعل ذلك منذ البداية بطريقة إجرائية.

إن من أهم شروط التعريف الإجرائي للمصطلح «أن يكون محدداً لخصائصه، شاملاً لجميع الأشياء التي ينسحب عليها، قاصراً على جميع الأشياء التي لم يعبر عنها، مصاغاً بطريقة إيجابية، وبصورة لفظية محددة، تصف النشاط الذي سيقوم به الباحث عند استخدامه للمصطلح.. ولهذا يشترط ألا نعرف الشيء بنفسه، وألا يكون مجازياً أو غامضاً، بل يجب أن يكون جامعاً ومساوياً للمعرف»[17].

ثانياً ـ تعريف بعض المصطلحات المستخدمة في مجال الإعلام:

تضمنت الكتب المتخصصة في مجال الإعلام على الكثير من المفاهيم والمصطلحات. فقد بلغت هذه المفاهيم والمصطلحات رقماً يصعب حصره، خاصةً بعد ذلك التطور المذهل الذي تحقق في هذا المجال بفروعه وفنونه ووسائله المختلفة. ولذا فإن الإلمام بهذه المفاهيم والمصطلحات من جانب الدارسين والباحثين في هذا المجال، أصبح مسألة هامة. وبالطبع، فإن المقام لا يسمح بعرض كل المصطلحات أو معظمها.. ولذلك فإننا سنكتفي هنا بعرض بعض هذه المصطلحات، والتعريفات الشائعة لها، وذلك من واقع المعاجم والكتب والدراسات والبحوث التي تناولتها[18]:

1 ـــ الفورية: IMMEDIACY:

وتعنى نشر أو إذاعة الأخبار فور الحصول عليها وهي إحدى مقومات نشر الخبر.

2 ـــ قياس نسبة التعرض: AVERAGE AUDIENCE:

ويقصد بهذا المصطلح، تحديد معدل المشاهدة محدداً بالدقيقة، قياساً إلى ساعات الإرسال التلفزيوني على قناة واحدة أو أكثر حسب طبيعة الدراسة.

3 ـــ تفسير الأخبار: NEWS INTERPRETATION:

إحدى الوظائف التي تقوم بها وسائل الإعلام لشرح بعض الأخبار التي تتضمن معلومات لا تكون واضحة أو مفهومه بالنسبة للقراء أو المشاهدين أو المستمعين.

4 ـــ قناة إذاعية: AIR WAY:

مصطلح يقصد به الطريق الذي تسلكه الرسالة الإذاعية عبر ذبذبات لاسلكية معينة.

5 ـــ رأي عام دائم: ENDURING PUBLIC OPINION:

ويقصد به الرأي العام التقليدي أو المتوارث، لأنه ستمد من قيم المجتمع وتقاليده ومعتقداته.

6 ـــ التثقيف: ACCULURATION:

إحدى الوظائف التي تؤديها وسائل الاتصال لرفع المستوى الحضاري والفكري لدى المتلقى، والتأثير على سلوكه فكرياً واجتماعياً.

7 ـــ صحيفة محلية: LOCAL PRESS:

ويقصد بها الجريدة التي توزع على مستوى المدينة التي تصدر فيها، وتعنى بأخبارها والموضوعات التي تهم الناس المقيمين فيها.

8 ـــ صحيفة إقليمية: PROVENCIAL PRESS:

وهي صحيفة تصدر في إطار إقليم أو ولاية.. وتُعنى بنشر أخبار الإقليم والموضوعات التي تهم الناس المقيمين فيه.

9 ــ صحيفة قومية: NATIONAL PRESS:

مصطلح يشير إلى الصحف العامة التي توزع على مستوى الوطن كله.

10 ــ المتحدث الرسمي: SPOKES MAN:

الناطق بلسان هيئة أو جماعة أو دولة.. الخ، وتعتبر ما يدلي به من تصريحات وبيانات وأخبار، تعبيراً عن رأي الجهة التي يمثلها.

11 ــ أخبار غير متوقعة: UN EXPECTED NEWS:

هي الأخبار المفاجئة لإحداث لم يكن من المتوقع حدوثها مثل الزلازل والبراكين والأعاصير والانقلابات العسكرية.. الخ، ومثل هذه الأخبار تصبح مجال السبق والانفراد للصحف والإذاعات التي تحصل عليها أولاً.

12 ــ غسيل مخ: BRAIN WASHING:

عملية يقصد بها التعامل مع الذات الفردية يقصد تحوير تلك الذات إلى جرثومة ناقلة للعدوى الفكرية أو المذهبية من خلال عملية تحلل مقومات الشخصية وإعادة تشكيلها بما يتفق مع هذه الوظيفة.

13 ــ إبراز: EMPHASIS:

عنصر فني من عناصر الإخراج الصحفي.. ويعني إبراز مادة صحفية معينة، تأكيداً لأهميتها، بغرض لفت نظر القارىء إليها.. والإبراز متغير يمكن قياسه والتعرف عليه بصورة كمية سواء أكان على مستوى الصحيفة أو على مستوى القراء.

14 ــ الحرب النفسية: PYCHOLOGICAL WAR:

مصطلح يشير إلى عمليات التأثير في الأفكار والمعتقدات

وتستهدف تحطيم الروح المعنوية للخصوم، وتعتمد على الدعاية ونشر الشائعات والأخبار الكاذبة.

15 ـ القمر الصناعي: SATALLITE:

وسيط اتصال فضائي، يتحرك في مدار معين. يعمل كمحطة استقبال لإشارات أرضية، ليعيد إرسالها إلى محطات استقبال أرضية أخرى، منها: الأقمار المتزامنة، وتتحرك بنفس سرعة واتجاه دوران الأرض، والأقمار غير المتزامنة وهي عكس الأولى تماماً.

16 ـ السيناريو: SCRIPT:

مصطلح يستخدم للدلالة على النص المكتوب لفيلم أو تمثيلية، ويتضمن توضيحاً للصورة أو الموقف مع الحوار، مع ذكر بعض التفصيلات الفنية من حيث وضع الكاميرا وحجم اللقطة ونوعها. وفي الخيالة يطلق عليه FILMSCRIPT ويستخدم كمصطلح يبين ترتيب اللقطات مع الفيلم، وتفاصيل كل مشهد ووصفه على حدة على النحو المطلوب تنفيذه.

17 ـ الأسلوب الصحفي: JOURNALISTIC STYLE:

ويقصد به أسلوب الكتابة الصحفية، ويعتمد على الكلمات السهلة البسيطة والتركيبات اللغوية التي يمكن للقارىء العادي استيعابها.

18 ـ التوضيب: IMPOSITION:

ويعنى ترتيب مواد وأكليشيهات الصفحة بعد جمعها داخل إطار حديدي وذلك وفقاً لتوجيهات المخرج الصحفي تمهيداً لطباعتها.

19 ـ الحيل السينمائية: SHOOTING TRICKS:

ويقصد بها تلك العمليات الفنية الخاصة بتصوير بعض مناظر الخدع السينمائية.

20 ـ حملة: CAMPAIGN:

وتعنى تلك الجهود الإعلامية المكثفة والمستمرة لفترة من الوقت للنشر المستمر وبكافة الأساليب والوسائل لطرح ومناقشة ومتابعة موضوع معين، بغرض تحقيق هدف معين.

21 ـ دورية: PERIODICAL:

مطبوع يظهر في مواعيد ثابتة ومنتظمة وتحت اسم واحد.

22 ـ الشريحة المصورة: SLIDE:

صورة لمنظر أو مشروع أو لوحة في أفلام مصغرة، تستخدم في التلفزيون عادة لملىء الفراغ الزمني بين البرامج والفقرات أو أثناء انقطاع الإرسال.

23 ـ التوليف: «CUTTING «EDITING:

عملية تجميع اللقطات ووضعها في السياق الطبيعي كما وردت في النص الفني بعد إجراء عمليتي القطع واللصق، ويشترط في هذه العملية أن يكون التتابع صريحاً للعين والأذن معاً وأن يعبر عن موضوع الفيلم أو التمثيلة. ويطلق عليه لفظ مونتاج MOTAGE وهي كلمة فرنسية تدل على هذا المعنى. إنه باختصار تنقيح الأفلام والأشرطة بقطع الأجزاء غير المرغوب فيها أو استبعاد المادة غير المطلوبة.

24 ـ لقطة رئيسة: MASTER SHOT:

لقطة عامة توضيحية، تكشف معالم المنظر وتوضح العلاقة بين الأشخاص والأشياء التي تظهر في اللقطات التفصيلية التي يتم تصويرها بعد ذلك. وتوضع مثل هذه اللقطة في بداية الموقف عادة لمعرفة جغرافية المكان حتى يستقر في أذهان المشاهدين معالم الوسط الذي يجري فيه الحدث.

25 ـ الإضاءة التكميلية: FILLIN LIGHT - BOOSTER LIGHT - kICKER LIGHT:

وتعنى الإضاءة الإضافية التي تستخدم في تخفيف مناطق الظلال الناتجة عن مصادر الضوء الرئيسة أو في إنارة الجوانب الجانبية في المنظر، وتعرف كذلك بالإضاءة المخففة للظلال.

ثالثاً ــ تعريف بعض المصطلحات المستخدمة في بحوث الإعلام:

1 ــ دراسة اهتمامات القراء: READER INTEREST STUDY:

طريقة علمية للتعريف على مدى اهتمام قراء الصحف، بالمواد التي تنشرها الصحيفة، وأهم هذه المواد، وأكثرها جاذبية وإغراءً للقراء، وأهم الكتاب الذين يفضل القارىء موضوعاتهم.

2 ــ الاستبيان: QUESTIONNAIRE:

صحيفة تحتوي أسئلة توجه إلى عدد من القراء أو المشاهدين أو المستمعين، للتعرف على آرائهم في وسائل الإعلام أو ما تقدمه من مواد وبرامج.

3 ــ خطة البحث ـ تصميم البحث: RESEARCH DESIGN:

الهيكل المبدئي للبحث. ويتضمن تعريفاً لمشكلة البحث وفروضه ومصطلحاته ومنهجه ووسائل جمع بياناته ومعلوماته وأسلوب تنفيذه.

4 ــ مقابلة مفتوحة: OPEN - INTERVIEW:

تعبير يطلق على المقابلات التي تجري بغرض جمع معلومات من المبحوثين، وتعتمد على الأسئلة غير المعدة سلفاً.

5 ــ مضمون الاتصال: COMMUNICATION CONTENT:

المعنى والمغزى والهدف الذي تتضمنه الرسالة الإعلامية في عملية الاتصال بين مرسل ومستقبل.

6 ــ مضمون الدعاية: CONTENT OF PROPAGANDA:

الأهداف الحقيقية الكامنة في دعاية موجهة، بهدف نشر أفكار

معينة وحث الآخرين على الاقتناع بها.

7 ـ العينة العرضية: ACCIDENTAL SAMPLE:

عينة يتم اختيارها عن طريق الصدفة البحتة.

8 ـ عينة الحصة: QUOTA SAMPLE:

عينة من مجتمع معين للبحث، يتم انتقاؤها لتمثل كل فئات المجتمع تمثيلاً دقيقاً.

9 ـ الاقتباس: QUOTATION:

جملة أو فقرة مقتبسة على سبيل الاستشهاد.

10 ـ العوامل الوسيطة: MEDIATOR FACTORS:

هي العوامل التي تساعد وسائل الإعلام على التأثير في أفكار الناس وآرائهم واتجاهاتهم. ومن هذه العوامل تربية الفرد، وتنشئته ومعتقداته وأفكاره السابقة.

11 ـ تحليل المضمون ـ تحليل المحتوى: CONTENT ANALYSIS:

أسلوب من أساليب البحث العلمي في مجال بحوث الإعلام بصفة خاصة. وقد وردت له عدة تعريفات من بينها التعريف الذي أورده هولستي HOLSTI, O.R. والذي يقرأ «طريقة بحث متعددة الأغراض وجدت للبحث في أنواع عديدة من المشكلات، التي يعتبر محتوى ما فيها ـ من وسائل اتصال ـ بمثابة الأساس المرجعي للبحث».

12 ـ المنهج التاريخي: HISTORICAL METHOD:

منهج في البحث يعتمد على الرجوع إلى مصادر المعلومات التي تناولت الظاهرة التاريخية في الماضي وتحليلها للحصول على بيانات مفصلة عنها وعن المرحلة التي شهدت الظاهرة.

13 ـ تحليل مشكلة البحث: ANALYSIS OF RESEARCH PROBLEM:

عملية ذهنية يقوم بها الباحث بغرض التعرف على العوامل أو

المتغيرات التي تتكون منها مشكلة البحث.

14 ــ التحليل العاملي: FACTOR ANALYSIS:

عملية ذهنية يقوم بها الباحث بعد تحديده لمتغيرات الدراسة وذلك بوضع مؤشرات لكل متغير تمهيداً للكشف عن ارتباط المتغيرات مع بعضها البعض.

15 ــ المتغير: VARIABLE:

مفهوم تجريبي يتضمن قيمة واحدة أو عدة قيم مثل يشاهد بانتظام ـ يشاهد أحياناً ـ لا يشاهد.

16 ــ المتغير المستقل: INDEPENDENT VARIABLE:

ويقصد به العامل الذي يسبب الظاهرة.

17 ــ المتغير التابع: DEPENDENT VARIABLE:

ويقصد به العامل الذي يتبع العامل المستقل، وهو العامل الذي يظهر كنتيجة للعامل المستقل.

18 ــ متغير متداخل: INTERNAL VARIABLE:

ويقصد به العامل الذي يوجد بين المتغير المستقل والمتغير التابع.

19 ــ دراسة ارتباطية: CORRELATION STUDY:

نوع من البحوث التي تهتم بدراسة العلاقات المتبادلة بين المتغيرات، وفيها يقوم الباحث بتحليل العلاقة بين المتغيرات التي تتحكم في الظاهرة وتحديد حركتها، واتجاهها، وتقدير أبعادها، وأهميتها في التأثير الكلي على الظاهرة. ولإجراء هذا النوع من الدراسات يستلزم الأمر استخدام مقياس SCALE إحصائي هو معامل الارتباط.

20 ــ المنهجية: METHODOLOGY:

وتعني مجموعة العومل والعمليات والأدوات والمصادر

والطرق والأساليب العلمية التي يستخدمها الباحث في جمع وتحليل وتفسير البيانات المطلوبة للبحث.

21 ــ الإطار النظري للبحث: THEORITICAL FRAME WORK OF THE RESEARCH:

ويقصد بهذا المصطلح النظريات والمعلومات ونتائج البحوث والدراسات السابقة، التي تُؤَمن الإطار المرجعي للبحث الذي يمكن الباحث من إجراء التحليلات والتفسيرات للتساؤلات والفروض التي تبناها الباحث في دراسته.

22 ــ المجموعة الضابطة: CONTROL GROUP:

وهي المجموعة التي لا تخضع للتجربة. ومهمتها إجراء المقارنة بينها وبين المجموعة التجريبية EXPERIMENTAL GROUP التي تخضع للتجربة. ويتم اختيارهما على أسس واحدة.

23 ــ دراسة استطلاعية: PILOT STUDY:

بحث ميداني يجري على نطاق ضيق. ويمكن الاستفادة من نتائجه لإجراء بحوث ميدانية واسعة.

24 ــ الشواهد العلمية: SCIENTIFIC EVIDENCES:

ويعنى الأدلة التي يقدمها الباحث كعناصر تدعم تحليلاته والخلاصات التي توصل إليها. وتأخذ شكلين: شواهد كمية، وشواهد كيفية.

25 ــ بحث: RESEARCH:

عمل ميداني أو تطبيقي تجمع بياناته من مفردات البحث مباشرة.

26 ــ دراسة: STUDY:

عمل ذهني يعتمد على معلومات يتم جمعها من الكتب والدوريات النشرات الرسمية.. وغير ذلك من المراجع العلمية[19].

مراجع الفصل

(1) فيصل السالم، توثيق فرح، قاموس التحليل الاجتماعي، مجموعة أبحاث الشرق الأوسط، الكويت ـ كاليفورنيا، دار المثلث للتصميم والطباعة والنشر، لبنان، 1980، ص 3.

(2) دالين ديوبولد. ب. فان، مناهج البحث في التربية وعلم النفس، ترجمة محمد نبيل نوفل وآخرين، ط 3، الأنجلو المصرية، القاهرة، 1985، ص 191.

(3) فيصل السالم، توثيق فرح، مرجع سابق، ص 4.

(4) عبد الباسط محمد حسن، أصول البحث الاجتماعي، الطبعة الثالثة، دار النهضة العربية، القاهرة، 1968، ص 182.

(5) حسن الساعاتي، تصميم البحوث الاجتماعي: نسقه منهجي جديد، دار النهضة العربية، بيروت، 1982، ص 9.

(6) نجوى قصاب، ما المقصود بتحرير المرأة؟ بحث مقدم إلى ندوة المرأة في المجتمع العربي، جامعة قاريونس، بنغازي، أكتوبر 1989، ص 1.

(7) WELDON T.D, VOCOBULAIRY OF POLITICS, H. COMPANY, LONDON, 1953, PP. 56 - 57.

(8) DAVIS. K, HUMAN SOCIETY, NEW YORK, THE MACMILLAN CO, THIRD EDITION, 1987, P. 13.

(9) الواثق بالله عبد المنعم، المنطق ومناهج البحث العلمي، ب. ن، ب. ت، ص 37، 38.

(10) أحمد حسين الصاوي، طباعة الصحف وإخراجها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1965، ص 18.

(11) فان دالين، مرجع سابق، ص 192.

(12) نوال محمد عمر، مناهج البحث الاجتماعية والإعلامية، الأنجلو المصرية، القاهرة، 1986، ص 36.
(13) محمد عماد الدين إسماعيل، المنهج العلمي وتفسير السلوك، ط 3، النهضة المصرية، القاهرة، 1978، ص 205.
(14) KELINGER في محمد الوفائي، مناهج البحث في الدراسات الاجتماعية والإعلامية، ط 1، الأنجلو المصرية، القاهرة، 1989، ص 26.
انظر كذلك: محمد الغريب عبد الكريم، البحث العلمي: التصميم والمنهج والإجراءات، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1982، ص 77.
(15) عبد الباسط محمد حسن، مرجع سابق، ص 164، 168.
(16) GLASER, B.G. and STRAUSS, A.L, THE DISCOVERY OF GROUNDED THEORY, ALDINE, CHICAGO, 1967, P. 126.
(17) إحسان محمد الحسن، الأسس العلمية لمناهج البحث الاجتماعي، دار الطليعة، بيروت، 1981، ص 186، 188.
(18) عبد الباسط محمد حسن، مرجع سابق، ص 186 – 188.
(19) مراجع المصطلحات:
- كرم شلبي، معجم المصطلحات الإعلامية، دار الشروق، القاهرة، ط 1، 1989
- عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي، النهضة العربية، القاهرة، 1968
- عمار بوحوش، دليل الباحث في المنهجية وكتابة الرسائل الجامعية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985
- معن خليل عمر، الموضوعية والتحليل في البحث الاجتماعي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1983
- عدلي سيد محمد رضا، البناء الدرامي في الراديو والتلفزيون، دار الفكر العربي، القاهرة، 1988
- تيرنس سان جون مارنر، الإخراج السينمائي، ترجمة أحمد الحضري، الهيئة المصرية للكتاب، 1983
- يوسف مرزوق، الخدمة الإخبارية في الإذاعة الصوتية: دراسة حول القائم بالأخبار، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1988

ـ شاهيناز طلعت، الرأي العام، الأنجلو المصرية، القاهرة، 1982
ـ حامد ربيع، الحرب النفسية في الوطن العربي، دار واسط للدراسات والنشر والتوزيع، بغداد، 1989
ـ سمير محمد حسين، بحوث الإعلام: الأسس والمبادىء، عالم الكتب، القاهرة، 1976
ـ طلعت همام، سين وجيم عن البحث العلمي، مؤسسة الرسالة، الأردن، 1984.

الفصل الثالث

الملاحظة في بحوث الإعلام

تعتبر الملاحظة من أقدم الوسائل التي عرفها الإنسان، واستخدمها في جمع المعلومات عما يحيط به من ظواهر، في البيئة أو المجتمع الذي يعيش فيه. وهو لا يزال يستخدمها في حياته اليومية لفهم كثير من المواقف التي توجد من حوله. ففي الحالات الطبيعية، فالناس عادة ما يحصلون على معظم ما لديهم من معلومات عن طريق الملاحظة، وهم أيضاً يكونون آراؤهم واتجاهاتهم عن طريق الملاحظة. وفي بعض الأحيان تكون نتائج ملاحظاتهم صحيحة، ولكنها غير مبرهنة أو تكون خاطئة، وتسود على أنها الرأي الصحيح[1].

وفي مجال البحث العلمي، فقد أثبت واقع الممارسة، استخدام الملاحظة بفاعلية في جمع البيانات والمعلومات لمختلف أنواع الدراسات، ولذلك فقد أجمعت الكتب والمراجع، على أن الملاحظة تعتبر من أهم الوسائل في أي بحث تقريباً. وخاصة في دراسة تلك الظواهر، التي يصعب فهمها فهماً حقيقياً إلا من خلال المشاهدة العينية.

وفي مجال العلوم الاجتماعية، أكد واقع الدراسات الاجتماعية والنفسية والتربوية، أن الملاحظة تعد من أنجع أساليب البحث العلمي في دراسة الظواهر التي تتصل بالسلوك والتصرفات والمواقف، وخاصة «تلك التي يبدي فيها المبحوثون نوعاً من المقاومة للباحث ويرفضون الإجابة على أسئلته أو يكذبون عليه»[2].

وفي مجال الدراسات والبحوث الإعلامية، احتلت الملاحظة مكانة هامة، وخاصة في دراسة الظواهر التي تتصل بعادات المشاهدة، والقراءة، والاستماع إلى الإذاعة، وطريقة شراء الصحف، وقياس السلوك المترتب على مثل هذه العادات، حيث أثبت واقع الدراسات إمكانية ملاحظة مثل هذه المواقف بفاعلية عن طريق رؤية العين.

والملاحظة في موضع البحث، عملية مقصودة لا تتم بمحض الصدفة، كما أنها ليست مجرد المشاهدة لما يحدث، وتسجيل ما قد يطرأ أو يظهر عن تحول أو تبدل في الظاهرة أو الموقف.. فهي عملية حسية وعقلية في آن واحد[3]، وهي محاولة عقلية لتفسير الظواهر وفهمها إلى حد ما.. لأنها تتضمن تدخلاً إيجابياً من جانب العقل الذي يقوم بعملية الإدراك والفهم والتفسير المحتمل، لواقع الظاهرة وأسبابها.. وما إلى ذلك. وفي هذا يقول العالم الفرنسي كلورد برنارد: «إن الإنسان يدرك الملاحظة بحواسه، ولأن الحواس لا تكفي لمعرفة الظواهر، هنا يتدخل العقل الذي به الإدراك للارتقاء بالملاحظة الحسية، أي الارتقاء بالإحساس إلى الإدراك عن طريق التأمل والتعمق لمحاولة فهم الظاهرة»[4].

وتأخذ ملاحظات الباحثين عدة أشكال. وهي في كل شكل من أشكالها، ذات وظيفة خاصة. كما تشمل الملاحظة عدة ميادين، وفي كل ميدان يتلمس الباحث عن طريقها قدراً محدداً من السيطرة على عناصرها، وفي الحالتين، فالمسألة رهينة بأغراض البحث ومجاله وأسلوبه.

فقد يقوم الباحث بملاحظة بعض الظواهر التي يستطيع السيطرة على عناصرها، كما يحدث في ملاحظة التجارب التي تحدث في المعامل، والتي تقع في مجال العلوم الطبيعية، أو قد يقوم بملاحظة الظواهر التي لا يستطيع التأثير على عناصرها كما يحدث في علم الفلك أو ظواهر الطبيعة كظاهرة المد والجزر في البحار، ودراسات عالم الحيوان والمجتمعات البدائية وما إلى ذلك.

وقد يقوم الباحث بملاحظة الظواهر للكشف عنها، وفهمها دون السيطرة عليها أو التأثير فيها، كما يحدث في دراسة بعض الظواهر الاجتماعية.

وقد يقوم الباحث بملاحظة الظاهرة بنفسه، أو عن طريق فريق من الملاحظين يقوم الباحث بتدريبهم.. وقد يجري الباحث الملاحظة معتمداً على حواسه أو مستعيناً بالأدوات والآلات التي يعينه على دقة الملاحظة وشمولها وسد النقص الطبيعي من حواس الإنسان كالآلات التكبير والتصوير والتسجيل والقياس والشاشة البصرية وما إلى ذلك.

والباحث في استخدامه للملاحظة في كل الأحوال السابقة، يكون مستخدماً لها حسب طبيعة موضوعة، وقدر حاجته إلى الملاحظة، ونوعها.

أنـــواع الملاحـظـــة:

تتعدد أنواع الملاحظة حسب طبيعة البحث، وطبيعة استخدام كل نوع من أنواع الملاحظة، كما تتصل إلى حد كبير برؤية الباحث الخاصة لكيفية استخدامه للملاحظة سواء أكان الأمر بالنسبة لاستخدامها في التعرف على المشكلة العلمية، أو جمع البيانات حولها، أو في استخدامها كأسلوب من أساليب البحث.

ومن بين أنواع الملاحظة:

1 ــ الملاحظـة العابـرة:

وهي الملاحظة التي يقوم بها الفرد العادي، ولا تنطوي على أية ارتباطات علمية، وتحدث بصورة سريعة، يقوم بها الإنسان في ظروف حياته العادية، ولا تستهدف الكشف عن حقائق علمية محددة. وتقف هذه الملاحظة عند حد المواقف العملية المحدودة، والقاصرة أو غير القادرة على تفسير الظواهر تفسيراً علمياً للوصول إلى أسبابها الحقيقية. فهي التي تسعى إلى الشخص دون أن يسعى هو إليها، أي أنها تتم دون قصد، وتختلف من

شخص إلى آخر، فهي لا تعني أية دلالة عند الشخص العادي، الذي لا يمتلك الحس البحثي، وبالتالي لا تثير الملاحظة العابرة لديه أي إثارة غير طبيعية. ويطلق الدكتور محمود قاسم على الملاحظة العابرة صفة «الملاحظة الفجة» على اعتبار أنها ملاحظة سريعة يقوم بها الإنسان في ظروف الحياة العادية، ولا ترمي إلى تحقيق غاية أو الكشف عن حقيقة علمية[5].

وقد أوحت الملاحظة العابرة أو الفجة في مرحلة سابقة، لبعض ذوي العبقرية، بالكشف عن بعض القوانين الكبرى في الطبيعة. فقد توصل جاليليو إلى قانون سقوط الأجسام، ونيوتن إلى قانون الجاذبية[6] عن طريق الملاحظة العابرة. . الأمر الذي يدل على أن الملاحظة العابرة، وإن كانت لا تعني شيئاً عند الإنسان العادي، إلا أنها عند الباحث الذي يتعقب الظواهر تعني دلالة علمية هامة، تثير أكثر من معنى وإحساس بوجود شيء ما يستحق التفكير، وبالتالي فهي أساس الملاحظة العلمية الموجهة وامتداد لها.

2 ــ الملاحظة العامة:

وهي الملاحظة التي يقوم بها الباحث في مراحل بحثه الأولى. . دون التقيد بنظام معين، حيث تستلفت انتباهه بعض المواقف أو الظواهر التي تثير في ذهنه أسئلة محيرة، قد تقوده إلى التعرف على مشكلة علمية أو موقف غامض. . مثال ذلك الباحث الذي قدم لمشروع بحثه مبيناً كيف قادته الملاحظة العامة إلى التفكير في الموقف، وبالتالي التعرف على المشكلة العلمية التي تقدم لدراستها.

يقول الباحث: «لقد بدأت العمل في المجال الإذاعي منذ عام 1965، وعملت في شتى المجالات والمهام الإذاعية على اختلاف أنواعها. . حيث التعامل بشكل مباشر مع المادة الإذاعية تخطيطاً وإعداداً وتنفيذاً، وذلك بحكم طبيعة التخصص كمخرج. . وبذلك اتجه اهتمامي إلى متابعة ردود الفعل عند المتلقين. . ومن خلال ردود الفعل بواسطة الهاتف والاتصال المباشر والبريد، اتضح لي أن البرامج التي تحتوي على طابع ثقافي تعاني من

عدم استقبال جيد من طرف المشاهدين، وكان ذلك، إما بالرفض التام لتلك البرامج، وإما بمحدودية المشاهدين لها، وإما بعدم اكتراث المشاهدين بما يبث من برامج ذات طابع ثقافي.. كما لوحظ أن هذه البرامج بالرغم من أهميتها بالنسبة للمشاهدين، إلا أنها تعاني من عزوف المشاهدين عنها الأمر الذي يشكل خسارة كبيرة للطرفين «الإذاعة والجمهور»[7].

ومن واقع المثال السابق، نستدل على أن الملاحظة العامة، قد قادت الباحث إلى التعرف على المشكلة العلمية، ولكنها لم تمكنه من إطلاق حكم عليها أو الإجابة على السؤال المهم لماذا عزوف المشاهدين عن البرامج الثقافية؟ وفي نفس الوقت، فإن الباحث لا يستطيع الاعتماد على نتائج الملاحظة العامة، في الإجابة على السؤال السابق ذكره. لأن الملاحظة العامة إذا ما اعتمد عليها في تفسير الظواهر فإنها ستقود إلى إصدار أحكام متسرعة ومجحفة ولذلك لا يعول كثيراً على نتائج الملاحظة العامة لعدم موضوعيتها وعلميتها وعمقها الإدراكي.. إلا أن فائدتها كبيرة للبحث العلمي، وللباحثين، إذ أنها تقودهم إلى الكشف أو التعرف على المشكلات التي تستحق الدراسة أو الحل.. وكذلك إلى وضع الفروض أو صياغة التساؤلات التي تتضمن ـ في واقع الأمر ـ «رؤيةً وتصوراً مبدئياً للباحث يعينه على حل المشكلة أو دراستها»[8].

3 ـ الملاحظة العلمية:

هي الملاحظة المنهجية التي يقوم بها الباحث مستهدفاً الكشف عن تفاصيل الظواهر والعلاقات الخفية التي يحتمل أن توجد بين عناصرها أو بينها وبين الظواهر الأخرى[9].

والشرط الرئيسي الذي يحكم الملاحظة العلمية، أن تتم بموضوعية وحيدة وتجرد، وأن تبتعد عن الذات والخلفيات الشخصية.

وإذا كانت الملاحظة العامة تقود الباحث إلى التعرف على المشكلات العلمية، فإن الملاحظة العلمية تمثل أسلوباً من أساليب جمع البيانات

والمعلومات في مختلف أنواع البحوث. كما أن دورها يمتد إلى أبعد من ذلك، إلى كونها أسلوباً من أساليب البحث العلمي، وركناً من أركان المنهج العلمي، الذي يقود إلى النتائج كما سيرد توضيحه. . عند الحديث عن استخدام الملاحظة في بحوث الإعلام.

خصائص الملاحظة العلمية:

تختلف الملاحظة العلمية عن الملاحظتين العابرة والعامة في الخصائص التي تتميز بها وأهمها:

1 ــ إنها ملاحظة مقصودة، يقوم بها الباحث متعمداً الكشف عن عناصر أو مكونات في داخل الظاهرة، أو متغيرات تربط الظواهر، أو المواقف بعضها البعض.

2 ــ إنها تتسم بعنصري الوضوح والغرضية، لأن الباحث هنا يكون واضحاً في الكشف عن هدفه، وبالتالي يحدد غرضه من البحث[10].

3 ــ إنها ملاحظة منظمة تتم بشكل دقيق ومرتب، استناداً إلى تسلسل وقوع الظاهرة أو حدوث الموقف أو السلوك بشكل موضوعي[11]. وتتم وفقاً لأسس يتم تحديدها قبل إجراء الملاحظة مثل أهداف الملاحظة، والجوانب المراد ملاحظتها، وعدد مرات الملاحظة، وطول فترة الملاحظة، وما إلى ذلك.

4 ــ إنها ملاحظة مضبوطة، يقوم بها الباحث تحت ظروف محددة بوضوح، حيث يمكن للآخرين، إعادتها ومراجعة نتائجها.

5 ــ إنها ملاحظة موضوعية يتم رصدها، وتسجيلها ووصفها، وتفسيرها دون تدخل من الباحث[12].

أنواع الملاحظة العلمية:

للملاحظة العلمية أنواع متعددة، يعتمد كل نوع منها على أسلوب

إجراء الملاحظة، وطريقة إجرائها. . ودرجة إخضاعها للضبط العلمي. وفي تقديرنا أن الأنواع التالية هي أكثر الأنواع استخداماً في مجال بحوث الإعلام، وهي:

أ ــ الملاحظة الساكنة: وهي الملاحظة التي تقتصر على معاينة الظواهر أو المواقف في وضعها الطبيعي، دون التدخل في حالتها أو محاولة تغييرها أو تعديلها، والملاحظة هنا تمثل نقطة ارتكاز بالنسبة للفكر الذي يستدل به في دراسة الظاهرة أو جمع معلومات أو بيانات حولها.

ويصلح هذا النوع من أنواع الملاحظة العلمية في الدراسات الإعلامية شبه التجريبية، وخاصة الدراسات السببية المقارنة، ودراسات تحليل المحتوى.

ب ــ الملاحظة النشطة: وهي الملاحظة التي تحاول إعمال الفكر لتجاوز دراسة الظاهرة بالمعاينة في وضعها الطبيعي، إلى تكوين فكرة عنها، واستخلاص نتائج حولها. . وتمثل الملاحظة النشطة، نقطة الارتكاز للفكر الذي يستخلصه[13].

جـ ــ الملاحظة بالمشاركة: تتم عن طريق مشاركة الباحث، أو تفاعله أو اندماجه في الظاهرة، أو مجتمع البحث الذي يشكل إطاراً للظاهرة، أو الموقف المراد دراسته. . بحيث يصبح الباحث جزء من الظاهرة التي يلاحظها. .

ويلجأ الباحث إلى هذا النوع من أنواع الملاحظة خاصة في الدراسات الاجتماعية، عندما يحاول الباحث التعرف على الجوانب المختلفة للظاهرة أو فهم إطاراتها المرجعية، أو الوصول إلى عناصر جوهرية يصعب الوصول إليها، إلا بالتفاعل مع الظاهرة ومعايشتها.

وهناك اختلاف في درجات المشاركة ونوعيتها. وتتراوح هذه الدرجات، بين الباحث الذي يبقى خارج الظاهرة تماماً والذي يكون مشاركاً فعلياً فيها.

ويرى وولكوت WOLCOTT، أن الملاحظة بالمشاركة تكتنفها مخاطر كثيرة، أبرزها القدرة على ترجمة الملاحظة بالمشاركة إلى تقرير ذي معنى يمكن قراءته، والاستفادة منه. وإذا لم يتمكن الباحث الملاحظ من القيام بهذا العمل، فإن الملاحظة بالمشاركة في هذه الحالة لن تكسبه إلا خبرة في التعامل مع الظاهرة، وتكون الفائدة هنا أقل قياساً إلى الوقت والجهد الذي بذله في القيام بها[14].

وفي تقديري، واستناداً إلى محددات الملاحظة وأسلوب تنفيذها، فإن الملاحظة بالمشاركة يمكن تقسيمها إلى نوعين رئيسيين هما:

* ملاحظة مقيدة: وتتجه المشاركة فيها لجمع بيانات وصفية بسيطة وتحتاج إلى إطار وتنظيم فكري «استمارة جدول» يحدد نوع المعلومات المطلوبة.

* ملاحظة مفتوحة: وتتجه المشاركة فيها لجمع بيانات متشعبة حول السلوك أو الموقف، وخاصة أثناء إجراء الدراسات الميدانية، والتي تتطلب مشاهدة بعض ظروف المبحوثين والتعرف على أوجه نشاطاتهم في حياتهم اليومية. وفي الملاحظة المفتوحة يتمتع الباحث باختيار مضمون ملاحظته بعكس الملاحظة المقيدة.

وفي تقديرنا، أن الملاحظة على الرغم من فاعليتها في التعرف على المشكلات العلمية، وجمع البيانات ودراستها وتحليلها وفي مختلف مراحل الدراسة، إلا أنها وفي ذات الوقت، لا تكفي في معظم الأحوال بتلبية كل ما نحتاج إليه من بيانات أو تحليلات وخاصة في الدراسة التجريبية. . ولذلك فهناك من يضع «التجربة بغرض الاطلاع» ضمن أنواع الملاحظة العلمية، على اعتبار أن هذا النوع من التجارب يقود الباحث إلى التعرف على المشكلات العلمية، وجمع بيانات أو معلومات حول هذه المشكلات.

ولا بأس في ذلك، وسنؤجل مناقشة هذا الأمر إلى الفصل الرابع، الذي سنتناول فيه التجربة في بحوث الإعلام.

مزايـا وعيــوب الملاحظـة:

يحذر بعض الباحثين من الاعتماد الكلي على الملاحظة لما لها من عيوب قد تؤدي بالباحث إلى نتائج غير دقيقة، من الناحية العلمية. بينما يتحمس آخرون للملاحظة واستخدامها في البحث العلمي، على اعتبار أن لها من المزايا ما يجعل الاستفادة منها أمراً ممكناً وضرورياً في ذات الوقت.

والحقيقة في سعينا إلى المراجع والكتب التي تناولت موضوع الملاحظة، لاحظنا خلطاً واضحاً بين مميزات الملاحظة.. وبين الملاحظة كوسيلة لجمع المعلومات والبيانات. وفي تقديرنا أن الميزة الأساسية للملاحظة تكمن في أنها تتيح للباحث الفرصة لتكوين رؤية مقنعة للظاهرة التي ينوي دراستها، وخاصة الدراسات الاجتماعية ذات الطبيعة الميدانية، لأنها تمكن الباحث من وصف البيئة أو الظروف التي تصاحب الظاهرة، وهي ظروف يصعب تجاهلها عند دراسة الظواهر الاجتماعية، والمواقف السلوكية، لأن الظاهرة الاجتماعية هي نتاج للبيئة التي ظهرت فيها، سواء أكان ذلك بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

وفيما يتصل بعيوب الملاحظة، فقد لاحظنا أن العيب الأساسي للملاحظة، والذي أجمعت عليه معظم الكتب والمؤلفات ـ التي وقعت تحت أيدينا ـ يكمن في أن الباحث الذي يقوم بالملاحظة، هو في ذاته الأمر بشر، ذو طاقات وقدرات محدودة، ومعرض لأخطاء التحيز والأهواء الشخصية والمعتقدات والآراء الخاصة، بينما نحن وفي صدد البحث العلمي بحاجة إلى الموضوعية التي تقدم نتائج البحوث في حيدة ودون تحيز. وأن الباحث قد يقع في هذا العيب متعمداً أو غير متعمد، إلا أنه وفي الحالتين، ستؤدي به الملاحظة، إلى عدم دقة النتائج المرتبة على المعلومات التي تم جمعها عن طريق الملاحظة. كما أن النتائج قد يغلب عليها الطابع الشخصي لأنها ستختلط «بالخبرة التفسيرية للباحث»[15]، الأمر الذي «يسمح بتدخل العوامل

الذاتية»[16]، ويقع الباحث فيما يسمى بخداع الذات والتي تتحكم فيه العوامل الشخصية»[17].

أما ما يتصل بالعيوب الأخرى فيمكن سردها في النقاط التالية:

1 ـ من الصعب على الملاحظ الوقوف على جميع الظروف المحيطة بالظاهرة، وتفاصيلها، نظراً لشدة تركيب الظواهر الاجتماعية وتداخلها، مع صعوبة ملاحظة كل جوانبها في وقت واحد. كما أن هناك بعض الموضوعات التي يصعب ملاحظتها، إما لأنها لا تحدث إلا في حالات نادرة، أو إما أنها لا تحدث في العلن، أو أنها لا تمكن الباحث من التنبؤ مقدماً بحدوثها[18].

2 ـ إن الباحث يلاحظ ما يريد ملاحظته في الغالب والأعم، وهذا هو جوهر التحيز، لأنه خاضع لأفكار مسبقة تتعلق بأفكار بحثه، وهذا من شأنه أن يعطي الباحث نظرةً جزئيةً للظاهرة أو الموقف أو السلوك موضع الملاحظة[19]. بينما المفروض أن يكون الباحث مصوراً للواقع كما هو، لا أن يختار ما يلاحظه وما يهمه. إلا أن باحثاً من جامعة لويزيانا يرى أن اتساع وضخامة بعض الظواهر تجعل تسجيل الملاحظات أمراً عسيراً ما لم يكن لدى الباحث فكرة محددة عن الجوانب التي يرغب في دراستها، وهذا أمر تحدده أهداف البحث وطبيعة المشكلة محل الدراسة[20].

3 ـ إن تعاطف الباحث مع المجموعة التي يدرسها، مع صعوبة التخلص من هذا الشعور من شأنه أن يفقد الباحث القدرة على كتابة ملاحظاته بالدقة المطلوبة. فالاندماج الكلي يجعل الباحث يحس بأن كل شيء أصبح عادياً لا يستحق التسجيل[21].

4 ـ إن وجود الباحث أمام المبحوثين، يؤثر على سلوكهم الاعتيادي، وربما يمارس المبحوثون أمام المبحوث نوعاً من العند أو المبالغة مثال ذلك الدراسة التي قام بها «إيفانز» لمجتمع النوير في جنوب السودان

عام 1962 حيث لم يسمح له بالعيش معهم[22].

إن هذه العيوب في مجملها تجعل الباحث يقع في خطأ التحيز ويضعه موضع الشك العلمي. إلا أنه يمكن التغلب على هذه المشكلة ـ إلى حد كبير ـ بأن يتولى أكثر من باحث تسجيل ملاحظاتهم حول الموقف أو الظاهرة محل البحث، ثم يعقدون اجتماعات فردية وجماعية لتنقية النتائج التي تم الاتفاق عليها من أي اتجاهات متحيزة.

ويرى د. معن خليل، إن تحقيق موضوعية الملاحظة يتم من خلال تسجيلها. . وهذا يقتضي من الباحث حصر انتباهه وتركيز فكرة في تسجيل ملاحظاته، متحرراً من رواسب العادات والتقاليد والعرف الاجتماعي[23].

وبمعنى آخر، إجراء الملاحظة دون فكرة سابقة، وأن يكون فكرة ساكناً، قاصراً على تدوين الملاحظات والشواهد أثناء عملية الملاحظة[24].

ولمحدودية قدرات الإنسان وطاقاته، وإمكانيات الحواس عنده، وسد هذا النقص الذي تترتب عليه بعض عيوب الملاحظة، يمكن للباحث أن يستعين في الملاحظة، بعدد من الإجراءات والوسائل، التي تساعده على الوصول إلى أكبر قدر ممكن من الدقة العلمية. ومن أمثلة هذه الوسائل:

- «المذكرات التفصيلية.
- استمارة جمع البيانات.
- آلات التصوير الفوتغرافي والتلفزيوني والسينمائي.
- الصور الفوتغرافية والرسوم ووسائل الإيضاح والخرائط»[25].
- الشاشة البصرية.
- آلات التسجيل، والأجهزة الأخرى المخصصة لتسجيل التفاعل. . وما إلى ذلك[26].

الملاحظة في بحوث الإعلام:

يجمع العلماء وخبراء البحوث أن الملاحظة هي بداية البحث العلمي،

لأنها تأخذ الباحث في رحلة طويلة تبدأ بالمعلوم الذي ندركه بحواسنا لتنتهي بالمجهول الذي لا ندري عنه شيئاً. وفي ذلك يرى الحسن بن الهيثم، «أننا نبتديء في البحث باستقراء الموجودات، ما يخص البصر في حالة الإبصار، وما هو مفرد لا يتغير، وظاهر لايشتبه في كيفية الإحساس، ثم نرتقي في البحث والمقاييس على التدرج والتدريب مع انتقاء المقدمات والتحفظ من الغلط في النتائج، ونصل بالتدريج واللطف إلى الغاية التي عندها يقع اليقين»[27].

ومن منهج الحسن بن الهيثم، تتضح بصورة جلية أهمية الملاحظة في كونها مصدراً أساسياً للتعرف على الظواهر أولاً، وجمع البيانات والمعلومات حولها ثانياً، ودراستها في مرحلة ثالثة. فالملاحظة بما تتميز به من خصائص وسمات يمكن استخدامها في مجال البحث الإعلامي في المستويات الثلاثة، سالفة الذكر، وذلك على النحو التالي:

1 ـ في التعرف على المشكلات والظواهر.
2 ـ كوسيلة من وسائل جمع البيانات والمعلومات.
3 ـ كأسلوب من أساليب دراسة الظواهر.

وذلك في مختلف أنواع الدراسات الإعلامية، سواء أكانت وصفية، أو شبه تجريبية، أو تجريبية.

أولاً ـ دور الملاحظة في التعرف على المشكلات العلمية في بحوث الإعلام:

تهدف الملاحظة في معناها الصحيح، إلى غرض عقلي واضح، هو الكشف عن بعض الحقائق التي يمكن الاستناد إليها أو استخدامها لاستنباط معرفة جديدة.

ولما كانت القدرة على الابتكار لا توجد على مستوى واحد لدى كل إنسان، فمن الطبيعي أن يتدخل العقل بدرجات متفاوتة في عملية الملاحظة.

ويكون هذا التدخل في أرقى صورة، عندما يدرك الباحث عن طريق الملاحظة، أبعاد «موقف غامض»، يحتاج إلى فهم وتفسير. هنا يكون الباحث الملاحظ أمام «موقف مشكل PROBLEMATIC SITUATION»[28].

وبذلك تقوم الملاحظة في المرحلة الأولى بتوجيه فكر الباحث لاكتشاف المشكلة، ووضع الفروض لحل المشكلة أو فك غموض الموقف. وهناك من يرى «أن الملاحظة التي لا توجه تفكير الباحث إلى التعرف على ظاهرة يمكن التحقق منها، تعد خطوة غير مجدية»[29]. لأن عقل الباحث لم يستطع بلورة حواسه في الكشف عن معرفة جديدة.

ويضيف د. عبد الباسط محمد حسن أن الملاحظة أساس الاستقراء، الذي يبدأ عادة بملاحظة الظواهر على النحو الـذي تبدو عليه بصفة طبيعية[20]. وهنا تتجه الملاحظة إلى الكشف عن بعض الحقائق الأولية التي تعين الباحث على توجيه بحثه ودراسته وفقاً لما تقدمه الملاحظة من خواص وصفات حول الظاهرة.

فالباحث هنا «يتعين المشكلة عن طريق استخدامه لحواس السمع والبصر والشم والشعور «الإحساس» والتذوق، وأن يكتشف عن طريق الملاحظة اليقظة الماهرة الدلائل أو العلامات، التي تمكنه من بناء حل نظري لمشكلة البحث التي يتصدى لها»[31]. أي بناء الفروض، بناء على المقدمات التي كونها الباحث عن طريق الملاحظة.

ويرى د. سمير حسين أن التفكير الإمبريقي يستخدم الملاحظة في الكشف عن المشكلات العلمية، وهي الخطوة الأولى في البحث العلمي.. وذلك عن طريق ملاحظة ظاهرة أو مجموعة من الظواهر ملاحظة علمية دقيقة[32].

كما يرى الدكتور محمود فهمي، دوراً للملاحظة في الكشف عن المشكلات العلمية، حيث يقرر أن الملاحظة بتوجيهها للحواس والانتباه إلى ظاهرة معينة، تكشف عن بعض صفاتها وخواصها، الأمر الذي يمكننا من

التعرف عليها، ثم دراستها، وصولاً إلى كسب معرفة جديدة عنها[33].

وعلى ذلك فإن الملاحظة في هذه المرحلة الأولية تقودنا إلى تكوين فكرة بحثية، أو بلورة مشكلة علمية. . هذه الفكرة تحتوي ضمناً على فرض أو تصور أو اتجاه. . ذلك أن نجاح الملاحظة في هذه المرحلة الأولية، لا تعتمد على المعطيات التي تنتجها، ولكن تعتمد على المشكلة التي تثيرها.

وبهذا الفهم، فإن الملاحظة تتوج وتكتسب أهميتها العلمية في المرحلة الأولى، عندما يتمكن الباحث من خلالها، التعرف على مشكلة علمية تحتاج إلى الحل أو موقف غامض يحتاج إلى التفسير.

ومن أمثلة الملاحظة التي تقود إلى التعرف على المشكلات العلمية نورد الأمثلة التالية:

1 ــ يقول الباحث ومن خلال الملاحظة، تبين لي أن الصحف الليبية لا تتقيد أو بمعنى أصح، لا يتفق أسلوب إخراجها، مع ما هو متعارف عليه من أسس نظرية للإخراج الصحفي. . . وهذا من شأنه أن ينعكس على المضمون، والذي ربما يأتي في شكل لا يتقبله القارىء[34].

2 ــ ويقول باحث آخر: أتاحت لي ظروف عملي، فرصة الاطلاع اليومي على محتويات البرنامج المرئي الذي يقدم للمشاهدين حيث لفت نظري الكم الهائل من البرامج المرئية غير الليبية التي تبث من القناة الأولى. .

ويضيف الباحث لفت ذلك نظري، وجعلني أبحث عن الأسباب التي تكمن وراء ذلك متسائلاً، واستمرت تلك التساؤلات معي. .

وحيث إن الموضوع. . لا زالت مظاهره واضحة للعيان فقد دفعني ذلك إلى تبني فكرة أو مشروع بحث حول هذا الموضوع[35]. .

3 ــ وتقول باحثة ثالثة: أكدت جملة من الملاحظات الموضوعية أن هناك قصور في معرفة طبيعة الدور العلمي الذي ترتكز عليه العلاقات العامة، داخل المؤسسات الاجتماعية. . وتضيف: أتاح لي عملي في ميدان

الإعلام داخل الهلال الأحمر الليبي، كمؤسسة اجتماعية ذات وضعية خاصة، وفي مجال التنسيق الإعلامي والعلاقات العامة، أن أتعرف على عدد من الإشكاليات التي تواجه العمل في هذا الميدان وتبينت بوضوح، نقص الوعي المؤسسي حول ماهية العلاقات العامة، وأهمية دورها في خدمة جمهور المؤسسة وتحسين صورتها لدى الجمهور من جهة، وإحداث التفاهم المتبادل بينه وبين المؤسسة من جهة أخرى. .

«وفي تقديري، ومن خلال ملاحظاتي الأولية، فإن ما سبق ذكره، قد يعود إلى:

أ ــ عدم فهم المؤسسة للطبيعة العلمية للعلاقات العامة.

ب ــ صعوبة العمل الإعلامي في مؤسسة غير إعلامية.

جـ ــ الاهتمام بجوانب أخرى في المؤسسة على حساب تنفيذ برامج العلاقات العامة. . .

د ــ عدم وضوح الصلة بين دور ومهام العلاقات العامة ووسائل الإعلام المختلفة. . .

إن كل ما سبق ذكره جعلني أتنبه إلى أن هناك موقف مشكل يحتاج إلى البحث والدراسة للتعرف على العوامل التي أدت إليه[36]. .

ثانياً ــ الملاحظة كوسيلة من وسائل جمع البيانات في بحوث الإعلام:

أجمعت الكتب والدراسات والبحوث في مختلف مجالات العلوم على أهمية الملاحظة كوسيلة لجمع البيانات والمعلومات، وهي من بين الوسائل المعروفة، والثابت فاعليتها وأهميتها في مختلف أنواع البحث العلمي لأنها إحدى عملياته الأساسية «حيث إنها توفر أحد العناصر الجوهرية للعلم وهي الحقائق»[37].

ويرى بيلي BAILEY، أن الملاحظة تعتبر من الأساليب الفعالة في الدراسات التجريبية والمسحية، وذلك عندما تهدف إلى جمع بيانات عن

مختلف أنواع السلوك عدا السلوك اللفظي أو جمع معلومات تتصل بمشاهدات الباحث لبعض المواقف الواقعية في الحياة[38].

ويرى محمد الغريب أن الملاحظة تفيد في جمع بيانات ومعلومات يصعب جمعها عن طريق الاستبيان أو المقابلة أو في جمع بيانات في الأحوال التي يبدي فيها المبحوث نوعاً من المقاومة أو الكذب أو رفض الإجابة على أسئلة الباحث[39].

وتمتد أهمية الملاحظة في هذا الجانب إلى أبعد من ذلك، إلى حيث ترتيب المعلومات وتصنيفها وتحليلها خاصة، إذا اتبع الباحث نظاماً دقيقاً لتسجيل الملاحظات[40].

وتكمن أهمية الملاحظة في جمع البيانات والمعلومات في الجوانب التالية:

أ ــ يمكن عن طريق الملاحظة جمع بيانات ومعلومات حول الموقف أو الظاهرة أو السلوك المراد دراسته بما يتضمنه من عوامل في نفس الوقت الذي يتم فيه، فيقل بذلك احتمال تدخل عامل الذاكرة لدى الملاحظ.

ب ــ يمكن عن طريق الملاحظة الحصول على بيانات ومعلومات ممن لا يستطيعون التعبير عن أنفسهم قولاً أو كتابةً، كصغار السن والأميين والصم والبكم... الخ.

جـ ــ يمكن عن طريق الملاحظة الحصول على بيانات ومعلومات من الأشخاص موضع الملاحظة دون أن يدرك هؤلاء الأشخاص أنهم موضع الملاحظة...

د ــ يمكن عن طريق الملاحظة، تسجيل ملاحظات من ذلك النوع الذي يصعب التحدث فيه أو وصفه شريطة أن تكون رؤيتها متاحة للمشاهد الخارجي.

هـ ـــ يمكن عن طريق الملاحظة، جمع معلومات وبيانات عن الحياة الشخصية للناس ومشاكلهم وطرق حياتهم، والتي غالباً لا يسمح الأفراد بإعطائها إلا لشخص قريب منهم، مثال ذلك الشخص الذي يسكن في منزل فخم، مزود بكافة وسائل الرفاهية ويدعي أنه من ذوي الدخل المحدود.

و ـــ يمكن عن طريق الملاحظة، أن يتزود الباحث بالشواهد الميدانية التي تفيده في تعزيز نتائج الدراسات الميدانية، بصفة خاصة[41].

ثالثاً ــ الملاحظة كأسلوب للدراسة أو كطريقة للبحث في بحوث الإعلام:

على الرغم من أن الملاحظة كأسلوب للدراسة قد استُخدم بكثرة في بحوث العلوم الطبيعية، إلا أن هناك بعض مجالات العلوم الاجتماعية كالتربية وعلم النفس وعلم الاجتماع، قد أولت الملاحظة كطريقة للبحث اهتماماً كبيراً خاصة في تلك الدراسات التي تتجه لدراسة الحالة. فالمعروف أن الملاحظة تعتبر من أهم الأساليب المستخدمة في طريقة دراسة الحالة، حيث تلعب الملاحظة بالمشاركة دوراً مهماً في جمع المعلومات وتفسيرها والخروج بنتائج حول الحالة موضع الدراسة.

ومن الناحية المنهجية، فقد انتشر استخدام الملاحظة كأسلوب للبحث العلمي منذ وقت بعيد، مستمراً حتى يومنا هذا، فعلماء الأثيولوجيا اعتمدت دراساتهم على سلوك الحيوانات في بيئتها الطبيعية على أسلوب الملاحظة، كما اعتمد عليها علماء الأجناس في دراسة المجتمعات البدائية.. وعلماء الفلك في دراسة حركة الكواكب وغيرها من العلوم الأخرى التي لا تزال علوم ملاحظة ولم تدخل طور التجريب بعد.

وهناك من يرى صعوبة استخدام الملاحظة كطريقة لدراسة الظواهر أو المواقف، مدللاً على وجه نظره بأن ذلك بسبب العجز عن الوصول إلى قاعدة

قياسية للمعلومات التي يتم جمعها عن طريق الملاحظة[42].. هذا بالإضافة إلى أنها مقيدة بفترة حدوث الظاهرة أو الموقف أو السلوك، الذي قد لا تتكرر بعض جوانبه مرة أخرى، على النحو الذي حدثت به في مرات سابقة.. فإذا أراد باحث آخر دراسة نفس المشكلة عن طريق الملاحظة فقد تختلف رؤيته للنتائج عن الباحث الأول..

إلا أن هذا القول مردود عليه. فمن الدراسات التي أوضحت أن أسلوب الملاحظة يمكن أن تؤدي إلى نتائج مماثلة لتلك النتائج التي تؤدي إليها الأساليب الأخرى.. تلك الدراسة التي تولى فيها مجموعة من المخبرين INFORMANT بالملاحظة، وضع درجات لمستوى الروح المعنوية لأطقم عشر سفن بحرية. وقد اتفقت هذه الدرجات بنسبة 90٪ مع النتائج التي تم التوصل إليها باستخدام مقياس للمعنويات مكون من 30 فقرة. وقد دعا ذلك الباحث إلى أن يخلص إلى أن استخدام الملاحظة كطريقة للبحث يمكن أن يفيد في دراسة بعض الظواهر أو المواقف[43].

وفي الدراسات الأمبريقية، تعتبر الملاحظة إحدى وسائل البحث، وهي جزء أساسي وجوهري في عملية البحث في ذلك المنهج، لأن الباحث يستخدم الملاحظة، لا كعملية حسية وإنما كعملية تتضمن تدخلاً إيجابياً من جانب العقل بغرض الكشف عن بعض الحقائق التي يمكن استخدامها لاستنباط معرفة جديدة[44].

وبالرغم من أن باحثي الاتصال، لم يستخدموا أسلوب الملاحظة بكثرة، إلا أن ذلك الأسلوب يبدو ملائماً لدراسة عمليات التفاعل في بعض الأوساط الإعلامية، مثل غرفة الأخبار، اجتماع المحررين، والبرامج التي تعتمد على عدسة الكاميرا.

وقد استخدم ليو بوجارت LEO BOGART أسلوب عدسة الكاميرا لتسجيل الإعلانات التي استرعت انتباه القراء موضع التجربة. وقد أمكنه قياس ذلك عن طريق قياس مدى تركيز الإبصار على آلة التصوير.

وتمثل البحوث والدراسات التالية، بعض النماذج التي اعتمدت على الملاحظة كطريقة للبحث:

1 ــ البحث الميداني الذي قام به والتر ستايجلمان W. STEIGLMAN عن العلاقة بين عناوين الصحف ومبيعات أكشاك الصحف.

2 ــ الدراسة التي قام بها الباحثان لويد وارنر L. WARNER، وبول لانت P. LUNTE حول الطبقة الاجتماعية في مدينة أمريكية، حيث استعان الباحثان بتسجيل عدد الناس الذين اشتروا المجلات والصحف، وأسماء المجلات والصحف التي اشتروها، كذلك استعان الباحثان بمساعدين للوقوف أمام دار للسينما لملء بيانات تتصل بالملاحظة وفق جدول يبين ملاحظات عن الحضور.

3 ــ البحث الذي قامت به الباحثة ميلدرن بارتن M. PARTEN، عن الاستماع إلى الراديو، فقد اتفقت الباحثة مع إحدى شركات سيارات الأجرة على إجراء الدراسة، وطلبت من السائقين تسجيل رد فعل الراكبين تجاه تشغيل أو عدم تشغيل جهاز الراديو لدى دخولهم السيارة.

4 ــ وتعد دراسة فرانك ستانتون F. STANTON عن ملاحظة قراء المجلات في المحلات العامة ودراسة د. ب. لوكاس D.B. LUCAS عن اهتمام القارىء بالمنشورات التي تعطى لرواد المسرح نماذج لبحوث الاتصال اعتمدت على ملاحظة سلوك الجمهور.

5 ــ الدراسة التي قام بها الباحثان والتر جيبر W. GIEBER، ووالتر جونسون W. JOHNSON عن مصادر الأخبار وحارس البوابة والتي استخدما فيها أسلوب الملاحظة إلى جانب المقابلات المفصلة DETAILES INTERVIEWS للتعرف على العلاقة بين المحررين ومصادر الأخبار في حكومة المدينة، كذلك استخدام أحد تلامذة جيبر GIEBER أسلوب الملاحظة بالمشاركة في دراسة أسلوب عمل محرري صحيفة في مجتمع إقليمي.

6 ـ دراسة تشالز سوانسون C. SWANSON، وجيمس جنكنز J. JENKINS، وروبرت جونز R. JOHNES في الدراسة التي أجروها عن حادث اتصال هام «خطاب الرئيس» حيث عملوا على وضع مراقبين في قاعة الاجتماعات للخطاب الحي، والخطاب المذاع على التلفزيون.. لمراقبة أداء المحررين في القاعتين[45].

7 ـ الدراسة التي قام بها باحث ألماني على نزلاء أحد السجون في ألمانيا الشرقية (آنذاك) للتعرف على مدى حاجة النزلاء إلى وسائل الإعلام، ومدى تأثرهم بوجودها أو عدم وجودها، فقد اتبع الباحث أسلوب الملاحظة بالمشاركة، الأمر الذي جعله يعيش بين النزلاء كواحد منهم[46].

كما تمثل النقاط التالية موضوعات لبحوث يمكن دراسته باستخدام طريقة الملاحظة مثل:

* ملاحظة سلوك الأطفال وتصرفاتهم أثناء مشاهدة بعض البرامج التلفزيونية أو الأفلام السينمائية عن طريق استخدام الشاشة البصرية.
* ملاحظة العادات المتصلة بقراءة الصحف في أماكن العمل.
* مراقبة حركة الشراء لسلعة معينة بعد تكثيف حملة إعلانية عنها.

متطلبات المنهجية في استخدام الملاحظة كطريقة للبحث:

تتطلب المنهجية METHODOLOGY في استخدام الملاحظة كأسلوب للبحث، أن يضع الباحث تصميماً للبحث الذي ينوي القيام به محدداً فيه:

- مشكلة البحث.
- الفروض أو التساؤلات التي تثيرها مشكلة البحث.
- المفاهيم والمصطلحات الواردة في المشكلة والفروض.
- الأدوات والوسائل المناسبة لتسجيل بيانات الملاحظة.
- أسلوب تحليل بيانات الملاحظة وتفسيرها.

وعليه أن يضع الاعتبارات التالية نصب عينيه حتى يتمكن من إجراء الملاحظة في دقة وحيدة وموضوعية. وعلى الباحث:

1 ـ أن يحدد المجال الزماني والمكاني لإجراء الملاحظة[47]. وخاصة في البحوث الميدانية، بما يتفق مع ظروف الظاهرة موضوع الملاحظة لا بما يتفق وظروف الباحث الشخصية. ذلك أن للملاحظة العلمية حدودها، إذ على الباحث أن ينتظر وقوع الحدث حتى يقوم بملاحظته.

2 ـ أن يعلم أن الملاحظة تتأثر بالبيئة أو المجتمع الذي تجري فيه[48]. فملاحظة مجموعة من الأطفال أثناء مشاهدة التلفزيون، تختلف عن ملاحظة نفس المجموعة في فصل دراسي أو في حديقة عامة.

3 ـ أن يتأكد من مدى ثبات واستمرار حدوث الحالة المراد ملاحظتها والظروف المحيطة بها[49].

4 ـ أن يحدد منذ البداية الوقائع أو الحالات التي يجب ملاحظتها وكيفية تسجيلها، والإجراءات التي يجب اتخاذها للتأكد من دقة الملاحظة. وهناك طريقتان لتسجيل الملاحظة هما:

أ ـ التسجيل الزمني للحوادث أي ترتيبها بزمن حدوثها.

ب ـ تنظيم المادة الملحوظة في موضوعات أو فئات فرعية وأن يتم إعداد هذه الفئات قبل البدء في الملاحظة.

5 ـ أن يتأكد من الإجراءات التي يجب اتخاذها لشمول الملاحظة ودقتها، وذلك باستخدام طريقة الموضوع الأساسي THEME[50]. ويفضل أن يكون هناك أكثر من ملاحظ يستخدمون، نفس النظام في التسجيل للمقارنة واستبعاد ما لا يتم الاتفاق عليه من بيانات.. مع العناية بتسجيل الملاحظات أولاً بأول وعدم إغفال أياً منها.

6 ـ أن يستعين بالأجهزة والآلات والمعدات الحديثة التي تساعده على دقة الملاحظة، كلما قصرت الحواس المجردة عن الإدراك الدقيق[51].

7 ـ أن يفرق عند استخدام الملاحظة بين نوعين من أنواع الملاحظة كطريقة بحث.. هما ملاحظة الكم، وملاحظة الكيف.. مع العلم أن الأولى تستخدم في العلوم التي تعتمد على تصنيف الأشياء إلى أجناس أو أنواع أو فصائل كالعلوم الطبيعية، والثانية تستخدم في معرفة العلاقات بين العناصر التي تتألف منها ظاهرة معينة، والتعبير عن هذه العلاقات كما هو الحال في العلوم الاجتماعية ولكن هذا لا يعني استبعاد استخدام ملاحظة الكم في بحوث الإعلام وغيرها من مجالات العلوم الاجتماعية[52].

8 ـ أن يعي أن استخدام الملاحظة كأسلوب للبحث يتطلب أن يتمتع الباحث بقدر من المهارة إلى جانب القدرة السريعة على تغيير الأدوار بسرعة. ولما كان هذا الأمر لا يتم بسهولة، يشترط اشتراك أكثر من باحث في وضع الملاحظات أو تدريب مجموعة من الملاحظين لمعاونة الباحث في مرحلة المراقبة وجمع المعلومات والبيانات.

9 ـ أن يعلم أن استخدام الملاحظة كطريقة بحث يتطلب الصبر والأناة، لأن أخذ بيانات واقعية في بداية الملاحظة، غالباً ما تأتي مبعثرة ومشتتة وغير مترابطة. وغالباً ما تتراكم لدى الباحث الملاحظ بيانات عن نقاط شتى، ولكن لا يوجد ما هو نهائي بالنسبة لنقطة معينة، وبتكرار الملاحظة تبدأ هذه النقاط في التبلور، مكونة نموذجاً لملاحظة السلوك، وبذلك تسير الملاحظة كأسلوب للبحث، جنباً إلى جنب مع الملاحظة كوسيلة لجمع البيانات والمعلومات.

10 ـ أن يدرك أن العبرة في استخدام الملاحظة كوسيلة للبحث، ليس تسجيل بيانات الملاحظة، وإنما العبرة بالقدرة على تنسيقها وربطها وإدراك العلاقات الخفية للمسألة أو الموقف أو السلوك موضع الملاحظة.

11 ـ أن يحدد عدد مرات الملاحظة، والفترة الزمنية لكل مرة... والفقرة الزمنية التي تفصل بين الملاحظة والملاحظة التي تليها[53].

مراجـع الفصـل

(1) جامعة بويزيانا، المدخل إلى بحوث الاتصال، ترجمة ونشر المركز العربي لبحوث المستمعين والمشاهدين، بغداد، 1988، ص 104.

(2) فايز قنديل وآخرون، محاضرات في البحث الاجتماعي في الخدمة الاجتماعية، قسم التخطيط الاجتماعي، جامعة حلوان، 1985، ص 193.

(3) محمود قاسم، المنطق الحديث ومناهج البحث، ط 5، دار المعارف، القاهرة، 1967، ص 101.

(4) كلود برنارد، مدخل لدراسة الطب التجريبي، ترجمة عمر الشارني، تونس، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، 1982، ص 9.

(5) محمود قاسم، مرجع سابق ذكره، ص 102.

(6) المرجع السابق، ص 104.

(7) محمد حمد بن عروس، البرامج الثقافية في الإذاعة المرئية للجماهيرية العظمى، دراسة ميدانية لآراء عينة من المشاهدين في مدينة بنغازي حول البرامج الثقافية في إذاعة الجماهيرية العظمى، جامعة قاريونس، كلية الآداب والتربية، قسم الإعلام، 1991، ص 4.

(8) SWEDEN. H, OBSERVATION: AMETHOD OF SOCIAL RESEARCH, 1ST PAPER SUBMITTED TO THE SECOND UNESCO SEMINAR ON SOCIAL RESEARCH METHODOLOGY, DENMARK, 1986, P.2.

(9) سمير محمد حسين، بحوث الإعلام: الأسس والمبادىء، ط 1، مؤسسة دار الشعب، القاهرة، 1976، ص 42.

(10) نعمات محمد الدمرداش، مدخل البحث الاجتماعي، ب. ت، القاهرة، 1988، ص 154.

(11) BECKER HOWARD, (editor), PROBLEMS OF INFRENCE AND PROOF IN

PARTICIPANT OBSERVATION, SOCIAL RESEARCH, OPENUNIVERSITY PRESS, ENGLAND, 1983, P. 317.

(12) إحسان محمد الحسن، الأسس العلمية لمناهج البحث الاجتماعي، دار الطليعة، بيروت، 1981، ص 107.

(13) كلود برنارد، مرجع سابق ذكره، ص 40.

(14) WOLCAT, H.F., THE MAN IN THE PRINCIPLES OFFICE (2nd) ed, HOLT RINEHART AND WINSTON, NEW YORK, 1977, P. 161.

(15) محمد عماد إسماعيل، المنهج العلمي وتفسير السلوك، ط 3، النهضة المصرية، القاهرة، 1978، ص 157.

(16) غريب محمد سيد أحمد، تصميم وتنفيذ البحث الاجتماعي، سلسلة علم الاجتماع وقضايا الإنسان والمجتمع، ط 8، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1989، ص 265.

(17) دي هايمان، طبيعة البحث السيكولوجي، ترجمة د. عبد الرحيم عيسوي، ط 1، دار الشروق، القاهرة، 1989، ص 95.

(18) فاروق محمد العدلي، علم الاجتماع، دار المعارف، القاهرة، 1978، ص 33، ص 34.

(19) WOLCAT, H.F., OP CIT, P. 162.

(20) جامعة لويزيانا، مرجع سابق، ص 105.

(21) محمد الجوهري، عبد الله الخريجي ، مناهج البحث العلمي: طرق البحث الاجتماعي، جـ 2، دار الشروق، جدة، 1980، ص 127.

(22) EVANS, PRITCHARD, THE NUER, OXFORD CLAENDON, 1965, P. 11.

(23) معن خليل عمر، الموضوعية والتحليل في البحث الاجتماعي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1983، ص 193، 194.

(24) محمد الجوهري، د. عبد الله الخريجي، مرجع سابق ذكره، ص 126.

(25) عبد العزيز عبد الله مختار، رياض أمين حمزاوي، البحث الأمبريقي في الخدمة الاجتماعية، دار النهضة العربية، القاهرة، 1984، ص 273.

(26) لويس كامل مليكة، سيكولوجية الجماعة والقيادة، جـ 3، ط 1، العالم العربي، القاهرة، 1968، ص 7.

(27) توفيق الطويل، خصائص التفكير العلمي، مجلة عالم الفكر، المجلد 3، العدد الرابع، الكويت، 1973، ص 153.

(28) سمير محمد حسين، مرجع سابق، ص 56.
(29) نعمات الدمرداش، مرجع سابق ذكره، ص 23.
(30) عبد الباسط -حمد حسن، أصول البحث الاجتماعي، البيان العربي، القاهرة، 1966، ص 26.
(31) دالين، د. ب. فان، مناهج البحث في التربية وعلم النفس، ترجمة محمد نبيل نوفل وآخرين، ط 3، الأنجلو المصرية، القاهرة، 1985، ص 83.
(32) سمير محمد حسين، مرجع سابق ذكره، ص 41.
(33) محمود فهمي زيدان، الاستقراء والمنهج العلمي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1988، ص 45. وكذلك انظر: محمود قاسم، مرجع سابق ذكره، ص 104.
(34) كمال عبد الباسط الوحيشي، مشروع بحث تحت عنوان، أسس الإخراج الصحفي، دراسة تطبيقية على الصفحات الأولى في الصحف اليومية الليبية 69 ـ 1973، جامعة قاريونس، كلية الآداب، بنغازي، 1990.
(35) أحمد عمر جبريل، مشروع بحث، تحت عنوان التدفق البرامجي في الإذاعة المرئية، دراسة تحليلية لمضمون عينة من برامج القناة الأولى في الإذاعة المرئية الليبية خلال عام 1992، جامعة قاريونس، كلية الآداب، بنغازي، 1991، ص 14.
(36) إهلالة الوافي، مشروع بحث، تحت عنوان العلاقات العامة في المجال الاجتماعي، دراسة نظرية وتطبيقية للعلاقات العامة في مؤسسات الضمان الاجتماعي في مدينة بنغازي، جامعة قاريونس، كلية الآداب، 1991، ص 2.
(37) دالين فان، مرجع سابق ذكره، ص 83.
(38) BAILEY, K.D., METHOD OF SOCIAL RESEARCH, COLLER - MACMILLAN, LONDON, 1977, PP. 136 - 137.
(39) محمد الغريب عبد الكريم، مرجع سابق ذكره، ص 165.
(40) محمد علي محمد وآخرون، قراءات معاصرة في علم الاجتماع، ط 2، دار الكتاب للتوزيع، القاهرة، 1979، ص 333.
(41) نجيب إسكندر، لويس كامل، رشدي فام منصور، الدراسة العلمية للسلوك الاجتماعي، دار المعارف، القاهرة، 1960، ص 409، 411.

(42) EVANS, PRTICHARD, E.E., OP CIT, P. 11.

(43) جامعة لويزيانا، مرجع سابق ذكره، ص 107.

(44) محمود قاسم، مرجع سابق ذكره، ص 101.

(45) جامعة لويزيانا، مرجع سابق ذكره، من ص 106 ـ 109.

(46) يوري كاشليف، الأمبريالية العالمية، دار نشر وكالة نوفوستي، موسكو، 1984، ص 12.

(47) غريب سيد أحمد، مرجع سابق ذكره، ص 272.

(48) BAILEY, K.D., OP CIT., P. 147

(49) معن خليل عمر، مرجع سابق ذكره، ص 194.

(50) عبد العزيز عبد الله، رياض أمين حمزاوي، مرجع سابق ذكره، ص 272.

(51) عمر التومي الشيباني، مرجع سابق دكره، ص 124.

(52) محمود قاسم، مرجع سابق ذكره، ص 108.

(53) لويس كوهين، لورانس مانيون، مناهج البحث في العلوم الاجتماعية والتربوية، ترجمة كوثر حسين، وليم تاوضروس، ط 1، الدار العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1990، ص 173، النموذج.

الفصل الرابع

التجربة في بحوث الإعلام

تأثرت فروع الدراسات الاجتماعية، تأثراً مباشراً بتطور مناهج البحث في العلوم الطبيعية. وكان لنجاح نظرية العلية في تفسير الظواهر الطبيعية أثر واضح على العلوم الاجتماعية.. حيث نشأت مدارس اجتماعية تحاول فهم الظواهر الاجتماعية وتحليلاتها اعتماداً على الطريقة التجريبية التي سارت على هديها العلوم الطبيعية، فكانت الاستعانة بالملاحظة، كما أوضحنا في الفصل السابق، كما كانت الاستعانة بالتجربة كما سنتناول ذلك في هذا الفصل.

ويرجع تأخر الاستعانة بالمنهج التجريبي في مجال العلوم الاجتماعي إلى سبب رئيسي، وهو وجود معظم العلوم الاجتماعية، ولفترة طويلة ضمن فروع الفلسفة، الأمر الذي جعلها تعتمد على ما تعتمد على الطرق الفلسفية كالتأمل والقياس لبلوغ الحقيقة.

فإذا كان المنهج التجريبي في العلوم الطبيعية يقوم على قاعدة أساسية تقول: [إن كل ما يحدث له سبب، ونفس السبب يؤدي إلى نفس المسببات][1].. فالأمر في معظم الأحوال متاح في العلوم الطبيعية لإمكانية عزل الظروف المصاحبة للظاهرة صناعياً أو معملياً... بينما في العلوم الاجتماعية تصعب دراسة ظواهرها بمعزل عن الظروف المصاحبة لها.. مع صعوبة إرجاع الظاهرة الاجتماعية إلى سبب واحد. كما أن هرذه الظروف تتبدل في وضعيتها وطريقة تفاعلها مع الظواهر الاجتماعية، ولهذا فإن دراسة علاقات السبب والأثر في الظواهر الاجتماعية تتم في إطار الموقف أو الوضع

الذي أحدثته الظروف المصاحبة للظاهرة أو تلك التي نشأت في ظلها الظاهرة.

ولهذا فقد طرح دعاة[1] استخدام المنهج العلمي التجريبي في دراسة الظواهر الاجتماعية قاعدة شبيهة بالقاعدة السببية المشار إليها في العلوم الطبيعية.. ولكنها تعترف بالظروف المصاحبة للظواهر الاجتماعية.. هذه القاعدة تقوم على:

[الأمور المتماثلة تحدث في الظروف المتماثلة].

وقد أمكن عن طريق هذه القاعدة المنهجية، دراسة الظواهر الاجتماعية دراسة علمية تجريبية، بتطوير أدوات الملاحظة والتجربة ووسائل جمع المعلومات والبيانات، واستخدام المعاملات والاختبارات والمقاييس الإحصائية التي استطاعت أن تدعم من موقف البحوث الاجتماعية التجريبية وتجرد نتائجها من اللغة الإنشائية، الأمر الذي يتيح عرض نتائج البحوث في وضوح وتجرد.

وعلى الرغم من وضوح هذه القاعدة، إلا أننا لا نستطيع القول بأن نتائج الدراسات الاجتماعية التي استخدمت المنهج العلمي بإجراءاته وخاصة التجربة، قد بلغت درجة عالية من الدقة.. إلا أننا وفي نفس الوقت لا نستطيع أن ننكر أهمية وضرورة تطبيق المنهج العلمي في مجال البحوث الاجتماعية.. وخاصة إذا تم ذلك وفق إجراءات علمية محكمة.

فالتخمين والملاحظة والتصنيف والتحليل والارتباط والمقارنة والاستنتاج وسائل لها مكانتها في البحث العلمي. وكذلك الأمر بالنسبة للتجربة التي تعد واحدة من الإجراءات الأساسية المتبعة في البحث العلمي كأسلوب للتحقق VERIFICATION من الظواهر.. وبالطبع فإن ذلك لا يعني أن التحقق هو المعيار الوحيد لقبول نتائج البحوث، كما أن ذلك لا يعني أن التجربة هي الأسلوب الوحيد للبرهنة على حقيقة الأشياء.. ولكنها «إجراء

(1) أوجست كونت، لوبلاي، جون استيوارت مل، أميل دوركايم.

علمي، وليس الإجراء العلمي الأوحد، فهي وسيلة لا غاية، ولكنها في ذات الوقت تعتبر شرطاً ضرورياً لتحقيق أهداف العلم المتمثلة في التفسير والضبط والتحكم في الظواهر ما أمكن ذلك»[2].

وعلى ذلك، وتأسيساً عليه، فإن هذا الفصل سيتناول موضوع التجربة في بحوث الإعلام، كأداة علمية تتميز بالدقة والموضوعية.. وذلك من حيث:

أولاً: مفهوم التجربة.

ثانياً: مستويات التجربة في بحوث العلوم الاجتماعية.

ثالثاً: التجربة في بحوث الاتصال.

رابعاً: متطلبات التجربة في البحث الاجتماعي.

خامساً: تحقيق الفرض بالتجربة في بحوث الاتصال.

سادساً: وجهة نظر وخاتمة.

أولاً ـ مفهوم التجربة:

ارتبط مفهوم التجربة حتى وقت قريب بالعلوم الطبيعية التي تقوم على تجارب معملية يمزج فيها الباحث جزءين من الإيدروجين وجزء من الأكسجين لينتج الماء.. ولو تأملنا بعض أنواع البحوث الاجتماعية، لوجدنا أنها دراسة للعلاقة بين متغيرين، أو بحث عن أثر متغير(*) على متغير آخر. وبالتالي يمكن أن تقدم في هذين المستويين تجربة بيئية أو ميدانية حيث يقوم مفهوم التجربة في مجال العلوم الاجتماعية كمعالجة مدروسة لواحد أو أكثر من المتغيرات المستقلة، التي يفترض وجود صلة بينها وبين متغيرات أخرى.

وهنا يمكن ملاحظة علاقة هذه المتغيرات مع بعضها البعض، أو

(*) يعرف موريس روزنبرج M. RESENBERG المتغير بأنه سمة أو خاصية أو حالة يمكن قياسها كماً أو كيفاً.

ملاحظة تأثير هذه المتغيرات، سواء أكان هذا التأثير مستقلاً، أو تفاعلياً في بعض المتغيرات التابعة الأخرى. . على أن يتم ذلك في ظل ظروف موضوعية، تأخذ في الحسبان التأثير المحتمل لبعض المتغيرات المستقلة.

فالمتغير المستقل INDEPENDENT VARIABLE، هو المتغير الذي يفترض أنه السبب في حدوث المتغير التابع DEPENDENT VARIABLE، حيث يتم التعبير عن هذه العلاقة بالقول على سبيل المثال:

كلما زادت معدلات مشاهدة أفلام العنف.

كلما زادت احتمالات السلوك العدواني للطفل.

متغير مستقل ــ متغير تابع

وبالرمز س ــ ص.

وهنا تبرز بعض المتغيرات الأخرى التي يمكن أن تؤدي إلى نفس المتغير التابع، كالمستوى الاقتصادي، نوعية الأصدقاء، العزلة وعدم الاندماج، الوضع الاجتماعي للفرد. . . الخ، والتي قد تبرز كمتغيرات سابقة ANTECEDENT VARIABLES لحدوث الظاهرة، أو كمتغيرات وسيطة INTERVENING VARIABLES تقع في منطقة وسط بين المتغيرين المستقل، والتابع، وقد تؤثر في كليهما بحيث يصعب تجاهله عند ضبط العلاقة بين المتغير المستقل والمتغير التابع[3].

فالتجربة بهذا المفهوم إجراء يستهدف تحليل الظواهر بدقة وموضوعية عن طريق التركيب بين عدة متغيرات على أرض الواقع. . مع إمكانية إجراء التعديل على أحد المتغيرين لقياس ما يطرأ على المتغير الآخر.

ولكن في حالات كثيرة لا يستطيع الباحث معالجة المتغيرات في إطار التجربة، ومع هذا فهو يدرس هذه المتغيرات بدقة وبإتباع الأسلوب التجريبي. . حيث يكتفي الباحث بالملاحظة والقياس كما يحدث في علم الفلك وكذلك الحال في الدراسات البيولوجية[4] التي أجريت ـ على سبيل المثال ـ عن العلاقة بين التدخين وبين الإصابة بسرطان الرئة. . فمن الواضح

أن هذه الدراسة مستحيل إجرائها في المعمل بتعريض مجموعة من البشر لدخان التبغ لإجراء الدراسة عليهم بعد ذلك. ولذا لجأ العلماء إلى إجراء تجربة علمية غير معملية تحكموا فيها في المتغير المستقل «**التدخين**» ودرسوا علاقته على المتغير المعتمد «**الإصابة الرئوية**» عن طريق اختيار مجموعات مختلفة من الأفراد، إحداها لم يدخن أفرادها إطلاقاً، والأخرى كان أفرادها يدخنون بمعدل عشرة سجاير يومياً لمدة سنة، ومجموعة ثالثة كان أفرادها يدخنون بمعدل 20 سيجارة لمعدل سنتين وهكذا. ثم قاموا بعد الكشف باستخلاص وجود علاقة إيجابية بين درجة التدخين وطول مدته وكميته، وبين الإصابة بالسرطان الرئوي. وقد تمت هذه التجارب دون اللجوء إلى الأسلوب المعملي.

وفي مجال بحوث الاتصال يمكن إجراء دراسات وبحوث تعتمد على التجربة بنفس المستوى السابق حيث يمكن دراسة العلاقة بين مشاهدة أفلام العنف والجريمة على سلوك الانحراف... دون أن نعمد على تعريض مجموعة من البشر الأسوياء، لمشاهدة مكثفة من أفلام العنف لنصل بهم إلى درجة الانحراف حتى نقوم بدراستهم بالتجربة من هذا النوع.. ولكننا ندرس المنحرفين فعلاً في تجارب غير معملية.. وهذا ما يسمى بأسلوب الدراسة السببية المقارنة[5].

ثانياً ـ مستويات التجربة في بحوث العلوم الاجتماعية:

تتعدد مستويات التجربة في بحوث العلوم الاجتماعية، كما تتعدد وظائفها واستخداماتها، تبعاً لمراحل البحث في الظاهرة التي يقوم الباحث بدراستها، وطبيعة الظاهرة قيد البحث ومدى حاجتها إلى مستوى معين من التجربة.

وبطبيعة الحال، ليس بالضرورة أن يلجأ الباحث إلى كل مستويات التجربة في بحثه، ولكنه يختار منها ما يتناسب مع البحث الذي يقوم به.

المستوى الأول: التجربة الاستطلاعية:

في بعض الأحيان، لا تكفي الملاحظة العلمية في التعرف على المشكلات العلمية، أو تقديم الدليل الذي يجعل من المشكلة العلمية التي ينوي الباحث دراستها مقبولة من الناحية العلمية.. لأن الباحث في كثير من الأحيان يلاحظ الظاهرة في وضعها الطبيعي، وقد لا تتيح له الملاحظة فهم عناصر الظاهرة ومكوناتها، فهماً سليماً، ولذلك، فإن الباحث يلجأ إلى التجربة ـ كملاحظة علمية أكثر ضبطاً وتحديداً من الملاحظة في صيغتها الأولى.

وهنا يبرز المستوى الأول لاستخدام التجربة في بحوث العلوم الاجتماعية.. باعتبارها ملاحظة علمية تتم تحت الضبط الناتج عن التحكم من جانب الباحث. فالقائم بالتجربة يستطيع أن يعدل في الظاهرة التي يقوم بدراستها بحيث تبدو في أنسب وضع يصلح لدراستها[6].. وهنا يكون الغرض من التجربة الاطلاع بهدف التعرف على العلاقات القائمة أو المفترضة بين العناصر المختلفة التي تتكون منها الظاهرة.

ومن الصعب في هذا المستوى من مستويات التجربة التمييز بينها وبين الملاحظة، أو وضع حدود فاصلة بينهما. فالملاحظة تعني ملاحظة الظاهرة في حالتها الراهنة، والتجربة تعني محاولة الباحث لتبديل الظاهرة وإبرازها في وضع غير وضعها الطبيعي للتثبت من دقة الملاحظة.

وهذا يدل على أن هناك حالات بحثية لا تكفي فيها الملاحظة بمفردها في الكشف عن المشكلات العلمية، وتكوين بعض الأفكار التي يبنى عليها الباحث فروضه أو تساؤلاته.

وهنا يستعين الباحث بالتجربة الاستطلاعية في الحالات التالية:

1 ـ لمعرفة عما إذا كانت الظاهرة موضع الملاحظة تتكرر دون أن يحدث فيها تغيير.. إذا وجدت في نفس الظروف التي ظهرت فيها أول مرة.

2 ـ إذا لم تمكن الملاحظة الباحث من تحديد العلاقات القائمة بين عناصر الظاهرة. . وخاصة إذا كانت هذه العلاقات غامضة أو غير واضحة.

3 ـ عندما تكون الملاحظة التي توصله إلى الفروض غير جاهزة أي ينبغي استحداثها.

4 ـ عندما يعجز الباحث، عن ترتيب العناصر التي تشكل متغيرات في الظاهرة من حيث أهميتها[7].

وفي الحالات الأربعة السابقة، نلاحظ تكامل الملاحظة مع التجربة، بحيث يضمهما إطار واحد هو محاولات الباحث المتكررة للتعرف على المشكلة العلمية والتثبت من عناصر الظاهرة محل البحث. . وهنا كما سبق أن أوضحنا فإن التجربة قائمة على أساس الاطلاع وجمع معلومات لبناء الفروض.

وهناك من يرى أن التجربة في هذه المرحلة وإن كانت الخطوة متقدمة عن الملاحظة على أساس أن الباحث يقوم بها متعمداً معالجة عوامل معينة تحت شروط مضبوطة ضبطاً دقيقاً»[8]. . إلا أنها تمثل خطوة هامة من خطوات المنهج العلمي، وبالتالي لا غنى عنها، لأن الباحث وبمجرد ظهور نتائج التجربة الاستطلاعية، يتحول مرة أخرى إلى ملاحظ عليها أن يعاين نتائج التجربة بدون أية فكرة مسبقة. . وإلا وقع في نفس الخطأ الذي جعل ملاحظته غير دقيقة، وجعله يلجأ إلى التجربة كملاذ، وبالتالي عليه أن يتخلى عن كل الأفكار السابقة التي كونها عن الظاهرة.

ويرى كلود برنارد K. BERNARDE أنه «من الصعب في البحث التجريبي التمييز بين الملاحظة والتجربة. . إلا أن التجربة في مثل هذه البحوث تعزز نتائج الملاحظة وتجعل من الحقائق الذاتية التي يتوصل إليها الباحث بالملاحظة حقائق موضوعية»[9].

وفي تقديرنا أن **التجربة الاستطلاعية نفسها**، تتضمن مستويات

مختلفة.. وما الملاحظة بالمشاركة إلا نوع من أنواع التجربة الاستطلاعية.. حيث إن بعض المؤلفين قد عالجوا الملاحظة بالمشاركة كنوع من أنواع الملاحظة.. والواقع أنها أقرب إلى التجربة منها إلى الملاحظة.. لأنها معايشة بالتجربة، حيث يقوم الباحث بالمعايشة الفعلية لمجتمع البحث بالمشاركة في نشاطاته الاجتماعية اليومية.. حتى يحصل على القبول الاجتماعي والنفسي من قبل المبحوثين، ولعل الدراسة التي قدمها وليم فوت وايت (WHIYTE) للمجتمع السوقي عام 1937 للمهاجرين الإيطاليين في أمريكا خير دليل على أن الملاحظة بالمشاركة ما هي إلا تجربة يخوضها الباحث في بيئة معينة وفي المرحلة التمهيدية للبحث.

«كان وايت WHIYTE وقتها طالباً في جامعة هارفارد يبحث عن موضوع أطروحته للدكتوراه.. حيث لاحظ منطقة كورنفيل في مدينة بوسطن يسكنها مهاجرون من أبناء الطبقة الفقيرة من الإيطاليين، يعيشون بشكل مخالف عن حياة المجتمع الأمريكي، مما جذبه لدراسة هذه المجموعة من الناس، وجعلها موضوع أطروحته ولم يكن وايت مستقراً في رأيه حول كيفية اطلاعه على مجتمع البحث، وتحديد العناصر الأساسية لمشكلة البحث التي ينوي القيام بدراستها.. فاستخدم أولاً طريقة المقابلة.. وقابل بعض أبناء هذا الحي في إحدى الحانات ولكنه فوجيء بضربة قوية على وجهه... وتعددت وسائله لمعايشة مجتمع البحث إلى أن توصل إلى أن يمارس دور ابن الحي...

«ومن هذه التجربة يقدم وايت النصيحة للباحثين وهي على الباحث أن يحصل على ثقة المبحوثين أولاً وهذا يعتمد على شخصية الباحث نفسه، أكثر من بقية العوامل الأخرى»[10].

المستوى الثاني: التجربة التخطيطية:

وهي نوع من التجارب التي تجري لتحديد نطاق التجربة الرئيسة. فإذا كنا بصدد معرفة أنسب وسيلة إعلامية لتوجيه حملة إعلامية عن مضار

التدخين، فإننا نختار عدداً من الوسائل الإعلامية لتحديد أي هذه الوسائل أنسب لهذا النوع من الحملات الإعلامية، وذلك عن طريق توجيه جرعات مدروسة للحملة، بغرض التعرف على الوسيلة التي أحدثت ردود فعل أفضل من غيرها حول الرسالة الموجهة.

المستوى الثالث: التجربة الانتقائية:

وهي نوع من التجارب التي تجري لانتقاء بعض المتغيرات أو العوامل التي تم الكشف عنها في التجربة الاستطلاعية على اعتبار أنها عوامل تحتاج إلى المزيد من الدراسة إما لاستبعادها أو الإبقاء عليها، بدلاً من أن تكون العوامل أو المتغيرات في التجربة الحاسمة كثيرة للغاية[11].

فعلى سبيل المثال، أسفرت التجربة الاستطلاعية عن بعض المتغيرات التي تكمن وراء ظاهرة تدعيم اتجاهات الانحراف لدى الأطفال.. وذلك في دراسة عن تأثير بعض البرامج التلفزيونية على هذه الاتجاهات، على اعتبار أن هذه الدراسة تفترض وجود علاقة سببية بين مشاهدة أفلام العنف والجريمة في التلفزيون وزيادة نسبة الانحراف لدى الأطفال. فإذا افترضنا أن التجربة الاستطلاعية قد أفرزت عن وجود متغيرات أخرى غير التلفزيون كاختلاف فئات العمر، والجنس «ذكر، أنثى» مستوى المعيشة، المستوى التعليمي، ترتيب الطفل في الأسرة، العلاقات الأسرية التي تربط الطفل بوالديه، وجود الأب والأم، أو عدم وجود أحدهما، أو عدم وجودهما معاً، درجة تعليم الأب والأم، مدى انشغال الأب خارج المنزل ـ الحالة الصحية للطفل، أصدقاء الطفل، تأثير المربية في حالة وجودها على الطفل، عدد ساعات المشاهدة، الوسائل الإعلامية الأخرى التي يتعرض لها الطفل كالسينما مثلاً.. الخ.

وهنا فإن الهدف من إجراء التجربة الانتقائية، استبعاد العوامل التي لا تتفاعل مع المتغير المستقل «التلفزيون» في إحداث الموقف الذي يستهدف الباحث دراسته وهو الانحراف... وهنا تكون نتائج التجربة الانتقائية عزل

واستبعاد العوامل أو المتغيرات التي يثبت عدم تأثيرها في الموقف المراد دراسته[12].

المستوى الرابع: التجربة المعملية:

برزت فكرة المعمل أصلاً لضمان خلق ظروف مناسبة يتم فيها التحكم في التأثيرات الخارجية وعزلها عن المتغيرات التي يجري تجريبها. وهنا يجب على الباحث ألا يتردد في إجراء التجربة المعملية إذا كانت المتغيرات التي يدرسها قابلة للمعالجة داخل المعمل.. بحيث يتم تجهيز المعمل بالأجهزة والمعدات والمقاييس الدقيقة.. وإن كان التجهيز لا يعني بالضرورة نجاح التجربة.. إلا أنه يعكس الالتزام بإجراء علمي مطلوب. وفي مجال البحوث الإعلامية«فقد أمكن تطبيق التجربة المعملية التي استخدمت جهاز تصوير حركة العين أثناء القراءة لاكتشاف أفضل الوسائل للقراءة»[13].. والوضع الأكثر راحة لعين القارىء أثناء القراءة. وقد أمكن الاستفادة من نتائج هذه البحوث في تطوير الفنون المتصلة بالإخراج الصحفي، وطباعة الصحف.

ومن بين التجارب المعملية التي أمكن الاستفادة منها في بحوث تداخل الجمهور QUDIENCE AVERLAP مقياس نيلسون NILSON الذي يسجل إلكترونياً وفي المعمل تشغيل جهاز التلفزيون في المنازل بما يكشف عن أسلوب المشاهدة، ودراسة الرغبات، والانتقال بين القنوات وما إلى ذلك[14].

المستوى الخامس: التجربة الحاسمة:

وهي التجربة التي يقوم بها الباحث بغرض البرهنة أو إقامة الدليل الذي يمكنه من إثبات صحة فروضه أو نفيها[15].

ويستخدم هذا النوع من التجارب بصفة أساسية في بحوث المنهج التجريبي.. إذ يعتد بهذا النوع من التجارب التي ترتبط ببحوث السببية، والتي تهدف في كثير من الأحيان إلى بناء النظرية، على أن يجب أن يكون

مفهوماً، أنه لا توجد في العلوم الاجتماعية حقائق مطلقة.. لأن المطلق لا يخرج عنه شيء.

كما أن الحكم على نتائج التجربة بغرض الاطلاع تختلف عن الحكم على نتائج التجربة بغرض إقامة الدليل.. ففي الأولى يلاحظ الباحث نتائجها دون فكرة مسبقة، وفي الثانية يسجل الباحث ملاحظاته وهو على علم مسبق بأنه باحث عن دليل إلا أن كلاً منهما يقومان على فكرة المنهج العلمي.

المستوى السادس: التجربـة الفكريـة:

وهنا تأخذ التجربة طابعاً ذهنياً كعملية عقلية استنتاجية ترافق البحث العلمي باستمرار منذ أن كان إحساساً حتى مرحلة الوصول إلى النتائج.

وتستمد هذه العملية وظيفتها الخاصة المتميزة في البحث، من حيث إنها تسمح بتحليل مفهوم معين من نواحيه المختلفة، أي إجراء تجارب فكرية عليه.. ولكن في ذهن الباحث.

ويرى مؤلفا كتاب مناهج البحث العلمي: طرق البحث الاجتماعي، أن التجارب الفكرية قد توصل الباحث إلى وضع نموذج يمكن اعتباره وسيلة لقياس بعض الأبعاد المتصلة بموضوع البحث نظرياً.

ويجب أن يكون مفهوماً أن مثل هذه النماذج لا تحل محل النظريات الحقيقية بل ولا يغنى عنها، وهي أيضاً لن تكون بديلاً للتحقيق الأمبريقي، كما هو شائع في الظروف العادية لوضع النظرية[16]. وطالما أن البحث الاجتماعي لا يجري دائماً بغية التوصل إلى استقرار علمي أو قانون اجتماعي أو صياغة نظرية اجتماعية..»[17]. فإن موقع التجربة الفكرية لا غبار عليه في البحث العلمي الاجتماعي.

وأياً كانت وجهة النظر، فإن التجربة الفكرية.. تعتبر خاصية مميزة لمنهج الدراسة العلمية، كممارسة عقلية، وأفضل السبل للتعرف على هذه الخاصية نتائج تلك البحوث الاجتماعية والسلوكية التي أكسبت الدراسات

الاجتماعية مزيداً من الوضوح والتحديد..

وفي مجال الدراسات الإعلامية، لعبت التجربة الفكرية دوراً في الوصول إلى العديد من نظريات الاتصال الشهيرة التي وضعها مارشال ماكلوهان، س. هوفلاند C. HOVLAND، و. فايس W. WEISS، أم. أس. ماكلين M.S. MACLEAN.

وأشهرها نظرية وضع الأجندة والتي اعتمدت على التجربة الفكرية في مقاييس الاهتمامات عند الجمهور[18].

فالتجربة الفكرية هي في واقع الأمر تجربة غير مباشرة تتم في داخل العقل الذي به الإدراك، وهي أساس ما يسمى بعلم النفس التحليلي.. كما أن الاستدلال هو في واقع الأمر تجربة فكرية تقوم على الملاحظة ثم استنباط النتائج، ثم الملاحظة للتأكد من صحة النتائج.. ذلك «أن الذي يقوم بالتجربة الفكرية على هذه الطريقة يفكر تفكيراً تجريبياً على الرغم من أنه لا يجري تجارب حقيقية»[19].

ثالثاً ــ استخدام التجربة في بحوث الاتصال:

إن واقع البحوث في مجال الاتصال، يدل على البحث العلمي في هذا المجال، قد استخدم التجربة بمختلف مستوياتها، وفي مختلف أنواع البحوث وخاصة تلك البحوث التي تبحث عن الدور والأثر. وفيما يلي نستعرض لأنواع البحوث المعنية بالتجربة في هذا المجال:

النوع الأول: البحوث الارتباطية:

تهتم الدراسات الارتباطية ببحث العلاقة بين متغيرات الظاهرة.. وتحليلها وتحديد حركتها وتقدير أبعادها وأهميتها في التأثير الكلي على الظاهرة.. كالعلاقة بين مستوى التعليم أو السن (متغير س) وقراءة الصحف أو مشاهدة التلفزيون (متغير ص). فإذا كنا بصدد تحديد هذه العلاقة بصورة علمية مفيدة، فإننا نكون مضطرين لوضع عدة مستويات للمتغير المستقل

(س)، ثم وضع عدة مقاييس للمتغير التابع (ص) لاستنباط القاعدة وهذا هو الأسلوب التجريبي الذي يعتمد على مقياس أخصائي معروف هو معامل الارتباط الذي يعطي قيمته ودلالته من العلاقة الحقيقية التي تنتج بين المتغيرين، واضعين في الاعتبار أن العلاقة الارتباطية بين المتغيرات في العلوم الاجتماعية لا تكون مطلقة أبداً، أي لا يعبر عنها بـ(+ 1)، وإنما تكون العلاقة دائماً كسر من واحد صحيح، ولذلك تأتي العلاقة جزئية إما موجبة (+ 01,) أو سالبة (– 01,) فما فوق.

كما أن وجود علاقة ارتباطية بين متغيرين، لا يعني أن هذين المتغيرين، هو السبب في حدوث المتغير الآخر وبمعنى آخر، أنه لا توجد علاقة سببية بين المتغيرين في حالة وجود علاقة ارتباطية (عكسية أو طردية) بينهما.

فالدراسة الارتباطية تهدف إلى معرفة:

1 ــ العلاقة الارتباطية بين متغيرات الظاهرة محل البحث (التعليم ــ وقراءة الصحف) مثلاً.

2 ــ اتجاه هذه العلاقة الارتباطية طردية أو عكسية.

3 ــ درجة الارتباط بين المتغيرين وقوتها سلباً أو إيجاباً.

وفي مجال البحوث الإعلامية، فإن الدراسة الارتباطية تفيد في معرفة العلاقة بين المتغيرات في مجالات كثيرة ومتعددة منها على سبيل المثال:

أ ــ العلاقة بين فئات السن، ودرجة المشاهدة للبرامج التلفزيونية، ونوعية البرامج..

ب ــ العلاقة بين مستوى التعليم ودرجة الإقبال على قراءة صحف معينة.

جـ ــ العلاقة بين خصائص الوسيلة، وطبيعة الدور الذي تقوم به.. الخ.

حيث يمكن في هذا النوع من الدراسات تطبيق التجربة التخطيطية

للاطلاع والتثبت من بعض المتغيرات المستقلة في علاقتها مع بعض المتغيرات التابعة.. إذ يمكن على ضوء هذه التجربة الأولية تحديد نوع العلاقات الارتباطية القائمة بين المتغيرات وبناء الفروض على أساسها.

النوع الثاني: بحوث الدور:

وتستهدف التعرف على الدور الذي تقوم به وسائل الإعلام في ترسيخ القيم والمفاهيم والسياسات وتغيير الاتجاهات.. وما إلى ذلك. وهي بحوث تعتمد على أسلوبين من الأساليب العلمية هما: **تحليل المحتوى**، للتعرف على محتوى مادة الاتصال بمختلف جوانبها الكمية والكيفية بغرض التوصل إلى «صورة موضوعية وكمية ومنتظمة لمحتوى مادة الاتصال»[20]. وهنا يمكن إقامة التجربة الاستطلاعية بما يعرف بالمسح الكيفي للتعرف على الفئات التي ستخضع لعملية الكيفية. كما يمكن استخدام التجربة التخطيطية للتأكد من صلاحية هذه الفئات عن طريق الاستعانة بمحللين آخرين للتأكد من مدى صحة وضبط استخدام الفئات في عملية التحليل.

والأسلوب الثاني: **مسح الجمهور**: بإجراء بحث ميداني عن طريق طرح استبيان معتمداً في محتوياته على نتائج تحليل المحتوى التي توصل إليها الباحث من خلال الأسلوب الأول، أي تجسيد وبلورة نتائج تحليل المحتوى في استبيان يطرح على جمهور معين لمعرفة طبيعة الدور الذي قامت به وسائل الإعلام في الموضوع أو الموضوعات التي أخضعها الباحث لتحليل المحتوى CONTENT ANALYSIS في رسائل وسائل الاتصال مقروءة أو مسموعة أو مرئية.

وهنا يمكن الاستعانة بما يسمى بالتجربة الأولية «التمهيدية» لاستمارة البحث الميداني وذلك بتطبيقها في حدود ضيقة على عينة صغيرة ممثلة لعينة البحث للتأكد من مدى صلاحية الاستمارة لبحث الميداني. ومدى فهم الجمهور للأسئلة الواردة في استمارة البحث ولغتها ودرجة وضوح الألفاظ، ومدلول بعض الكلمات وما إلى ذلك.

النوع الثالث: بحوث الأثـر:

وتنصب اهتمامات هذا النوع من البحوث على الدراسة الآثار التي أدت إليها عملية الاتصال. ويعد هذا النوع من البحوث المجال الأساسي للمنهج التجريبي في بحوث الاتصال، من خلال التجربة الحاسمة ـ بعد إجراء التجارب الأخرى كالاستطلاعية والانتقائية ـ إجراء العديد من الدراسات منها على سبيل المثال:

* البحث باستخدام التجربة لإمكانية الإذاعة المرئية كوسيلة تعليمية في:
  أ ـ قياس درجة الاستيعاب والفهم.
  ب ـ في محو الأمية.
  جـ ـ في التوجيه والإرشاد.
  د ـ في توسيع دائرة المعارف والمعلومات العامة.
  هـ ـ في الدعوة للأفكار الجديدة.

* البحث باستخدام التجربة لدراسة تأثير الوسائل المرئية كالسينما والتلفزيون والفيديو على المشاهدين، ودراسة تأثير انتشار هذه الوسائل على قراءة الصحف وساعات القراءة.

* أثر برامج الأطفال على سلوك الطفل: ومن أشهر الدراسات في هذا المجال، الدراسة التي قامت بها هـ. ت. هيملويت H.P. HIMMELWIT وزملائها، حول التلفزيون والطفل باستخدام المنهج التجريبي وتعتبر هذه الدراسة، أول دراسة شاملة، استمر إنجازها ثلاثة أعوام على عينة قوامها 4500 طفل والتي أسفرت عن نتائج هامة جداً في مجال العلاقة بين التلفزيون والطفل[21].

ويستلزم لإجراء دراسات الأثر التحكم في بعض المتغيرات وضبطها قدر الإمكان[22] ـ كما سيرد ذكره لاحقاً ـ حيث يمكن قياس أثر المتغير التجريبي بإجراء التجربة الحاسمة بغرض إقامة الدليل على وجود أثر المتغير المستقل على المتغير التابع. وهذا بطبيعة الحال يدخل ضمن بحوث المنهج

التجريبي، والتي تسمح بتكرار التجربة أكثر من مرة بما يُعرف بالتصميمات التجريبية EXPERIMENTAL DESIGNS والقياسات القبلية والبعدية THE PRETEST - POSTTEST CONTROL للمجموعات الضابطة والتجريبية لمرة واحدة أو أكثر من مرة(*) وهي في كل أشكالها ما هي إلا نوع من التجارب سواء أكانت استطلاعية أو تخطيطية أو انتقائية أو حاسمة «ذلك أن فرصة تكرار التجربة لعدة مرات مع استخدام متغيرات متعددة تزيد الثقة في نتائج التجربة»[23].

رابعاً ــ متطلبات التجربة في بحوث العلوم الاجتماعية:

إن أهم ما يميز النشاط العلمي الدقيق هو استخدام أسلوب التجربة. والتجارب العلمية تستخدم ـ كما سبق أن أوضحنا ـ على نطاق واسع في مجال البحوث العلمية التي تبحث في دراسة الظواهر الطبيعية.. وفيها يستطيع الباحث أن يتحكم بدرجة كبيرة من الدقة في المتغيرات المؤثرة في الظاهرة موضع الدراسة على اعتبار أنها متغيرات مادية يمكن قياسها بواسطة أدوات ومقاييس تتوافر لها خصائص الثبات والصدق والموضوعية والدقة.

ولكن ماذا عن التجربة في بحوث العلوم الاجتماعية؟

إننا ندرك مدى الصعوبات التي تواجه البحث الاجتماعي والباحثين عند محاولتهم عزل متغيرات الظواهر بعضها عن بعض. ولكننا بنفس المستوى ندرك أن هناك متطلبات ينبغي التمسك بها إلى أقصى حد ممكن عند إجراء التجربة، إن كنا جادين في الوصول إلى نتائج مقنعة. هذه المتطلبات يمكن عرضها على النحو التالي:

1 ــ قبل إجراء التجربة ـ ينبغي أولاً التأكد من أن الظاهرة قيد البحث تسير بانتظام، بمعنى أنها تتكرر في حالة توفر الظروف المحيطة بها.

(*) للمزيد من الاطلاع حول هذه القياسات، يمكن الرجوع إلى العديد من الكتب والمؤلفات التي تناولت مناهج البحث الاجتماعي والإعلامي والمشار إليها في مراجع هذا الفصل.

وعلى «المجرب أن يحدد الظروف التي سيجري فيها التجربة قبل إجرائها، وأن يتأكد من ملائمة هذه الظروف لواقع تجربته حتى لا ينتهي إلى نتائج متناقضة أو غامضة»[24].

2 ــ عند إجراء التجربة ينبغي توفر قدر كبير من الموضوعية والحيدة العلمية بحيث لا يتأثر الباحث بذاتيته، وهذا بدوره يتطلب أن يركز الباحث اهتمامه على ملاحظة الظاهرة دون أن يتدخل فيها. وعند إجراء التجربة الاستطلاعية عند هذا المستوى. فيجب إجراء الملاحظة بدرجة عالية من الدقة والحيدة والموضوعية «لاستخلاص الفروض التي تحكم الظاهرة في سياقها العام»[25].. وهنا يجب النظر إلى الفرض المستخلص على أنه «فرض تجريبي»[26] أي أنه قابل للتحقق بالتجربة، ومن ثم القياس والاختبار أكثر من مرة.

3 ــ عند إجراء التجربة الانتقائية ينبغي مراعاة الموقف الكلي الذي تتداخل في إطاره العناصر المكونة للظاهرة قيد البحث، على اعتبار أن عناصر الموقف الكلي تؤثر هي الأخرى على متغيرات الظاهرة أثناء البحث عن السبب والعلة. فالظواهر الاجتماعية تصعب دراستها وفهمها بمعزل عن باقي الظواهر الأخرى، لذلك ينبغي عدم استبعاد أي متغيرات بدعوى أنها لا تؤثر في الظاهرة إلا بعد التأكد من ذلك فعلاً.. لاتخاذ قرار بشأن الإبقاء عليها أو عزلها والتحكم فيها قبل إجراء التجربة الحاسمة، ويجب في هذه المرحلة ـ مرحلة التجربة الانتقائية ـ ألا نتمادى في عزل المتغيرات، حتى لا تفقد الظاهرة وجودها وحقيقتها.

4 ــ تحديد المتغيرات التي تم الإبقاء عليها، ووضع تعريفات إجرائية لها OPERATIONAL DEFINITIONS وبصورة دقيقة تبين حدود استخدامها وموقعها عند التجربة الحاسمة، هل هي متغيرات مستمرة CONTINUOUS VARIABLE أو متغيرات متقطعة DISCRETE VARIABLES.

5 ــ قبل إجراء التجربة الحاسمة، يجب العمل على توحيد الظروف

والمتغيرات بالنسبة للمجموعات التجريبية والمجموعات الضابطة قدر المستطاع[27]، حيث إن تحديد وتوحيد هذه الظروف يقتضي تساوي المجموعتين في كل الظروف المحيطة باستثناء المتغير المستقل. . فإذا لم يتحقق ذلك فإن الفشل سيكون من نصيب هذه التجربة.

ولتوضيح هذه النقطة نسوق المثال التالي:

لنفترض أننا بصدد التعرف على أثر برنامج إعلامي معين على معرفة المتلقين، فمن الطبيعي أن المعرفة السابقة تشكل متغيراً قد يتداخل مع المتغير التجريبي «البرنامج» في صدق النتائج التي ستؤدي إليها التجربة. وقد يكون لمستوى التعليم أو السن أثر آخر. ولذلك فإن مثل هذه المتغيرات يجب عزلها أي التثبت من درجة وجودها في مفردات التجربة في المجموعات الضابطة والتجريبية على حد سواء وذلك للحد من تأثيرها. ففي حالة مستوى التعليم مثلاً تكون المقارنة داخل المستوى التعليمي الواحد في إطار العينة.

ولتحقيق السيطرة على الظروف أو المتغيرات ما يسمى عند السلوكيين بفكرة الضبط[28]. . فهناك أربعة مراحل لذلك هي:

المرحلة الأولى: العشوائية: RANDOMIZATION:

وفيها يتم اختيار وتوزيع أفراد الجماعة التجريبية والضابطة من خلال الجدول العشوائي الذي يعطي الفرض المتكافئة لكل فرد من أفراد مجتمع الدراسة لأن يقع عليه الاختيار لأن يكون ضمن المجموعة الضابطة أو المجموعة التجريبية.

المرحلة الثانية: المضاهاة[29]: MATCHING:

وفيها تتم عملية المقارنة بين وجود المتغيرات بين أفراد المجموعتين الضابطة والتجريبية. . إذ يعمد الباحث إلى مقارنة متغير واحد عند فرد واحد من جماعة التجريبي مع نفس المتغير عند فرد واحد من جماعة الضبط. . مع استبعاد الحالات التي لا تتفق مع بقية

أفراد البحث في المجموعتين. ومن المحاذير التي ينبغي تجنبها «عدم الاعتماد على المتوسط الحسابي لإجراء المضاعاة لأنه لا يعطى توزيعاً تكرارياً متعادلاً للمجموعتين»[30].

المرحلة الثالثة: التحكم الدقيق: PRECISION CONTROL:

وفي هذه المرحلة تتم المقارنة بين متغيرين في آن واحد عند فرد واحد في جماعة التجريب (كمستوى التعليم والسن) مع نفس المتغيرين عند فرد واحد من مجموعة الضبط مع استبعاد أي فرد لا يتوفر عنده ذلك، ثم ننتقل إلى بقية المتغيرات، حتى يتم التأكد من أن جميع المتغيرات المراد استبعادها قد توفرت عند المجموعتين بدرجة كبيرة أو متشابهة تماماً.

مثال على ذلك: إذا أردنا إجراء تجربة حول المواقف التربوية للأم تجاه تربية أبنائها بعد تعرضها لأحد البرامج التلفزيونية، فقد نستطيع استخدام متغير المستوى التعليمي، ومتغير عمر الأم.. الخ عند الأم التي شاهدت البرنامج التلفزيوني، ومقارنة ذلك الموقف مع موقف الأم التي لم تشاهد البرنامج التلفزيوني وتحمل نفس المستوى التعليمي، ونفس المرحلة العمرية للأم التي شاهدت البرنامج.

المرحلة الرابعة: التوزيع التكراري: FREQUENCY DISTRIBUTION:

وفي هذه المرحلة تتم مراجعة توزيع المتغيرات في الجماعتين الضابطة والتجريبية للتأكد من عزلها بدرجة كبيرة. ويرى مؤلفو كتاب **الدراسة العلمية للسلوك الاجتماعي**، أنه يمكن للباحث في هذه المرحلة إعادة توزيع أفراد المجموعتين التجريبية والضابطة من جديد. وبطريقة التوزيع التكراري حتى يضمن تحقيق الفرض المتكافئة لجميع مفردات العينة لاجتياز التجربة، فإذا ظهرت بعد ذلك بعض الفروقات [والتي غالباً ما تكون طفيفة] فإنها ترجع إلى عامل الصدفة والذي يمكن

التخفيف منه والتحكم فيه عن طريق الاختبارات الإحصائية[31].

أما إذا كانت هذه الفروفات أساسية إذ تحمل متغير يصعب السيطرة عليه في المجموعتين فأمامنا طريقة واضحة للسيطرة عليه وعلى تأثيره هي معاملته كمتغير تجريبي وذلك بوضعه موضع التجربة التخطيطية لملاحظة تأثيره ووضعه في الاعتبار عن إعلان نتائج التجربة الحاسمة.

6 ـ تحديد الأدوات المطلوبة للتجربة وإعدادها ويشمل ذلك الاختبارات والاستفتاءات والمقابلات والأجهزة والمعدات وغيرها شريطة أن تستوفى هذه الأدوات الجوانب المختلفة للفرض التجريبي وتأثيراته المتوقعة وغير المتوقعة.

7 ـ المقابلة بين الفرض التجريبي ونتائج التجربة من خلال الوقائع التي أدت إليها، للتعرف على المتغير أو المتغيرات التي كانت سبباً في حدوث الظاهرة، حتى يمكن إعادة تكرار التجربة إذا دعت الضرورة لذلك. فإذا اتفقت نتائج التجربة تحت ظروف الإعادة، هنا فقط نستطيع «قبول العلاقة بين المتغير المستقل والمتغير التابع، كحقيقة.. أما إذا لم تكن نتائج البحث واضحة فلن نستطيع الدفاع عن هذه العلاقة»[32].. أو قبولها واضعين في الاعتبار أن أنواع العلاقة بين المتغيرات هي واحدة من ثلاثة:

أ ـ إما علاقة متناظرة: **SYMMETRICAL RELATION - SHIP**:

بمعنى وجود علاقة بين متغيرين أو أكثر دون أن يؤثر أحدهما على الآخر، ولكن مرتبطان مع صعوبة تشخيص المتغير المستقل عن المتغير التابع.

ب ـ أو علاقة غير متناظرة: **ASYMMETRICAL RELATION - SHIP**:

بمعنى إمكانية تحديد أي المتغيرين مستقل، وأيهما

التابع . . وهذا هو هدف أصحاب التحليل السببي.

جـ ـ **أو علاقة تبادلية : RECIPROCAL RELATION - SHIP :**

وهي العلاقة التي تحدث بين المتغيرين، عندما يتبادلان موقعيهما، بحيث يصبح المتغير المستقل تابعاً، ويصبح المتغير التابع مستقلاً.

إن تحليل وتفسير العلاقة بين الفروض ووقائع التجربة للكشف عن العلاقات القائمة بين مفردات الظاهرة، والمتغيرات التي تنظم هذه العلاقة . . ومن ثَمّ الاستدلال على العلاقة السببية التي تمثل المادة المباشرة لبناء النظرية، واضعين في الاعتبار «أن المعيار الوحيد لصحة النظرية هو اتفاقها مع التجربة، وأن متانة النظرية التجريبية يتوقف على عدد الحالات التجريبية التي تؤيدها»[33].

مراجع الفصل

(1) محمود قاسم، المنطق الحديث ومناهج البحث، ط 5، دار المعارف، القاهرة، 1967، ص 228 وما بعدها.
(2) جامعة لويزيانا الأمريكية، المدخل إلى بحوث الاتصال الجماهيري، ترجمة المركز العربي للبحوث المستمعين والمشاهدين، بغداد، 1988، ص 64.
(3) المرجع السابق، ص 62، 63
محمد الوفائي، مناهج البحث في الدراسات الاجتماعية والإعلامية، ط. المكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1989، ص 29 ـ 31.
(4) نعمات محمد الدمرداش، مدخل البحث الاجتماعي، المعهد العالي للخدمة الاجتمماعية، ب. ت، القاهرة، 1988، ص 60.
(5) سمير محمد حسين، بحوث الإعلام: الأسس والمباديء، ط 1، دار الشعب، القاهرة، 1976، ص 142.
(6) نعمات محمد الدمرداش، مرجع سابق ذكره، ص 22.
(7) سمير محمد حسين، مرجع سابق ذكره، ص 46.
(8) عبد الباسط محمد حسين، أصول البحث الاجتماعي، ط 3، دار النهضة العربية، القاهرة، 1968، ص 35.
(9) كلود برنارد، مدخل لدراسة الطب التجريبي، ترجمة عمر الشاروني، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، 1982، ص 43.
(10) معن خليل عمر، الموضوعية والتحليل في البحث الاجتماعي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1983، ص 191 ـ 200.
(11) صفوت شاكر مهنا، د. ماجدة بهجت عبد الحميد، محاضرات في البحث العلمي، القاهرة، ب.ن، ب. ت، القاهرة، ص 65.
(12) سمبر محمد حسين، مرجع سابق ذكره، ص 156، 157.

(13) نوال محمد عمر، مناهج البحث الإعلامية والاجتماعية، الأنجلو المصرية، القاهرة، 1986، ص 129.
(14) جامعة لويزيانا، مرجع سابق ذكره، ص 61.
(15) كلود برنارد، مرجع سابق ذكره، ص 52.
(16) محمد الجوهري، عبد الله الخريجي، مناهج البحث العلمي: طرق البحث الاجتماعي، جـ 2، دار الشروق، جدة، 1980، ص 47.
(17) حسن الساعاتي، تصميم البحوث الاجتماعية: نسق منهجي جديد، دار النهضة العربية، بيروت، 1982، ص 13.
(18) للمزيد من الاطلاع انظر، جيهان أحمد رشتي، الأسس العلمية لنظريات الاتصال، ط 2، دار الفكر العربي، القاهرة، 1978.
(19) محمود قاسم، مرجع سابق ذكره، ص 129.
(20) BERLSON, B., CONTENT AND ALYSIS IN COMMUNICATION RESEARCH, HAFNER PUBLISHING COMPANY, NEW YORK, 1971, P. 20.
(21) هيلمويت، هـ.ت. وآخرون، التلفزيون والطفل: دراسة تجريبية لأثر التلفزيون على النشء، ترجمة أحمد سعيد عبد الحليم، ومحمود شكري العدوي. مطابع سجل العرب، القاهرة، 1967، ص؟؟.
(22) معن خليل عمر، مرجع سابق ذكره، ص 143.
(23) عبد العزيز عبد الله، رياض أمين الحمزاوي، مرجع سابق، ص 243.
(24) محمود قاسم، مرجع سابق ذكره، ص 131.
(25) أوجست كونت، في د. زيدان عبد الباقي، قواعد البحث الاجتماعي، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة، 1972، ص 243.
(26) فرانسيس بيكون، في د. محمد طلعت عيسى، البحث الاجتماعي: مبادئه ومناهجه، ط 3ط، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة، 1963، ص 249.
(27) محمد لبيب النجيحي، د. محمد منير مرسي، البحث التربوي: أصوله ومناهجه، عالم الكتب، القاهرة، 1983، ص 237.
(28) المرجع السابق، ص 236.
(29) سمير محمد حسين، مرجع سابق ذكره، ص 169.
(30) جمال زكي والسيد ياسين، أسس البحث الاجتماعي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1962، ص 169.

(31) نجيب إسكندر، د. لويس مليكة، د. رشدي فام منصور، الدراسة العلمية للسلوك الاجتماعي، دار المعارف، القاهرة، 1960، ص 237.

(32) محمود قاسم، مرجع سابق ذكره، ص 112.

(33) عبد الرحمن بدوي، مدخل جديد إلى الفلسفة، دار النهضة العربية، القاهرة، 1968، ص 78.

الفصل الخامس

المشكلة العلمية في بحوث الإعلام

مشكلة البحث هي موضوعة، وهي مجالة، وهي الفكرة التي يقوم عليها والأساس الذي ينطلق منه الباحث.

وتُعرف المشكلة العلمية بأنها «موضوع أو مسألة يحيط بها الغموض، أو موقف أو ظاهرة تحتاج إلى تفسير أو تحليل، أو قضية تكون موضع خلاف، بحيث يمكن استخدام وتطبيق المنهج العلمي عند دراستها»[1].

ولذا فإن تحديدها من حيث الشكل والمضمون، يلعب دوراً في مدى التعمق في معالجتها، وبالتالي مدى الثقة في قيمتها العلمية، وصلاحيتها للدراسة.

أهمية تحديد مشكلة البحث:

يعتبر تحديد مشكلة البحث من المسائل الجوهرية التي لا غنى عنها في مختلف أنواع البحوث ومجالاتها. ذلك أن اكتشاف مشكلة جديرة بالبحث يحتاج إلى صبر وروية، كما أنه يحتاج إلى دقة متناهية، لما لذلك من أثر في جميع خطوات البحث، إجرائيةً كانت أم فنية. فتحديد المشكلة يساعد الباحث على تحديد:

- نوع الدراسة وأهميتها وأهدافها.
- الفروض أو التساؤلات التي تستند إليها.
- طرق البحث المناسبة لدراستها.
- نوعية البيانات والمعلومات المطلوبة لها.

ــ الوسائل والأدوات اللازمة لجمع وتحليل البيانات .

وبمعنى آخر فإن تحديد المشكلة هو تحديد وتركيز للجهد الذي يقوم به الباحث في دراسته، حيث تكون المشكلة المحددة تحديداً دقيقاً، مرشداً وموجهاً للباحث للسير بسلام في طريق البحث العلمي، لأنه عرف منذ البداية ما الذي يسعى إليه من الدراسة التي يقوم بها.

ولما كان من العسير أن يجد الباحث مشكلات علمية جاهزة، بل عليه أن يبحث وينقب حتى يضع يده على مشكلة بحثية ذات قيمة. . إلا أن ذلك لا يجب أن يفقد الباحث أهمية هذا التحديد، كما لا يجب أن يكون مبرراً لتجاوزه[2].

ويقول داروين DARWIN «إنك لتعجب كم قضيت من الوقت لأتبين بوضوح نوع المشكلات التي تحتاج إلى بحث وتفسير. وإنني إذ أعود بذاكرتي إلى الوراء، بعد أن أنجزت أبحاثي بنجاح، أرى أن تحديد المشكلات العلمية الصالحة للبحث أكثر صعوبة من دراستها وإيجاد الحلول لها»[3].

وعندما سُئل أنشتاين، كيف اكتشفت نظرية النسبية؟ قرر ببساطة أنه تحدى إحدى البديهيات.

إذن فالمسألة ليست بالبساطة كما يظن بعض الباحثين المبتدئين، مثال ذلك الباحث الذي يختار موضوعاً أو مشكلة لمجرد أن الإيقاع اللفظي لها قد استهواه، بعد أن كثُر التداول فيه، وشاع بين الناس. مثل ذلك الباحث الذي يتبنى مشكلة بحث حول «دور وسائل الإعلام في التنمية». . هنا وقع الباحث تحت تأثير الإيقاع اللفظي، وتحت تأثير التضليل الإيحائي لشيوع مثل هذه الجمل والعبارات. إلا أنه سرعان ما يكتشف خطأ ما وقع فيه. . والصعوبات التي تحول دون إمكاناته ـ كباحث فرد ـ لدراسة هذا الموضوع بكافة جوانبه. . حيث التجريد والعمومية وعدم التحديد وعدم الدقة. وحيث العديد من المشكلات التي تندرج تحت هذه العبارة والتي تفسد البحث إلى الحد

الذي يلغي فاعليته. بينما كان من الأفضل للباحث أن يحدد وسيلة إعلامية معينة، ودورها في مجال تنموي محدد. فالمشكلة البحثية في صورتها العمومية السابقة، تجعل الباحث يلتهم كل ما يقع تحت يده من معلومات مطلوبة أو غير مطلوبة. وتكون النتيجة، كم هائل من المعلومات، لا تأتي في نسق منظم، فيصعب على الباحث السيطرة عليها، فيصل إلى مرحلة الحيرة العلمية، نتيجة لفوضى المعلومات، وقد ينتهي به الأمر إلى حالة من اليأس قد تؤدي به إلى الابتعاد تماماً عن ميدان البحث العلمي.

وحتى لا يصل الباحث إلى هذه المرحلة عليه أن يعمل بجد وصبر ومثابرة على تحديد مشكلة البحث وألا يتعجل هذه الخطوة، وألا يتملكه أي شعور بالنقص أو عدم الثقة بالنفس لمجرد أنه قد تأخر في تحديد المشكلة. . وعلى العكس فإن الباحثين الأكفاء غالباً ما يمنحون هذه المرحلة وقتاً أطول، لأنهم لن يجدوا إكسيراً سحرياً، يمكن أن يضمن لهم الإسراع في عملية تعيين المشكلات.

عوامل تؤثر في تحديد مشكلة البحث:

العوامل التي تؤثر في تحديد مشكلة البحث، هي الدوافع التي تدفع بالباحث إلى دراسة المشكلة، ويرى مؤلفو كتاب الدراسة العلمية للسلوك الاجتماعي أن «اختيار مشكلة البحث يأتي نتيجة لدوافع بعضها موضوعية وبعضها ذاتية»[4].

وكثيراً ما نسمع أن باحثاً انسحب من ميدان البحث العلمي، ثم نكتشف بعد ذلك، أن الدوافع التي دفعت به إلى هذا الميدان قد زالت، أو أصبحت غير ذات قيمة بالنسبة إليه. فليس كافياً أن يكون الباحث عارفاً للمشكلة التي سيبحث فيها، واضحاً في تحديدها، دقيقاً في صياغتها، فقد تجتمع كل هذه الشروط في مشكلة معينة عند باحث ما. . . دون أن يضع في اعتباره أن هناك عوامل أخرى كان عليه أن يضعها في الاعتبار، وأهمها:

أ ـ عوامل تتصل بالدافع العلمي لدى الباحث:

وهي عوامل تتصل بالأهداف والمسائل الأكاديمية للبحث الذي يتولاه أو يقوم به، مثل:

1 ـ اختبار نظرية من نظريات الإعلام للتأكد من صدقها وخاصة تلك النظريات التي تم التوصل إليها في مجتمعات أخرى للتأكد من مدى صلاحيتها وفاعليتها في المجتمع الذي ينتمي إليه الباحث. فقد تكون النظريات التي تم التوصل إليها في كثير من الحالات بدايةً ينطلق منها الباحث فتكون هاديةً وموجهةً له تارةً أو تكون موضوعاً للبحث إثباتاً أو نفياً تارةً أخرى.

2 ـ الوصول إلى مجموعة من الحقائق التي يمكن على أساسها بناء نظرية جديدة، تضاف إلى مكونات البناء المعرفي النظري لدراسات الإعلام والاتصال.

3 ـ إعادة دراسة نتائج بعض بحوث الاتصال التي أجريت في ظروف مختلفة للمجتمع الذي يعيش فيه الباحث.. ولكن بعد مضى فترة زمنية طويلة نسبياً نتيجة لتغير الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية المحيطة بالمجتمع[5].

ب ـ عوامل تتصل بالدافع العملي لدى الباحث:

وهي عوامل تتعلق بالمسائل التطبيقية أو الخبرات اليومية التي يعمل الباحث في إطارها مثل:

1 ـ الرغبة في التوصل إلى بناء نموذج عملي أو تطبيقي جديد، يتصل بالممارسة المهنية في مجال من مجالات الإعلام.

2 ـ الرغبة في تحسين وتطوير الأساليب المتبعة في تطبيق الأسس العلمية في إنتاج وإخراج البرامج الإعلامية. مثال تلك المشكلة البحثية التي سبق الإشارة إليها، والتي تتناول «البرامج الثقافية في الإذاعة المرئية

للجماهيرية العظمى. دراسة ميدانية لآراء عينة من المشاهدين في مدينة بنغازي حول البرامج الثقافية في إذاعة الجماهيرية العظمى خلال عام 1992.

جـ ـ عوامل تتصل بذاتية الباحث:

وتتصل هذه العوامل بالإمكانات التي يجب توافرها في الباحث لدراسة المشكلة التي وقع اختياره عليها. ولذا ينبغي على الباحثين مراعاة هذه العوامل عند تحديد مشكلات بحوثهم وأهمها:

1 ـ توفر الإمكانيات المادية اللازمة لتمويل البحث إذا كانت طبيعة الدراسة تتطلب توافر إمكانيات مالية صعبة لإجرائها.

2 ـ توفر الإمكانات العلمية وغير العلمية عند الباحث كضرورة لإجراء الدراسة، مثل مصادر المعلومات وأدوات القياس، وإلمام الباحث بالأساليب المتقدمة من جمع البيانات من مصادرها الأساسية وتحليلها ومعالجتها باستخدام الأساليب الإحصائية المتقدمة والحاسبات الإلكترونية. .

3 ـ توفر الخبرة الشخصية المهنية عند الباحث والتي قد تحتاجها مشكلة البحث. . كالإخراج الإذاعي مثلاً.

د ـ عوامل أخرى تؤثر بطريقة مباشرة أو غير مباشرة على دراسة مشكل البحث، وأهمها:

1 ـ توجهات المجتمع وسياساته، وخاصة إذا كان لذلك علاقة بمشكلة البحث أو بسياسة المجتمع في مجال البحث العلمي.

2 ـ القيم الفكرية التي تتناولها المشكلة ومدى توافقها مع الاتجاهات السائدة في المجتمع[6].

كيفيـة تحديد مشكلة البحث:

يتفق كثير من المهتمين بالبحوث ـ كما سبق الإشارة ـ على أن تحديد مشكلة البحث، يكون أحياناً أصعب من دراسة المشكلة أو إيجاد حلول لها.

ومن المسائل المسلم بها في مجال البحوث العلمية، ألا يتناول الباحث في إطار مشكلة بحث واحدة، جوانب متعددة، بل عليه أن يقصر مشكلة بحثه في زاوية معينة. وقد أوردنا مثالاً لذلك الباحث الذي يبحث في دور وسائل الإعلام في التنمية على اعتبار أن مثل هذه المشكلة، تتسم بالشمول والسعة والعمومية وعدم الدقة..

ومن المسائل المعمول بها عند بعض الباحثين، أنهم يبدأون أولاً بتحديد الهدف من البحث العلمي كطريق يقودهم إلى تحديد مشكلة البحث. وهذا أمر جائز ومعمول به في بعض أنواع البحوث.

ومن الوسائل التي أثبتت كفاءتها في تحديد مشكلة البحث، وضع المشكلة في صيغة سؤال أو مجموعة من الأسئلة.. حيث أن عرض المشكلة وتحديدها في صورة استفهامية، يتطلب بالضرورة إجابة محددة. وتصبح الإجابة عندئذ هي هدف الدراسة الذي يبنى عليه الباحث مشكلة البحث.

ومهما يكن الأسلوب الذي يتبعه الباحث في كيفية تحديد مشكلة البحث، فإن هذه الخطوة تعتبر مسألة إجرائية هامة، ينبغي على كل باحث أن يقوم بإجرائها حتى يتمكن من تحديد المشكلة تحديداً دقيقاً. وتتضمن هذه الخطوة النقاط التالية:

1 ــ دراسة البعد التطوري العلمي للمشكلة أو ما يطلق عليه بالخلفية العلمية للمشكلة، أو الرصيد المعرفي لها.. وذلك بالاطلاع على الدراسات والبحوث والكتب والمراجع التي تتصل بمشكلة البحث. فالباحث لا يبدأ من فراغ وإنما يبدأ من حيث انتهى الآخرون.. أو من زاوية جديدة لم يتطرق إليها الآخرون. ويعبر فيرمان FERMAN عن هذه الخطوة «بمسح التراث الفكري للمشكلة وفحصة»[7].. وهي مسألة هامة للأسباب التالية:

أ - توفر للباحث بيانات ومعلومات عن تطور واتجاهات دراسة المشكلة والحالة العلمية الحاضرة لها.

ب ـ تبين للباحث مدى توفر المراجع التي سيعتمد عليها في دراسته اللاحقة للمشكلة.

جـ ـ تبعد الباحث عن الوقوع في خطأ تحديد المشكلة بصورة قد سبق دراستها.

د ـ تساعد الباحث على تحديد السمات العلمية التي تميز مشكلة بحثه عن مشكلات البحوث السابقة ذات الصلة.

هـ ـ تحدد للباحث نوع المعلومات الجديدة التي يسعى إلى إضافتها للمعرفة الإنسانية.

2 ــ تحديد نوعية الدراسة للمشكلة محل البحث، هل هي دراسة تحليلية أم ميدنية أم تطبيقية؟ وهل هي دراسة شاملة أم بالعينة؟ .. وغيرها من المسائل الأخرى. وعلى الباحث في مجال الدراسات الإعلامية أن يضع في اعتباره أن هذه الخطوة تتطلب مراعاة النقاط التالية:

أ ـ أن بحوث الدور في مجال الدراسات الإعلامية تتطلب أن يجمع الباحث بين أسلوبين من أساليب الدراسة المسحية هما تحليل المحتوى، ودراسة جمهور الإعلام.

ب ـ أن بحوث الأثر في مجال الدراسات الإعلامية تتطلب أن يعمل الباحث إما بأسلوب الدراسة السببية المقارنة أو بإتباع المنهج التجريبي بحثاً عن الأثر الذي يقدمه الباحث من خلال التجربة الحاسمة.

جـ ـ أن الدراسات الوصفية التفسيرية في مجال الدراسات الإعلامية هي دراسة من جانب واحد إما تحليلي، أو ميداني، أو تطبيقي.

3 ــ تحديد نطاق المشكلة من كافة الجوانب التي تتطلبها طبيعة المشكلة.. سواء أكانت هذه النطاقات جغرافية أو بشرية، أو زمنية. وذلك وفقاً

لطبيعة البحث أو الدراسة. . لأن ذلك من شأنه أن يجعل المشكلة أكثر تحديداً، على أن يتم ذلك التحديد، وفقاً للاعتبارات العلمية التي ترد في خطوة تعريف المفاهيم والمصطلحات الواردة في مشكلة البحث.

4 ــ صياغة مشكلة البحث صياغة علمية محددة، تحدد مجال المشكلة بدقة وأسلوب دراستها وحلها. . وينبغي مراعاة ألا تكون الصياغة طويلة ومملة، ولا قصيرة مخلة[8]، وهذا يتطلب مراعاة الاعتبارات التالية:

أ - أن تصاغ مشكلة البحث في أسلوب علمي يستمد طبيعته من طبيعة المشكلة، ويتجه إلى التركيز في العبارات والجمل والألفاظ بقدر المعنى المقصود.

ب - أن تصاغ مشكلة البحث بوضوح حيث «إن المشكلة المصاغة بطريقة مبهمة أو غامضة تؤدي إلى إرباك الباحث بدلاً من أن ترشده إلى مصادر المعلومات اللازمة لحلها»[9].

جـ - أن تصاغ مشكلة البحث بدقة حيث إن المشكلة المصاغة بطريقة شاملة ومترهلة تفقد الباحث السيطرة إلى مكوناتها فتقل كفاءة الدراسة وقيمتها العلمية.

5 ــ تعريف المفاهيم والمصطلحات والمتغيرات الواردة في مشكلة البحث، ففي ذلك توضيح للمشكلة في ذهن الباحث نفسه، وذهن القارىء الذي يتابع البحث. إذ لا ينبغي على الباحث أن يغفل شرح أو تعريف المفاهيم أو بعضها، لمجرد أنها مفاهيم يصعب شرحها أو أنها شائعة بمفهوم معين عند الناس، مثل تعريف الإذاعة. . حيث إنه مفهوم شائع لا يحتاج إلى تعريف، ولكن على الباحث أن يحرص على تحديد مفهومه للإذاعة في البحث. . حيث ترى بعض المجتمعات أن الإذاعة هي المسموعة، بينما في مجتمعات عربية أخرى يستخدم مصطلح الإذاعة للدلالة على الإذاعتين المسموعة والمرئية. وعلى أية حال. . فالمصطلح قد يكون بسيطاً ولكنه قد يكتسب الكثير من المعاني في ذات

الوقت. وقد عالجنا هذا الموضوع بالتفصيل في فصل سابق.

طرق تحديد مشكلة البحث:

إن الدقة في تحديد مشكلة البحث في مجال الدراسات الإعلامية لهو أمر ضروري لا غنى عنه لمستلزمات البحث العلمي في هذا المجال. وبالرجوع إلى ببلوغرافيا الدراسات الإعلامية في الوطن العربي، نلاحظ شيوع كثير من المشكلات أو الموضوعات العامة التي تمس البناء الخارجي لموضوعات الإعلام ووسائله، دون أن تتطرق إلى الأدوار والوظائف أو الآثار أو العمليات الإعلامية الأساسية.. وهذا بدوره يؤثر تأثيراً بالغ المدى في نتائج مثل هذه الدراسات وفي قيمتها العلمية.

وهناك طريقتان أساسيتان تمكنان الدارس من الوصول إلى اختيار وتحديد مشكلة البحث. فقد يقوم الأستاذ المشرف أو القسم الذي يدرس فيه الطالب، باقتراح المشكلة أو أن يقوم الدارس باختيار ذلك بنفسه. وهناك من يرى مزايا للطريقة الأولى، إذ يكون الموضوع الذي يقترحه المشرف أو القسم أكثر مناسبة للبحث فضلاً عن أن نطاق المشكلة سيكون محدداً بصورة جيدة.. إلا أن بعض المتخصصين يفضلون أن تترك مهمة اختيار مشكلة البحث للباحث نفسه.

وفي تقديري، إن على الباحث أن يسعى ـ على الأقل ـ للتعرف على المجال الذي توجد فيه المشكلة بدايةً، ثم تجيء بعد ذلك مرحلة الأستاذ الموجه في أحكام صياغة المشكلة، وتبيان أبعادها المختلفة، والإمكانات والقدرات المطلوبة لدراستها، ونوع العقبات أو الصعوبات التي قد تواجه الباحث والتعرف على مدى قدرته على اجتيازها.

وقد يكون من الأفضل على الطالب أن يتقدم بأكثر من موضوع إلى القسم أو المشرف على الطالب، الذي يتولى بدوره اختيار إحدى الموضوعات التي تقدم بها الطالب مع مراعاة الاعتبارات العلمية لمواصفات المشكلة الجيدة والتي نعرض لها بصورة موجزة على النحو التالي:

1 ـ الصياغة الجيدة للمشكلة من حيث الدقة والتركيز والوضوح بالصورة التي توضح أبعادها ومتغيراتها ونطاقها.

2 ـ أصالة المشكلة من حيث:

أ ـ فائدتها العلمية أو قيمتها العملية.

ب ـ حداثة المشكلة وعدم تكرارها لموضوعات سبق دراستها.

جـ ـ عدم اعتمادها على دراسة معلومات أو وثائق متحيزة تضع الباحث موضع الشك العلمي[10].

3 ـ قابلية المشكلة للدراسة أو الحل أو التفسير من حيث إمكانات إجرائها سواء أكان الأمر بالنسبة لطبيعة المشكلة أو إمكانات الباحث الشخصية والعلمية.

تحليل مشكلة البحث:

يتطلب تحليل مشكلة البحث، التعرف على الإطار العام للمشكلة بأبعاده المختلفة من حيث:

ـ المكونات الأساسية للمشكلة.

ـ المتغيرات الأولية والمحتملة في إطار هذه المكونات.

وعند تحليل المشكلة، ينبغي التعامل مع عملية التحليل كجهد فكري يستند إلى المعلومات والوقائع والتفسيرات ذات الصلة بالأبعاد المختلفة لمشكلة البحث. على اعتبار أن هذه الخطوة تمثل المرتكز الأساسي لبناء الفروض أو التساؤلات التي تحكم مسار الدراسة، ولذا فإن موضوعية هذه الخطوة تتطلب من الباحث أن يعمل على إجرائها مجرداً عن الصور التي تشكل رأيه. وعليه ذكر كل مكونات المشكلة. . وليس من حقه إبعاد أياً منها حتى ولو كانت غير ذات تأثير من وجهة نظرة الخاصة حيث يكون ذلك من حقه في مرحلة بناء الفروض أو التساؤلات.

وللمزيد من التوضيح نسوق المثال التالي والذي يتناول:

التحرك الإعلامي والدعاية الصهيونية

في الفترة 48 ـ 1973

كمجال توجد في إطاره مشكلة تستحق البحث أو الدراسة ومن عدة زوايا تحليلية أو وصفية تفسيرية من المستوى الثاني، أو تاريخية.. الخ.

أولاً ــ حقائق وأساسي تصل بالتحرك الإعلامي:

1 ــ فلسفة التحرك الإعلامي:

أ ـ نظرية بافلوف.

ب ـ نظرية فرويد.

جـ ـ فلسفة جون ديوي.

2 ــ قواعد التحرك الإعلامي:

أ ـ التخطيط على المدى القريب والبعيد.

ب ـ توجيه التحرك الدبلوماسي والعسكري.

جـ ـ المرونة والسرعة في التعامل مع المتغيرات.

3 ــ أساليب التحرك الإعلامي:

أ ـ الإغراق.

ب ـ الشائعات.

جـ ـ الحرب النفسية.

د ـ الإقناع.

هـ ـ التحايل والمساومة.

و ـ الضغط والإكراه.

4 ــ أهداف التحرك الإعلامي:

أ ـ نقل المفاهيم وزرع المدركات.

ب ـ تشويه الأفكار وخلق البلبلة لتدعيم عدم الثقة في القيادات.

جـ ـ تحطيم الثقة في الذات القومية العربية.

د ـ خلق تشققات في الجسد القومي العربي.

هـ ـ خلق قوة ضاغطة على المستويات المحلية والعالمية.

5 ــ ميادين التحرك الإعلامي:

ــ الإعلام الداخلي.

ــ الإعلام الخارجي الموجه.

ــ الإعلام المضاد.

ثانياً ــ الدعاية الصهيونية «حقائق وأساسيات»:

1 ــ مرتكزات الدعاية الصهيونية:

أ ـ التمييز بين الدعاية الداخلية والدعاية الخارجية.

ب ـ التمييز بين الدعاية والدعوة والحرب النفسية والإعلام المضاد واستخدام كل منها وفقاً لطبيعة الموقف.

2 ــ محاور الدعاية الصهيونية:

أ ـ فن التخاطب النفسي.

ب ـ الولاء والانتماء الروحي.

جـ ـ عقدة اليهودي المضطهد «عقدة الذنب».

د ـ الأبعاد الإنسانية للوجود اليهودي.

هـ ـ شرعية الوجود الإسرائيلي الصهيوني.

و ـ مبدأ إسرائيل في حاجة إليك.

ز ـ مبدأ أنت بحاجة إلى إسرائيل.

3 ــ مراحل الدعاية الصهيونية:

أ ـ مرحلة الدفاع عن اليهودية.

ب ـ مرحلة الدعوة الصهيونية.

جـ ـ مرحلة الاعتراف الدولي بإنشاء دولة إسرائيل.

و ـ مرحلة الاعتراف الصريح بالوجود الإسرائيلي.

هـ - مرحلة التقسيم السياسي، وتحويل استراتيجية القتال إلى استراتيجية سلمية أساسها الاتصال المباشر.

4 ـ أساليب الدعاية الصهيونية:

1 ـ أسلوب الجوقة(*).

2 ـ أسلوب التعدد:

أ - الإعلام الرسمي للدولة.

ب - الإعلام الصهيوني المنظم.

جـ - إعلام المنظمات السياسية الصهيونية.

د - إعلام رابطة الدفاع عن اليهودية.

هـ - إعلام حركة إسرائيل الكبرى.

مصادر المشكلات البحثية:

تتعدد مصادر المشكلات البحثية وتتنوع حسب طبيعة المجال العلمي الذي تنتمي إليه المشكلة، وتبعاً لاهتمامات وميول الباحث وقراءته. ومدى احتكاكه بالمؤثرات العلمية كالمحاضرات والندوات والمؤتمرات العلمية وما إلى ذلك[11]. ومن أهم هذه المصادر:

1 ـ المجال العلمي لموضوع البحث، والذي يمكن الباحث من معرفة العديد من المشكلات التي يمكن أن تكون مجالاً للبحث أو الدراسة. فالباحث المتخصص الذي يمتلك الحس البحثي، يكون أكثر قدرة من غيره في التعرف على العديد من المشكلات غير المدروسة ذات الصلة بمجال تخصصه. فالبيئة العلمية لميدان البحث، تشكل مرتكزاً هاماً للعديد من المشكلات البحثية، فنظريات الاتصال في الدراسات الإعلامية تعطي للباحث خلفية قوية في التعرف على المشكلات البحثية

(*) أحد أساليب الدعاية المضللة، ويعنى إصدار مفاهيم أو آراء أو تصريحات متنوعة ومتناقضة في نفس الوقت حول موضوع واحد. بحيث يخدم كل منها وجهة نظر مختلفة ومن ثم فإن المستقبل لا بد وأن يتعاطف مع إحداها.

والتحقق منها بالأسلوب العلمي لا بما توحي به الإفكار الذاتية غير الممحصة.

2 ـ الملاحظات والخبرات اليومية التي يدركها الباحث في حياته اليومية أو من خلال عمله، والتي تزوده بالأفكار التي يمكن من خلالها بلورة ملاحظاته في مشكلة بحثية تستحق الدراسة أو الحل.

فقد أثبت الواقع أن الملاحظات والخبرات اليومية للمتخصصين الممارسين في مجالات الإعلام المختلفة، قد شكلت مرتكزاً أساسياً في اختياراتهم لمشكلات علمية، قاموا بدراستها، وتوصلوا من خلالها إلى مقترحات إيجابية ساعدت على تطوير وتحسين أساليب الممارسة المهنية أو بناء نماذج لممارسة جديدة مبنية على أسس علمية مدروسة، فجاءت أبحاثهم معززة للقاعدة البحثية التي تقول إن الاختيار السليم لمشكلة البحث له أثر كبير في القيمة العلمية والعملية للبحث الذي يقوم عليها.

3 ـ الدراسات والتقارير ونتائج البحوث والتي تعتبر مجالاً خصباً للتعرف على مشكلات البحوث. . ولذلك فإن الباحثين المبتدئين مطالبون دائماً بالقراءة المتأنية للبحوث والكتب والمراجع، لما تمدهم به من مشكلات بحثية جاهزة، محددة المجال، وبذلك توفر عليهم كثيراً من الخطوات اللازم اتباعها للتعرف على مشكلة البحث وتحديدها.

مثال لمشكلة بحثية مستقاة من تقرير:

(أكدت جملة من التقارير الخاصة بمتابعة نشاطات مكاتب الإعلام الخارجية، التابعة للجامعة العربية، وجود قصور واضح في الجهود الإعلامية العربية لما تترتب عليه نقص واضح في إبراز حقائق الموقف العربي، وتأكيد وجهة النظر العربية في العديد من القضايا العالمية)[12].

ومثال آخر لمشكلة بحثية مستقاة من دراسة علمية:

(يتوقف تقييم الآثار الطيبة أو الضارة للتلفزيون على الطفل من طبيعة ونوع النشاط الذي تخلفه هذه الآثار)[13].

وعلى ذلك، فإننا نلاحظ أن مثل هذه المؤشرات التي تتضمنها التقارير والبحوث تعتبر كافية لتحديد مشكلات علمية في مجال الدراسات الإعلامية وغيرها من مجالات الدراسات الأخرى. وبذلك يتوفر على الباحث وقتاً كان من الممكن أن يضيع بحثاً عن مشكلة بحثية.

4 ـــ الإحساس بالمشكلة:

يقول جون ديوي إن المشكلة تنبع من الشعور بصعوبة ما، شيء ما يحير الفرد ويقلقه، عدم ارتياح مؤرق ينهش هدوء تفكيره، حتى يتعرف على ما يحيره، ويجد بعض الوسائل لحله[14].

فمن الواضح أن الإحساس بالمشكلة يلعب دوراً كبيراً في التعرف على المشكلة. ذلك أن الإحساس بالمشكلة كما يدل المصطلح، يعني أن الظواهر مهما كانت وضعيتها بالنسبة إلينا، فإن شعورنا بها، لا يتعدى كونها «موقف غامض»، يطرح سؤالاً محيراً، لا يوفقنا في التعرف على الحقيقة الداخلية للظاهرة، فالمعرفة التي تأتي عن طريق هذا الإحساس، معرفة ناقصة، لأنها إحساسات غامضة، وليست معـان واضحة تحدد وضعية الظاهرة. إلا أن لهذا الإحساس قيمته المعنوية التي تدفع بالباحث إلى تخطي هذا الشعور محاولاً التعرف على حقيقة هذا الموقف الغامض، وبالتالي التفكير في كيفية تحديد المشكلة.

وهذا بدوره يتطلب من الباحث أن يسلك مسلكاً عقلياً حتى يلج عالم الظاهرة. التي قد تخضع لقوانين ما كان يدور بخلده أنها توجد حقيقة. وهنا يقود الإحساس إلى الإدراك العقلي الذي يتمخض عن تحديد للمشكلة. ولذلك فإننا نرى أن الإحساس يمثل أحد مصادر التعرف على المشكلات البحثية عن طريق الباحث.

تقـويم مشكلـة البحـث:

من الحكمة أن يهتم الباحث في مشكلة معينة بهذه الخطوة.. التي تعتبر مكملة لعملية تحديد المشكلة «إذ يكتشف الباحث أن المشكلة ليست

على درجة من الأهمية التي قدرها، أو أن العديد من الصعوبات التي لم تظهر في البداية قد تقف عقبة في سبيل إتمام البحث، أو أن المشكلة على درجة من الاتساع لا يسمح بالإحاطة الشاملة لها»[15]، أو أنه راغب في تعديل بعض جوانبها بسبب ظهور بعض الصعوبات الفنية التي تتصل بدراستها.

وتتم هذه العملية، وفقا لبعض الاعتبارات الموضوعية والتي تأخذ شكل الأسئلة التي يطرحها الباحث على نفسه أو على موضوع بحثه.. بما يمكن أن نطلق عليه التقويم الداخلي والتقويم الخارجي لمشكلة البحث. وعلى الباحث أن يكون مستعدا للإجابة عليها دائما سواء بالنفي أو الإيجاب، بل إن هناك بعض الأسئلة التي يتوقف الباحث عن الإجابة عليها حتى يصل إلى إجابة شافية يطمئن إليها. فإذا جاءت إجاباته عن هذه الأسئلة إيجابية، فهذا يعني أنه يسير في الاتجاه الصحيح الذي يحقق الهدف من البحث. والعكس صحيح، وإذا جاءت إجاباته تجمع بين الإيجاب والسلب، فغالباً ما يتم تعديل مشكلة البحث، حيث يكون هذا التعديل مهماً في تجاوز الأخطاء التي ظهرت من تحديد مشكلة البحث في صورتها الأولى.

1 ـ التقـويم الداخلـي:

يتصل التقويم الداخلي بمشكلة البحث نفسها وما يرتبط بها من جوانب مختلفة كالفروض مثلاً. ويأخذ التقويم الداخلي شكل الأسئلة التي ينبغي على الباحث الإجابة عليها وأهمها:

أ ـ ما مدى الدقة في صياغة المشكلة؟

ب ـ هل المشكلة ممكنة التنفيذ؟

جـ ـ هل المشكلة محددة بوضوح؟

د ـ ما هي النقاط التي تتطلب طبيعة الدراسة أبعادها عن مشكلة البحث؟ وما هي النقاط التي يجب الإبقاء عليها؟

هـ ـ هل أغفل الباحث إحدى المتغيرات خلال صياغته لفروض المشكلة؟ وكيف يمكنه تدارك ذلك؟

و - ما مدى توفر المصادر الأولية لدراسة المشكلة.

ز - هل يمكن تكوين إطار نظري رصين للمشكلة؟

ح - ما مدى صلاحية التعريفات التي وضعها الباحث لمصطلحات المشكلة؟ وهل تفي بغرض الدراسة أم أنها بحاجة إلى تعديل؟

ط - هل تتوفر أدوات القياس لنوع الفروض التي تبناها الباحث؟.

2 ـ التقـويم الخارجـي:

يتصل التقويم الخارجي لمشكلة البحث بتقييم الباحث نفسه، حيث يطرح على نفسه بعض الأسئلة ليجيب عليها صراحةً وأهمها:

أ - هل يمكن للباحث تناول المشكلة المطروحة وحلها؟

ب - هل هي في مقدور الباحث وإمكاناته العلمية والمادية؟

جـ - هل يستطيع الباحث الالتزام بالموضوعية أثناء دراسته للمشكلة دون أن ينزلق في متاهة التحيز والآراء الذاتية؟

و - هل توجد علاقة قوية بين ميدان تخصص الباحث ومشكلة البحث؟ أم أن العلاقة سطحية بما يؤثر على سطحية النتائج وعدم جدواها؟

هـ - هل استجدت بعض الظروف والتطوات التي تمنع الباحث من استكمال دراسته؟

و - هل يمكن دراسة المشكلة في حدود الوقت المتاح أو المطلوب لدراستها؟.

إن إجابة الباحث على الأسئلة السابق ذكرها، تمكنه من إصدار حكمه فيما يتصل بالاستمرار في دراسة المشكلة في صورتها الأولى أم أنه بحاجة إلى إجراء بعض التعديلات عليها، أم أنها غير جديرة بالدراسة، وعليه أن يبحث عن مشكلة جديدة.

إن تقويم المشكلات العلمية درس يجب أن يتعلمه طلبة الدراسات العليا فهو عملية وقائية تمنع الباحث من تبديد جهده الذي كان من الممكن توجيهه لإجراء دراسة أو بحث على يستند إلى مشكلة علمية سليمة.

مـراجـع الفصـل

(1) السيد أحمد مصطفى، إعداد المقترحات الأولية لمشروعات البحوث: نموذج للتطبيق، بنغازي، منشورات جامعة قاريونس، 1992، ص 28.

(2) محمد الغريب عبد الكريم، البحث العلمي: التصميم والمنهج والإجراءات، ط 2، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، 1982، ص 30.

(3) زيدان عبد الباقي، قواعد البحث الاجتماعي، القاهرة، مكتبة السعادة، 1972.

(4) نجيب إسكندر، لويس مليكة، رشدي فام، الدراسة العلمية للسلوك الاجتماعي، القاهرة، مؤسسة المطبوعات الحديثة، 1961، ص 179.

(5) سمير محمد حسين، بحوث الإعلام: الأسس والمبادىء، القاهرة، دار الشعب، 1976، ص 80.

(6) إقبال الأمير السمالوطي، منهجية في البحث الاجتماعي، القاهرة، المعهد العالي للخدمة الاجتماعية، 1988، ص 40.

(7) FERMAN, GERALD AND LEVIN JACK, SOCIAL SCIENCE RESEARCH: A HAND BOOK OF STUDENTS, JOHN CIRLEY AND SONS, 1970, P. 63.

(8) غازي حسين عناية، إعداد البحث العلمي، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 1986، ص 40.

(9) فان دالين (ديوبولد. ب)، مناهج البحث في التربية وعلم النفس، ترجمة محمد نبيل نوفل، سليمان الخضري، طلعت منصور غبريال، ط 3، القاهرة، الأنجلو المصرية، 1985، ص 191.

(10) محمد زيان عمر، البحث العلمي: مناهجه وتقنياته، ط 2، جدة، دار الشروق، 1975، ص 64.

(11) سمير حسين، مرجع سابق، ص 79.

(12) المرجع السابق، ص 57.
(13) هيملوايت، هـ. ت. وآخرون، مرجع سابق، ص 25.
(14) جون ديوي، في: فان دالين، مرجع سابق، ص 184.
(15) سمير حسين، مرجع سابق، ص 89.

الفصل السادس

الفرض في بحوث الإعلام

بعد التحديد الواعي لمشكلة البحث، يبدأ الباحث التفكير في وضع تفسير مبدئي للظاهرة التي ينوي دراستها بحثاً عن الفروض المختلفة، فإذا كان بصدد دراسة مدى إقبال المشاهدين على برنامج معين، عندئذ يتساءل هل سبب ذلك يرجع إلى جودة البرنامج أم إلى قلة البرامج الجيدة أم إلى عدم وجود برامج منافسة له.. الخ. وهكذا يقلب الباحث أفكاره في محاولة إلى وضع تفسير مؤقت لسبب إقبال الناس على مشاهدة البرنامج المعني.. هذا التفسير المؤقت ما هو إلا مجموعة من الآراء التي يرى الباحث أنها تمثل مجموعة المتغيرات أو العوامل التي تؤثر في مشكلة البحث.

وهنا تبرز الحاجة إلى صياغة هذه الآراء في فروض. وفي بعض الأحيان تستبدل الفروض بمجموعة من الأسئلة البحثية، حيث إن هناك بعض أنواع الدراسات لا يصلح لها منطق وضع الفروض لطبيعتها الاستطلاعية أو الكشفية، التي لا تحتاج إلى اختبار الفروض بقدر حاجتها إلى الإجابة على الأسئلة البحثية.. حيث إن هذا النوع من الدراسات يرتبط بظواهر لا يعلم الباحث عنها شيئاً، بحيث يكون من الصعب عليه، وضع فروض دقيقة فيكتفي بصياغة مجموعة من التساؤلات، تعطي الإجابة عليها فكرة عن الظاهرة الأمر الذي تتيح له أو لغيره من الباحثين في المستقبل الاستناد إلى نتائجها لاستنباط فروض يمكن اختبارها في بحوث أخرى.

ويرى بعض المهتمين بمجالات البحث العلمي في العلوم الاجتماعية «أن ضرر إصرارنا على فرض الفروض التي يغلب عليها التحديد في هذا النوع من الدراسات يكون أكبر من نفعه»[1].

ونستدل على ذلك أن هناك بحوثاً يمكن أن تُجرى بدون وضع فروض.. إذ يمكن الاستعاضة عنها بطرح مجموعة من التساؤلات التي يسعى الباحث للإجابة عليها كخطوة بديلة لخطوة وضع الفروض، ولا غرو في ذلك طالما أن الفرض وسيلة للكشف عن حقائق جديدة لا غاية في حد ذاته.

ومثلما هناك بحوث تحتاج إلى فروض لاختبارها والتحقق منها، هناك بعض أنواع البحوث والدراسات التي تعتمد على خطوة وضع الفروض، إلا أن الباحث لا يقوم باختبارها.. حيث يصاغ هذا النوع من أنواع الفروض بطريقة توجه الباحث إلى جمع بيانات ومعلومات وصفية معينة، «بحيث يكون الفرض متضمناً في نوعية البيانات الوصفية التي يجمعها الباحث»[2]، وهو ما يسمى بالفروض الوصفية التي سنتناولها بالتفصيل في الجزء الخاص بالتحقق من الفروض.

وتجمع بحوث ودراسات الإعلام في كثير من اتجاهاتها بين التساؤلات والفروض حيث تغطي التساؤلات الأبعاد المختلفة للدراسة النظرية وبعض الدراسات الوصفية والتاريخية، بينما تلبي الفروض متطلبات الدراسات الميدانية، والتحليلية وشبه التجريبية والتجريبية، نظراً لطبيعة بياناتها الرقمية والإحصائية، وإمكانية تبريرها بالأرقام واختبارات الدلالة المناسبة لها.. حيث يعد تجاهلها نقيصة كبيرة تهز موثوقية تصميمها وإجراءاتها ونتائجها العلمية»[3].

ويجب على الباحث أن يعلم، أن وضعه للفروض التساؤلات لا يعنى أن يكون خاضعاً لها، وإنما الهدف الأساسي لوضعها هو تحديد هدف ومدار البحث، من أجل إثباتها أو رفضها. فهو غير ملتزم بإثبات صحتها لأنها مجرد تخمينات قد تكون صحيحة أو مغلوطة. وهذا يرجع إلى الظاهرة التي يقوم الباحث بدراستها. وعلى ذلك فإن عمل الباحث يجب أن يكون منحصراً في الكشف عن واقع الفرض، فإذا ظهرت نتائج البحث مغايرة للفروض التي تبناها، فعليه أن يرفضها، ويبرهن على خطئها[4]، وهذا يتطلب من الباحث

أن يتعامل مع الفرض على أنه رأي مؤقت قابل للاختبار وصدق المعلومات التي تؤكده وذلك حسب طبيعة البحث. وفي المنهج الاستقرائي ينبغي التسليم بإخضاع الفرض للتجربة، فإذا ثبت، فإنه يتحول إلى نظرية التي هي في واقع الأمر «فرض مثبت أخضع لضبط الاستدلال ونقد التجربة»[5].

ماهيـــة الفــرض:

يرى الدكتور محمد عماد إسماعيل أن الفرض HYPOTHESIS قضية تحمل خبراً يتعلق بعناصر واقعية وتصويرية للظاهرة أو بالعلاقات القائمة بينهما، بحيث يتعدى هذا الخبر الواقع والخبرات الحسية المفروضة، يصوغه الباحث بغرض زيادة الفهم أو التفسير للظاهرة موضوع البحث[6].

وبعبارة أخرى فإن الفرض هو أحسن تخمين أو حرز، يتضمن ظرفاً لم يثبت عنه شيء بعد.. ولكن يستحق البحث والاستقصاء، ويمكن كذلك التعبير عنه بأنه أحسن حل ممكن لمشكلة من المشاكل، أو تفسير لحقيقة غير معروفة.. فهو محاولة لوصف عنصر أو علاقة إذا وجد أنها صحيحة عن طريق الاستنتاج المنطقي، فإن ذلك يمهد الطريق لقيام تفسير معين أو نظرية معينة.

ويرى الواثق عبد المنعم، أن الفرض العلمي يصنعه الباحث على سبيل الحذر والتخمين لتفسير علل الأشياء ومعلولاتها فإذا تحقق أصبح نظرية[7].

والفروض عند فان دالين VAN DALIN عبارة عن حلول مقترحة لمشكلة عُبر عنها كتعميمات أو مقترحات. إنها تقريرات تتكون من عناصر صيغت كنظام منسق من العلاقات التي تحاول تفسير حالات أو أحداث لم تتأيد بعد عن طريق الحقائق. وتكون بعض العناصر والعلاقات التي تتضمنها الفروض حقائق معروفة في حين أن البعض الآخر يكون حقائق متصورة[8].

بينما يرى مؤلفا قاموس التحليل الاجتماعي، أن الفرض هو عرض لعلاقة متوقعة بين متغيرات، تستنبط من ملاحظة أو تستنتج من نظرية أعم منه

أو أشمل أو يقدم بالاعتماد على الحدث أو التخمين[9].

ويعرف عبد الباسط محمد حسن الفروض «بأنها أفكار مبدئية تتولد في عقل الباحث عن طريق الملاحظة أو التجربة، فيحاول التحقق من صحتها باستخدام الملاحظة أو التجربة من جديد. . وهو عبارة عن فكرة مبدئية تربط بين الظاهرة موضوع الدراسة وبين أحد العوامل المرتبطة بها أو المسببة لها أو أنه عبارة عن فكرة مبدئية تربط بين متغيرين أحدهما مستقل والآخر تابع[10].

ويعرفه كيرلنجر KERLENGER بأنه عبارة تخمينية ذكية تتناول العلاقة بين متغيرين أو أكثر يصوغه الباحث بناءً على دراسات وتفكير تأملي وملاحظات دقيقة[11].

والفرض عند كلود برنارد K. BERNARD يمثل «نقطة الانطلاق الضرورية لكل استدلال تجريبي، فهو ليس كياناً فطرياً، ولا يظهر تلقائياً. . إذ لا بد من مثير خارجي. ولكي نكون فرضاً حول ظاهرة ما ينبغي أن نراها أي وجب أولاً أن نلاحظها، وعلى أثر الملاحظة يتقدم الفرض لمعرفة العوامل الكامنة وراء الظاهرة أو حتى سببها، ثم تقع صياغة الفروض في قالب منهجي يجري بموجبه البحث»[12].

ويفرق إحسان محمد الحسن من الفرض كأفكار لا تخلو من الصحة، وتأتي نتيجة مشاهدات وتجارب مر بها الباحث وبين التخمين الذي لا يتعدى مجرد أفكار مبدئية تتولد في عقل الباحث عن طريق الملاحظة العابرة. ولذا فهو يرتفع بالفرض عن مستوى التخمين، ويقترب به إلى مستوى أقل تأكيداً من الحقيقة[13].

ويركز ميداور MEDAWAR في تعريفه للفرض، على الحوار الذي يدور في ذهن الباحث، بين واقع الظاهرة، حيث محدودية معلومات الباحث عن هذا الواقع، وبين ما يمكن أن يتخيله من أفكار ممكنة أو مقترحة لتفسير الظاهرة. فيقول: «تبدأ محاولة الفهم العلمي للظاهرة بمغامرة تأملية، أو

توقع خيالي لما قد يكون صحيحاً. ويكون هذا التوقع قريب أو بعيد عما لدينا من منطق حول الظاهرة موضوع الدراسة، وهو توقع الفكر أحدهما تخيلي والآخر ناقد. . حوار بين الحقيقي والممكن يبنى على أساسه الباحث فروضه»[14].

ويعرفه د. محمد الغريب عبد الكريم بأنه «قضية احتمالية تقرر علاقة بين متغيرات، تعطى تفسيراً مؤقتاً للظاهرة، وتستخدم بعض المناهج والأدوات الدقيقة لتحقيق هدفه»[15].

ومما تقدم من تعريفات للفرض في مجالات علمية مختلفة وفقاً لوجهات نظر من قدموها، والمجالات العلمية التي تخصصوا فيها، يتضح لنا أن التعريفات السابقة تقوم على عدة محاور أهمها:

1 ــ أن الفرض عبارة عن فكرة أو رأي مبدئي يرى الباحث أنه يعطى تفسيراً مؤقتاً للعوامل التي تؤثر في الظاهرة محل البحث.

2 ــ أن هذه الآراء تقوم على الملاحظة أو التجربة أو التخمين.

3 ــ أن هذه الآراء أو الأفكار تحمل تفسيرات لم تتأيد بعد، إلا أنه يمكن التحقق منها باستخدام بعض المناهج والأساليب البحثية الدقيقة.

وعلى ذلك، يمكن القول إن التعريفات السابقة، وإن اختلف ميدان التخصص العلمي الذي صيغ في إطاره، إلا أنها لا تخرج عن كونها نوع من التوقع الذي يرى أن الظواهر تسيرر بكيفية معينة. ولأن الباحث في وضع لا يمكنه من التأكد من صحة توقعاته، فإن يسعى إلى اختبارها بالبحث متوخياً الربط بين عوامل ومتغيرات الظاهرة ومعرفة العلاقات القائمة بينها. . هل هي إعلانات سببية؟ أم ارتباطية؟ أم مجرد شواهد تفسيرية للظاهرة؟.

وعلى الرغم من أن هذه التوقعات ذاتية في بعض جوانبها، إلا أنه يجب على الباحث أن يقدمها بصورة منهجية وموضوعية متحررة ومستقلة عن كل معتقدات أو آراء سابقة. ويستطيع الباحث أن يصبغ الموضوعية على توقعاته،

إن قدمها معتمداً على ملاحظة الظاهرة أو إجراء تجربة اطلاعية عليها أو صاغها مستنداً إلى افتراضات علمية مسلم بصحتها في مجال العلم الذي ينتمي إليه الباحث.

فالملاحظة والتجربة وشكله البحث المحددة بصورة جيدة مرتكزات هامة، يقوم الفرض عليها بصورة موضوعية رغم أنه توقع ذاتي. فالفرض بهذا الفهم ليس فكرة خيالية تخمينية فقط، وإنما يقوم ـ بالإضافة إلى خيال الباحث ـ معتمداً على الواقع الاتصالي COMMUN, CATIENSAL REALITY الملحوظ والمستمد من مشاهدة الظاهرة، باعتباره الأساس الذي يبنى عليه الباحث مشكلة بحثه حيث تأتي بعد ذلك مرحلة الفروض، التي تعكس صورة دقيقة لجميع جوانب المشكلة.

وعلى ذلك فإن تعريف الفرض وأهميته ووظيفته في مجال دراسات وبحوث الإعلام، لا يبتعد كثيراً عن التعريفات السابقة. وإن كنا نميل إلى وضع تعريف للفرض في بحوثالإعلام، إلا أننا نرى فيه محاولة على الطريق، واجتهاد علمي لا يتجاهل فضل السابقين، ولا يتجاسر عليهم.. فهو في واقع الأمر إضافة إلى جهودهم العلمية الصادقة.

والفروض ـ في تقديري ـ آراء ذاتية حول موقف أو ظاهرة أو مشكلة معينة، يقدمها الباحث كشرح للموقف، أو كتفسير للعلاقة بين متغيرات أو كحل مؤقت لمشكلة معينة، يصوغها الباحث معتمداً على الملاحظة والخبرة والحقائق العلمية بشرط خضوعها للفحص والاختبار والمقارنة والتصحيح للتأكد من صدقها أو عدمه.

ولتوضيح أبعاد هذا التعريف، نلاحظ أن الفرض العلمي قد يكون موجهاً لشرح موقف غامض.. وهنا يأخذ طابعاً استفهامياً، أو قد يكون موجهاً لفهم العلاقة بين عوامل أو متغيرات وهنا يأخذ طابعاً تفسيرياً مؤقتاً، أو قد يكون موجهاً لاقتراح حل لمشكلة معينة وهنا يأخذ الفرض طابعاً عملياً.

1 ـ مثال لفرض موجه لشرح موقف غامض:

ويمكن أن نقدم لهذا الفرض بالمثال التالي:

إن موقفاً نظرياً غير محدد، وناقصاً إلى حد ما، يعتبر أن هناك فروقاً بين الأطفال البنين والأطفال البنات في ميلهم لمشاهدة برامج العنف والتأثر بها. .

ويمكن صياغة الفرض في هذه الحالة بطريقة استفهامية تعبر عن هذا الموقف الغامض، وتأخذ شكل السؤال التالي:

هل توجد فروق بين الأطفال البنين والأطفال البنات في ميلهم لمشاهدة برامج العنف والتأثر بها؟.

2 ـ مثال لفرض موجه لفهم علاقات بين متغيرات:

ويمكن لنا أن نسوق المثال التالي: لكي نوضح فكرة العلاقة القائمة بين المتغيرات. . على أساس أن الظاهرة هي المتغير التابع للمتغير الذي نتصور أنه المسؤول عن الظاهرة كمتغير مستقل.

توجد علاقة بين معدل الزمن الذي يقضيه الطفل في مشاهدة العنف في الإذاعة المرئية وبين ميله إلى اختيار حلول عدوانية لمشكلاته فهل يعني ذلك أن مشاهدة العنف تتسبب في أن يصبح الأطفال عدوانيين، ليس بالضرورة ولكن قد يكون صحيحاً. . ولكنه أيضاً قد يكون خطأ، وبمعنى آخر. يمكن أن يحب الأطفال العدوانيين مشاهدة العنف، ويكونوا عدوانيين حتى لو شاهدوا أفلاماً استعراضية أو غنائية طوال اليوم.

ومن المثال السابق تتضح لنا المتغيرات التي يمكن استنباط الفروض على أساس وجودها كواقع. . وهي:

أ ـ مشاهدة العنف في الإذاعة المرئية تؤدي إلى السلوك العدواني عند الطفل.

ب - حجم الوقت الذي يقضيه الطفل في المشاهدة يؤدي إلى الميل إلى اختيار حلول عدوانية لمشاكله.

جـ- الطفل العدواني يحب مشاهدة أفلام وبرامج العنف.

د - الطفل العدواني يظل عدوانياً ــــ حتى لو شاهد أفلاماً غنائية أو استعراضية.

3 ــ مثال لفرض موجه لاقتراح حل لمشكلة معينة:

ونسوق المثال التالي للوصول إلى الفرض:

«تهدف البرامج الثقافية في الإذاعة المرئية إلى إثراء الجانب المعرفي لدى الجمهور. وعلى الرغم من أهمية ذلك، إلا أن رجع الصدى، يكشف عن عدم متابعة جمهور المشاهدين لهذا النوع من البرامج، رغم الجهد الكبير الذي يبذل في إعدادها.. ثم يقول الباحث مفترضاً أن هذه الظاهرة قد ترجع إلى عدة أسباب أهمها:

أ - نوع الموضوعات التي تتناولها البرامج الثقافية.

ب - الصيغ التي تقدم من خلالها البرامج الثقافية.

جـ- اللغة المستخدمة في تقديم البرامج الثقافية.

د - إخراج وتنفيذ البرامج الثقافية»[16].

أهميـة الفـروض ووظيفتهـا:

تنبع أهمية الفروق من أن القوانين والنظريات والمبادىء العلمية التي تنتظم أي علم من العلوم لم تكن في بداياتها الأولى إلا فروضاً استندت إلى موقف أو مشكلة أو ظاهرة، تم التعرف عليه أو استكشاف أو فهمها بالبرهان والدليل والشرح الذي يتميز بدرجة كبيرة من الصدق والموضوعية.. مع عدم التعامل معه كحكم مطلق لأن تطور المعرفة وفقاً لقواعد المنهج العلمي ترفض القبول المطلق للنظريات والأحكام السابقة.. ومعنى ذلك أنه لا يجوز لنا أن نتعامل مع النظريات على أساس أنها تعميمات ثابتة، بل يجب التعامل

معها على أنها تعميمات قابلة للتطور والنمو والتعديل والإلغاء، ولذلك فإن الباحثين عند إعادة دراستهم لنظريات سابقة، يتعاملون معها على أساس أنها فروض علمية لنظريات لاحقة، طالما أن النظريات كانت في أصلها ومنبعها الأول فروضاً.

كما تنبع أهمية الفروض كذلك من أن غيابها مؤثر إلى حد كبير في عملية جمع البيانات والمعلومات، وكثيراً ما يسير البحث في هذا الاتجاه دون هدف واضح. . «فالباحث خلال مسحة للمراجع وتعامله مع المتغيرات، إن لم يكن انتباهه موجهاً نحو معلومات، ترتبط بسؤال معين، أو تدور حول فرض معين، فإن فرصته في استخلاص البيانات والمعلومات من تلك المراجع، ستكون قليلة، وبالتالي تقل قدرته على إعادة تركيب هذه المعلومات بصورة توجد علاقات محددة بينها، مما يشكل معارف ومعلومات جديدة أو رؤية جديدة لفهم الموضوع أو الظاهرة التي يقوم بدراستها، الأمر الذي يؤدي إلى عدم تحقيق الملكة الذهنية العلمية في التبحر والغوص في الأفكار والمعاني»[17].

ومثلما تتطلب طبيعة البحث من تحديد واضح لمشكلة البحث، فإن هذا الأمر ينطبق تماماً على فروض البحث وتساؤلاته، التي ينبغي أن تكون محددة بشكل قاطع، وإلا سيجد الباحث نفسه جامعاً لكثير من المعلومات التي لا ترتبط بمجال بحثه، فيتشتت جهده وتفكيره في معلومات كثيرة لا أهمية لها بالنسبة لموضوع البحث.

وتتجسد أهمية الفروض ثالثاً من أنها تقدم محاولة لفهم العلاقات الأساسية والثانوية بين المتغيرات أو العوامل التي تؤثر في الظاهرة. وهي مسألة ضرورية عند التعامل مع الفرض أثناء عمليات الملاحظة والتجربة والفحص والاختبار والقياس. وهي بذلك تحدد له إطار فكرياً وعملياً يجري بموجبه البحث لتحقيق الهدف الذي يسعى إليه.

إن النقاط السابق ذكرها، والتي تحدد أهمية الفروض في عملية البحث

العلمي، تتحدد بصورة أكثر دقة في الوظائف التي تؤديها والتي يمكن بلورتها في النقاط التالية:

وظيفـة الفــروض:

1 ــ تعمل الفروض على تبسيط مشكلة البحث بتحليلها إلى مشكلات فرعية أو جزئية حيث يعبر كل فرض عن جزئية محددة في المشكلة موضوع البحث، وبالتالي تصبح إمكانية اختيار أو دراسة العلاقات المحتملة لمتغيرات الظاهرة أكثر فاعلية وسهولة، الأمر الذي يساعد الباحث على السير في خط واضح لا يخرج عن نطاق البحث وذلك من خلال فحص فروضه بصورة متسلسلة ومنتظمة.

2 ــ تساعد الفروض على تركيز مشكلة البحث بدقة، لأن الباحث يعتمد عليها في عزل واستبعاد المتغيرات والعوامل التي يفترض عدم تأثيرها في المشكلة أو الظاهرة موضوع الدراسة. وبذلك يتركز تفكير الباحث وملاحظاته على المتغيرات الأساسية المرتبطة بمشكلة البحث.. ويستبعد كل ما هو ثانوي منها.. فهي بذلك تقدم فائدة عظيمة للباحث تساعده على تكوين صورة عقلية ورؤية واضحة في التركيز على القضايا الأساسية المرتبطة بالظاهرة موضوع الدراسة أو البحث.

3 ــ تعمل الفروض على توضيح مدى علاقة الحقائق العلمية في مجال البحث بمشكلة البحث[18]. فالمعروف أن الحقائق العلمية أو الافتراضات ASSUMPTIONS العلمية هي «في الغالب حقائق مسلم بصحتها في مجال العلم الذي ينتمي إليه البحث، وتأتي في مرحلة وضع الفروض كعناصر مساعدة يستند إليها الباحث في وضع فروضه، إلا أنها لا تخضع للاختبار، وإن كان إثبات صحة الفروض يدعم من صحتها»[19].

4 ــ تساعد الفروض الباحث على تحديد منهجية البحث بما يتفق وطبيعة الدراسة، ويتناسب ونوع الفروض فإذا كانت الفروض تدرس ظاهرة في

الماضي، فهذا يعني استخدام طرق البحث التاريخي. وإذا كانت تدرس ظاهرة في الحاضر فهذا يعني استخدام طرق الدراسات الوصفية أو التجريبية. . وهكذا. فالفرض يساعد الباحث على التعرف على المنهج المناسب للدراسة، وما يتصل به من طرق وأساليب ووسائل تتصل بمنهجية البحث واستخدامها في الكشف عن مدى صحة استنتاجاته، وما يترتب على ذلك من قبول الفرض أو رفضه.

5 ــ تقدم الفروض تفسيرات محتملة للظاهرة أو المشكلة موضوع الدراسة، وبالتالي توجه جهود الباحث نحو البيانات والمعلومات المراد جمعها أو التعرف عليها، وطريقة تصنيفها وتحليلها. وينبغي على الباحث أن يمارس ضبط النفس في مرحلة جمع المعلومات وتحصيل البيانات وذلك وفقاً لاتجاهات كل فرض من فروض الدراسة.

6 ــ تساعد الفروض الباحث على وضع الهيكل العام لمحتويات البحث بصورة متوازنة مع الفروض التي توفر إطاراً فكرياً لتنظيم محتويات البحث في أجزاء أو أبواب أو فصول بما في ذلك نتائج البحث حيث تمكنه الفروض من مطابقتها، مع الأفكار التي بدأ منها وتنظيم الأدلة وتحديد مدى تعميم نتائج البحث[20].

7 ــ تفتح الفروض أمام الباحثين خطوطاً جديدة للبحث في اتجاهات مختلفة لمشكلة البحث[21] وقد تكشف عن علاقات بين متغيرات لم يكن الباحث قد وضعها في الحسبان.

الأسس العلمية لصياغة الفرض:

يرى ولتون WILTON «أن عملية اقتراح الفروض مسألة فردية بحتة، ولا تخضع لأية قواعد عامة، ومن ثَم فإن الناس يختلفون في قدراتهم واستعداداتهم لصياغة الفرض». وقد بنى ولتون نظريته مستنداً إلى أن الباحث عندما يحدد عناصر المشكلة ومكوناتها، يبدأ مرة أخرى في فحص المشكلة وتقليبها في الذهن، ويفكر معتمداً على خياله وحدسه في مجموعة الفروض

التي تكون بمثابة الحلول المقترحة للمشكلة.

والواقع أن صياغة الفروض واستنباطها يعتمد كثيراً على خيال الباحث، ولكن ينبغي عليه ألا يقبل الفروض التي تأتي متناقضة مع وقائع الظاهرة، ولا مع الحقائق العلمية المسلم بها في مجال العلم. والخيال بطبيعته لا يقبل الفرض الذي لا يتفق مع وقائع المشاهدة، وبالتالي لا يدخله العقل في حساباته، فالفرض يكتشف من حالة الواقع، والخيال العلمي يؤلف بين ما يراه الباحث حلاً مؤقتاً للمشكلة وواقع المشكلة. فالخيال العلمي مرتبط بالواقع، يعكس خيال الفنان الذي هو دائماً متحرر من الواقع. ولذا «فإن صياغة الفروض [في كل الأحوال] ينبغي أن تتضمن قيماً تفسيرية للحالات التي تتناولها، وأن تخضع للتفسير النظري، وأن تخلو من التناقض في مضمونها وهدفها، وأن تقوم مستندةً إلى البيانات التي يعتقد الباحث أنها تربط بمشكلة البحث»[23].

وبصياغة الفروض أو التساؤلات، تصبح بقية الإجراءات سهلة وخاصة إذا استطاع الباحث أن يضع منذ البداية تصوراً لطريقة التحقق من صحتها، ويتم ذلك غالباً بطريقة امبريقية أو شبه تجريبية أو تجريبية، حيث تشكل نتائج مثل هذه البحوث المادة الأساسية لبناء النظرية. ولذلك يجب أن يقدم الباحث فروضه بطريقة مترابطة ومنطقية.

وعلى الرغم من أن الفروض تنبع من التصورات والاجتهادات الذهنية والعقلية للباحث في تخمينه للعوامل التي كانت سبباً في حدوث الظاهرة، إلا أن هناك مجموعة من المواصفات التي يجب توافرها في الفرض العلمي، إن أهمية هذه المواصفات تكسف الفرض فاعلية وظيفية، أي تجعله قابلاً للدراسة والتحقق والاختبار. وأهم هذه المواصفات:

1 ـ أن ينبع الفرض مما لاحظه الباحث في العمليات الأولية للبحث، وهي المسح، والملاحظة، والتجربة. وهذا يؤكد العلاقة بين خيال الباحث وواقع المشكلة.

2 ـ أن يصاغ الفرض بصورة واضحة ومحددة، وخالية من الإسهاب اللفظي والغموض ومتسمة بالإيجاز والشمول، ومترابطة من حيث المعنى واللفظ مع الابتعاد عن صياغة الفروض المطولة والمتداخلة.

3 ـ أن يصاغ الفرض بطريقة قابلة للاختيار أو القياس أو التحليل. فعند صياغة الفرض يجب أن نضع في الحسبان توفر الأساليب والأدوات التي يمكن استخدامها في قياس الفروض أو التحقق منها، أي صياغة الفرض في قالب منهجي يجري بموجبه البحث والاختبار، لأن الفروض الفلسفية والأحكام الأخلاقية يستحيل اختبارها في كثير من الأحيان[24].

4 ـ أن تصاغ الفروض بصورة تعكس توقعات السلب والإيجاب للنتائج المحتملة التي يخمنها الباحث في فروضه. وخاصة إذا كانت المشكلة من ذلك النوع الذي تتباين حوله وجهات النظر. فيجب ألا يسلم الباحث بأي فرض جدلي، وإنما يجب أن يتجه في صياغة الفروض في هذه الحالة مستنداً إلى المبادىء الأساسية. وهو ما يسمى بالفرض الصفري.. فعلى سبيل المثال إذا كانت مشكلة البحث تتصل بدراسة أثر التلفزيون على الطفل، ففي هذا الموضوع تباينت وجهات النظر حول هذا الأثر فهناك من يرى له آثاراً إيجابية، وهناك من يرى له آثاراً سلبية وفي هذه الحالة، فإن الفروض يجب أن تبنى وتصاغ على المبادىء العامة كمعرفة طبيعة الآثار المترتبة على المشاهدة، ووقتها، ومضممون البرامج... الخ، دون التحديد المسبق للآثار سلبية كانت أم إيجابية، إلا إذا كنا بصدد اختبار مدى صحة النتائج التي توصلت إليها بحوث سابقة حول سلبية أو إيجابية أثر التلفزيون على الطفل(*).

5 ـ عند صياغة الفروض يجب مراعاة التناسق والتماسك في بنية الفرض

(*) الفكرة التي بنينا عليها هذه المعالجة مأخوذة عن تجربة هيلموايت HILLMOT WHYTE في دراستها عن التلفزيون والطفل في بريطانيا.

بمعنى عدم التناقض بين مكونات الفرض وعدم التعارض بين الفرض الرئيسي والفروض الفرعية المكونة له[25].

6 ــ من الضروري أن يتضمن الفرض في صياغته «متغيرات وعلاقات بين المتغيرات بعضها ببعض»[26] حتى يمكن استخدامها عند التفسير والشرح لأبعاد الظاهرة ومسبباتها، والعوامل الداخلة فيها. فالفرض الجيد هو الفرض الذي يمنع تداخل عوامل أو متغيرات غير مرغوب في دراستها لعدم صلتها بمشكلة البحث.

7 ــ في الدراسات الاجتماعية عموماً، يجب ألا يعتمد الباحث على فرضية واحدة، لأن هذا المجال يصعب حصر العوامل والمتغيرات المؤثرة فيه في نطاق واحد أو بمتغيرات ثابتة PRINCIPLE OF MULTIPLE HYPOTHESIS كما أن «وضع أكثر من فرض للمشكلة رغم اعتراض البعض على ذلك بأن فيه مضيعة للوقت والجهد، يضمن حيدة الباحث، كما أن التمسك بفرض واحد يعد نوعاً من التحيز الذي يرفضه البحث العلمي»[27].

8 ــ أن تصاغ الفروض بطريقة تخدم غرض البحث وتسهل مهمة الباحث وذلك بأن تهيء الفروض الإطار الفكري للبحث [بجوانبه النظرية أو الميدانية أو التحليلية أو التجريبية.. الخ] والخطوات المنهجية لإجراء البحث، والهيكل العام لتقديم المعلومات والنتائج وشواهد البحث.

9 ــ يجب أن يصاغ الفرض على نحو يسمح بإثبات بطلانه أو صحته.. فالفروض التي توضع باتجاه إثبات صحتها فقط دون إمكانية التحقق من صدقها لا تعتبر فروضاً علمية سليمة. فالقول مثلاً بأن الناس يقرأون الصحف لأن لديهم حب الاستطلاع لمعرفة الجديد، فرض يصعب إثبات عدم صحته، إذ يمكننا الزعم بأن غزيرة حب الاستطلاع تظهر مصاحبة لكل حالة قراءة، كما أن عدم وجود هذه الغريزة عند بعض الناس لا ينفي ميلهم إلى القراءة كليةً.

10 ــ عند صياغة الفروض التي ترتبط بمتغيرات ذات طبيعة كمية QUANTATIVE VARIABLES، فإن صياغة الفرض لا بد أن تأتي في صورة كمية تشير إلى اتجاه العلاقة بين المتغيرات. فعلى سبيل المثال إذا كانت مشكلة البحث تختبر العلاقة بين مستوى التعليم ومشاهدة برامج التلفزيون فيجب أن نضيع الفرض على النحو التالي:

لمستوى التعليم علاقة عكسية بمشاهدة التلفزيون بمعنى أنه كلما ارتفع مستوى التعليم، كلما قلت المشاهدة ونلاحظ أن صياغة الفرض الكمي جاءت بطريقة سلبية أو عكسية تقليلاً لاحتمالات التحيز، فإذا ثبت صحته كان معنى ذلك وجود علاقة عكسية بين المتغير المستقل والمتغير التابع، وإذا ثبت خطأ الفرض كان معنى ذلك وجود علاقة إيجابية بين المتغيرين وبذلك يمكن الإقلال من احتمالات تحيز الباحث لفروضه.

11 ــ عند صياغة الفروض التي ترتبط بمتغيرات كيفية QUALITATIVE VARIABLES، لا تعبر عن حالة كمية للمتغير كالجنس (ذكر، أنثى)، فإن صياغة الفرض في هذه الحالة لا تشير إلى اتجاه العلاقة، كما هو الحال في الفرض الكمي، ولكنه يشير إلى نوع العلاقة كما هو الحال في المثال التالي:

على افتراض أن المشكلة تعبر عن العلاقة بين الجنس ومشاهدة البرامج الثقافية. فإن المتغير الكيفي (الجنس) يتضمن أكثر من تصنيف هما «الذكر والأنثى».. وهنا نبحث عن نوع العلاقة الكيفية بين الذكور ومشاهدة البرامج الثقافية، والإناث ومشاهدة البرامج الثقافية، لنصل إلى نوع المشاهدة مثلاً منتظمة، متقطعة، لا يشاهد.

12 ــ أن تأتي صياغة الفرض إما في شكل سؤال في حالة الفرض الموجه لشرح موقف غامض مثل هل هناك فروق بين الأطفال البنين والأطفال البنات في ميلهم لمشاهدة برامج العنف والتأثر بها؟.

أو أن تأتي في «صيغة جملة مستمرة»[28].

مثال ذلك:

مواكبة المقال الافتتاحي للسياسة العامة للدولة، يبرز بصورة واضحة في الصحف التي تملكها، بينما تقل هذه المواكبة في الصحف الأخرى التي لا تملكها الدولة[29].

أو أن تأتي في صيغة جملة شرطية تتضمن أكثر من بديل مثال:

يرجع عدم الاهتمام بتطوير أقسام العلاقات العامة في المؤسسات المختلفة إلى عدم إدراك القائمين بأمر هذه المؤسسات بأهمية العلاقات العامة أو إلى عدم اهتمام العاملين في هذا المجال، وإحساسهم بأهمية التطوير ودورة الهام[30].

أو جملة مستمرة في مستويات احتمالية متعددة مثل:

ضعف الأداء الإعلامي مرده إلى:

- قلة الإمكانيات المادية.
- الضعف الثقافي لمقدمي البرامج.
- ضعف الإعداد والمستوى المهني.
- رداءة الأجهزة والمعدات.
- ضعف العائد المادي للمتعاونين.
- أخرى.

13 ــ تعريف المفاهيم أو المصطلحات التي استحدثها الباحث في فروضه، مسترشداً في ذلك بحوث سابقة ويفضل استخدام التعريف الإجرائي للمفاهيم الواردة في الفروض حتى يمكن قياسها أو التعبير عنها بشكل عملي.

ويجب أن يكون معلوماً، أنه ليس من الضروري أن تثبت الدراسة صحة الفروض لأن الفروض الخاطئة تخدم العلم بأبعادها عن ساحة التفكير العلمي. والفرض الذي لا تثبت صحته يعني أن الباحث

لم يتوصل من خلال دراسته أو مشاهدته الواقعية، أو قياساته إلى درجة قبول هذا الفرض. كما أن الفرض يظل خارج نطاق الحقيقة إلى حين إثبات صحته، فيدخل في نطاقها، وقد يتحول إلى نظرية.

مصـادر الفـروض:

الفروض باعتبارها امتداد لمشكلة البحث وجزء أصيل منها، لا تنبع من فراغ، وإنما من مصادر متعددة، إما أن ترتبط بمشكلة البحث، أو بالمجال العلمي للباحث واهتماماته العلمية.. أو من واقع تصوراته الذهنية أو خبرته الشخصية ومن أهم مصادر الفروض:

1 ــ الملاحظة والتجربة:

لما كانت الملاحظة أسلوب يتبعه الباحث لتوجيه حواسه وانتباهه إلى ظاهرة معينة رغبة منه في الكشف عن صفاتها وخصائصها بهدف التوصل إلى تحديدها في مشكلة بحثية...

ولما كانت التجربة هي نوع من الملاحظة المضبوطة التي تتضمن تغيير بعض الظروف المحيطة بالظاهرة والتحكم فيها رغبة في الوصول إلى فهم أعمق للظاهرة...

إلا أنه لا قيمة لتكديس نتائج الملاحظة والتجربة، أو وضع قائمة بها دون الاستفادة منها في وضع فروض نحاول من خلالها الوصول إلى تفسير مجرى الظاهرة أو محاولة فهمها بصورة أعمق، ولهذا فالملاحظة والتجربة يمكن اعتبارهما من أهم مصادر الفروض خاصة إذا ارتبطا بظاهرة تنتمي إلى المجال العلمي لتخصص الباحث.

2 ــ المجال العلمي لتخصص الباحث:

يعتبر المجال العلمي لتخصص الباحث المصدر الأساسي الذي يستمد منه الباحث فروضه. وفي مجال دراسات وبحوث الإعلام يتبلور ذلك في:

أ ــ نظريات الاتصال: وتمثل مصدراً هاماً لفروض ولأسئلة تحتاج إلى

إجابات، ولذا فإنها تعتبر مصدراً قوياً لبناء فروض جديدة، وخاصة في مجال إيجاد العلاقات بين نظرية وأخرى. مثلاً نظرية الحقنة تحت الجلد التي تعتمد على نرجسية المصدر وبين نظرية مارشال ماكلوهان التي تقول بأن الرسالة هي الوسيلة.

ب ـ الافتراضات العلمية كحقائق مسلم بصحتها في مجال العلم، وكمرتكز يستند إليه الباحث في تقديم فروضه أو تساؤلاته حول مشكلة البحث.. حيث تمتد فائدتها، بالنسبة إليه إلى أبعد من ذلك، حيث الاستعانة بها في تفسير النتائج، واقتراح التوصيات مثال ذلك تلك الحقائق العلمية التي أثبتت دور وسائل الإعلام في مجالات التنمية المختلفة.

جـ ـ نتائج البحوث والتي يمكن الاستفادة منها في بناء فروض جديدة. مثال: نتائج بحث عن أثر البرامج الاجتماعية في تغيير بعض أنماط السلوك والاتجاهات.

إن نتائج هذا البحث تختلف من مكان إلى آخر أو من مجتمع إلى آخر.. فإذا أراد باحث أن يبنى فروضاً على نتائج دراسة لهذه أجريت في هولندا مثلاً.. فعليه أن يضع في اعتباره أن الظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية المجتمع الليبي مثلاً تختلف عن نظيرتها في المجتمع الهولندي.

د ـ الأدبيات العلمية التي تتضمن معلومات تجريبية أو تحليلية أو ميدانية، جمعت سابقاً، أو مفاهيم نظرية مجردة حيث يمكن الاستفادة من سلبياتها أو إيجابياتها في استنباط فروض يمكن التحقق منها في بحوث تطويرية جديدة.

هـ ـ آراء أصحاب العلم والخبرة في مجال تخصص الباحث حيث يقدمون مصدراً خصباً للفروض والتساؤلات فهؤلاء تكون نصائحهم وآراؤهم غاية في الأهمية والفائدة، ومع ذلك يجب أن نتذكر أنه لا يوجد إنسان معصوم من الخطأ.

3 ـ الربط بين مجال تخصص الباحث والمجالات العلمية الأخرى:

حيث تمتد الاهتمامات العلمية للباحث إلى مجالات علمية قريبة الصلة بمجال تخصصه الأصلي، فيحاول أن يربط بين هذه المجالات العلمية ببحث يقوم على فروض تستند إلى افتراضات وحقائق علمية في علوم أخرى وفي آن واحد.. وفي مجال بحوث الإعلام أمكن لهذا النوع من الفروض أن يطور مجالات علمية جديدة وهامة، بالنسبة للباحثين والدارسين في مجالات الإعلام المختلفة مثال ذلك:

أ ـ علم النفس الإعلامي ودراساته حول وسائل الإعلام وتأثيرها على السلوك الإنساني والأسس النفسية لنظريات الاتصال...

ب ـ علم الاتصال والمجتمع (سيولوجية الاتصال): ودراساته حول وسائل الاتصال والاتجاهات، وتأثيرها في المشاكل الاجتماعية والتغير الاجتماعي وما إلى ذلك.

جـ ـ نظرية المعلومات والاتصال: ودراساتها التي أنتجت نظرية حارس البوابة GATE KEEPER وما يتصل بها من دور في توجيه العملية الإعلامية.

4 ـ التخميـــن:

ويرتبط هذا المصدر بقدرة الباحث على التخيل، ويستند إلى وجهة نظر أولئك الذين جاءت تعريفاتهم للفرض على أنه نوع من الحدس أو التخمين، يحتمل الصواب والخطأ، فالتخمين كمصدر للفروض يجيء وليداً لحدة الذهن، وكتفسير ظني للعلاقات القائمة بين متغيرات المشكلة إلا أن هناك من يرى عيباً في الفروض التخمينية ألا وهو «عدم ارتباطها بالمادة العلمية ولذلك فإن إثبات صحتها لا يتأكد من دراسة واحدة، وإنما بإجراء دراسات أخرى متتالية»[33].

5 ـ الخبرة الشخصية للباحث:

ويعتبر هذا المصدر على درجة كبيرة من الأهمية خاصة إذا كان الباحث

يعمل في نفس مجال تخصصه العلمي. وبالنسبة للباحثين في مجال الإعلام، تمثل الخبرة السابقة، مصدراً لوضع فروض ودراسة مشكلات يعيشها الباحث بحكم عمله. مثال ذلك: الباحث الذي درس الصحافة، وعمل في مجال الإخراج الصحفي لسنوات طويلة، ومن واقع دراسته نسوق التساؤلات التالية التي تأخذ مقام الفروض طالما أن الهدف منها الحصول على معرفة جديدة:

أ ــ كيف يعمل الإخراج الصحفي على بناء شخصية متميزة للصحيفة؟

ب ــ إلى أي مدى ترتبط سياسة التحرير بعملية الإخراج الصحفي؟

جـ ــ كيف يمكن أن يؤدي التحرير الجيد إلى إخراج صحفي متميز؟»[23].

أنـواع الفروض في بحوث الإعلام:

رغم تعدد أنواع الفروض، إلا أنها تهدف إلى تحقيق غاية واحدة، ألا وهي تحقيق الهدف من البحث. والبحث العلمي مهما تعددت أنواع الفروض التي يتناولها فإن نظرته للفرض لا تخرج عن كونه وسيلة للوصول إلى الحقيقة العلمية، لا غاية في حد ذاته.

ومن استعراضنا السابق لوظيفة الفروض، والأسس العلمية لصياغتها، ومصادرها، يتبين لنا، أن أنواع الفروض تتعدد تبعاً لوظيفة الفـرض وصياغته ومصدره. وعلى ذلك يمكن تقسيم الفروض إلى الأنواع التالية:

أولاً ــ من حيث وظيفة الفروض تتحدد الأنواع التالية:

1 ــ فروض تعمل على تبسيط مشكلة البحث إلى مشكلات فرعية، حيث يختص كل فرض منها بمعالجة جزء من المشكلة.

2 ــ فروض تعمل على تركيز مشكلة البحث بحيث يحصرها الباحث في المتغيرات المستقلة التي تؤثر في الظاهرة كمتغير تابع.

3 ــ فروض تربط بين مشكلة البحث من جهة ونظريات نحقائق العلم الذي تنتمي إليه المشكلة من جهة أخرى. أو أنها تربط بين مشكلة البحث

ونظريات وحقائق علوم أخرى قريبة الصلة إلى المجال العلمي للمشكلة.

4 ـ فروض تقوم مستندة إلى نوعية الدراسة «تاريخية، وصفية، تجريبية».

5 ـ فروض تقوم مستندة إلى نوع البيانات والمعلومات المطلوبة لدراسة المشكلة.

ثانياً ـ من حيث طرق صياغة الفرض تتحدد الأنواع التالية:

1 ـ فروض تصاغ بطريقة تتضمن قيماً تفسيرية للمتغيرات التي تتناولها، وتكون قابلة للاختبار والقياس.

2 ـ فروض تصاغ من واقع الملاحظة.

3 ـ فروض تصاغ على أساس هدف البحث.

4 ـ فروض أساسية تعكس توقعات السلب والإيجاب للنتائج المحكمة.

5 ـ فروض تصاغ بطريقة تمنع تداخل عوامل غير مرغوب في دراستها.

6 ـ فروض تصاغ على أساس العلاقة بين المتغيرات «سببة، ارتباطية، سببية مقارنة».

7 ـ فروض تصاغ على أساس نوع الدراسة كمية، كيفية، تكاملية.

8 ـ فروض تصاغ إما على شكل سؤال، أو في جملة مستمرة أو جملة شرطية، أو جملة مستمرة في مستويات احتمالية متعددة.

ثالثاً ـ من حيث مصادر الفرض تتحدد الأنواع التالية:

1 ـ فروض ترتكز إلى نتائج الملاحظة والتجربة.

2 ـ فروض تستند إلى نظريات العلم أو افتراضاته أو نتائج البحوث الاستكشافية أو الأدبيات العلمية أو آراء أصحاب الخبرة والعلم في مجال التخصص.

3 ــ فروض حدسية أو تخمينية.

4 ــ فروض تنبع من الخبرة والممارسة الشخصية.

ومما يجدر ذكره في هذا المقام، أن تعدد أنواع الفروض على النحو السابق ذكره، لا يتيح للباحث إمكانية التحقق منها أو اختيارها.. فالأنواع السابقة تشكل إطاراً لأنواع الفروض القابلة للتحقق والقياس، وهي:

1 ــ الفروض الأساسية: THE SUBSTANTIVE HYPOLHESIS.

2 ــ الفروض الصفرية: THE NILL HYPOTHESIS.

3 ــ الفروض البديلة: THE ALTERNATIVE HYPOTHESIS.

4 ــ الفروض الارتباطية: THE CORRELATIONAL HYPOTHESIS.

والتي سنتناولها بالشرح وكيفية التحقق منها في الجزء المخصص للتحقق من الفروض.

التحقق من الفروض في بحوث الإعلام:

التحقق من الفروض، يعني اختبار صحة الفروض التي سبق تحديدها، وذلك بأن «يعرض الباحث ما يعتقده من حلول للمشكلة إلى النقد أو القياس المنطقي أو الاختبار»[33] مع الأخذ في الاعتبار الأخطاء التي يحتمل حدوثها في أدوات ووسائل القياس.

عندما ظهر المنهج في فجر النهضة العلمية، لم يكن مكتملاً. وإنما واكبت مراحله خطوات التقدم العلمي نفسه. وذلك أن الاهتمام بخطوات الملاحظة والتجربة. نتج عن اتجاه العلماء لإيجاد أسلوب أكثر فاعلية ودقة لفهم المبدأ الذي تخضع له الظاهرة موضع الدراسة. وبذلك أمكن للعلماء التعرف على الفروض كخطوة لازمة لاستيفاء أغراض البحث العلمي.. ولكن الأمر لم يقف عند حد فرض الفروض الصورية عند «أرسطو» والتي اعتمدت على التفسير العقلي، ثم الفروض الوصفية عند بيكون والتي اعتمدت على المشاهدة.. فقد استمر الحال هكذا حتى اتجه العلماء إلى التجريب للكشف

عن مدى قدرة الفرض على تفسير الظاهرة، والتعبير عن النظرية أو القانون الذي تخضع له. وقد عبر عن هذه المرحلة جون ستيورات مل J.S. MILL أصدق تعبير في طرق التحقق التي استحدثها لاختبار الفروض. فقد توصل مل MILL في القرن التاسع عشر إلى تقنين مجموعة من الطرق التي تتيح التأكد من صحة الفروض أو خطأها، ويمكن عن طريقها نقل الفرض من وضعه كتفسير مؤقت للظاهرة إلى مرحلة النظرية أو القانون حسب طبيعة العلم الذي يجري في إطاره البحث.

والفرض عند (مل) MILL يرتبط بالبحث عن علة الظاهرة، ولذلك فهو يشترط التحقيق التجريبي لقبول الفرض من عدمه.

وفي مجال العلوم الاجتماعية، اعتمد البحث في الماضي للتحقق من صحة الفروض أو خطأها على طريقة مباشرة، تعتمد على الملاحظة.. ولذلك فقد أُطلق على الطرق التي قدمها «مل» صفة المنهج الإيجابي للتحقق من الفروض، بينما أُطلق على المنهج الذي قدمه «بيكون» صفة المنهج السلبي على اعتبار أن الأول يعتمد على التجربة، بينما يعتمد الثاني على الحذف والاستبعاد لجميع الفروض التي لا تتفق يقيناً مع الحقائق المسلم بها أو الفرضيات الثابتة في مجال العلم.. وبعد استبعادها تبقى الفروض الصحيحة التي تفسر الظاهرة وتعلل أسبابها.

ووفقاً لوضعية الفروض، وأنواعها بالصورة التي سبق ذكرها، فإن الاعتماد على الطرق التي قدمها مل MILL للتحقق من الفروض لا تصلح جميعها في بحوث الإعلام، فمنها ما يمكن توظيفه في هذا المجال ومنها ما يصعب الاستفادة منه، على الأقل في هذه المرحلة كما سنبين لذلك فيما بعد. بينما يختلف الأمر بالنسبة لبحوث العلوم الطبيعية، حيث تستخدم طرق «مل» كخطوات أساسية لدراسة الفروض والتحقق منها.

ومن أهم قواعد التعامل مع الفرض أثناء عملية اختبار الفروض، الموضوعية، وعدم التحيز لإثبات صحة الفروض. وعلى الباحث أن يتذكر

دائماً أن مهمته، اختبار الفروض وليس إثبات صحتها. وعليه أن يتقبل النتائج السلبية في حالة إثبات خطأ الفرض، بنفس الروح التي يتقبل بها النتائج الإيجابية لصحة فروضه، وأن يدرك أن الوصول إلى إثبات خطأ الفرض هو نجاح وإضافة علمية[34].. وهو ـ أي الباحث ـ مطالب في الحالتين إلى تقديم الأدلة أو التبريرات العلمية لصحة الفرض أو عدم صحته.. سواء أكانت هذه الأدلة أو التبريرات قائمة على بيانات أو معلومات أو نتائج اختبارات.

وفي بحوث الإعلام، فإن التحقق من الفروض أو الإجابة على التساؤلات التي تقوم مقام الفروض يعتبر مسألة ضرورية. فإذا كنا بصدد القيام بدراسة تاريخية أو وصفية فإن التحقق من فروضها يختلف عن التحقق من الفروض في بحوث الدور أو بحوث الأثر، التي تعنى استخدام التجربة ومن ثم إثبات صحة الفروض أو خطأها. وسنشرح لهذه الخطوة بمزيد من التفصيل على النحو التالي:

أولاً ـ التحقق من الفروض الوصفية والتاريخية في دراسات الإعلام:

يتم التحقق من الفروض الوصفية والتاريخية في بحوث الإعلام بالبيانات والمعلومات التي تفسر المشكلة نظرياً أو بالقياس المنطقي DEDUCTIVE REASONING.. ولذا فإن الفروض في هذا النوع من الدراسات تسمى **بالفروض الأساسية** THE SUBSTANTIVE HYPOTHESIS التي تأخذ شكل الأسئلة التي يحاول الباحث الإجابة عليها بجمع المعلومات والبيانات التي تعتمد على المنطق الوصفي.. أو شكلاً من أشكال العبارات أو الجمل المثبتة التي تجسد أفضل الإجابات المحتملة لأسئلة البحث، بعد أن يطلع الباحث على كل ما يتوفر من معارف متخصصة لموضوع المشكلة.

ومن أمثلة الفروض الأساسية في الدراسات الإعلامية التاريخية ذلك الفرض الذي يقرأ:

نظراً لما يمارسه الاستعمار من قيود على الصحافة الوطنية في الدول التي تقع تحت سطوته، فإنه من المتوقع أن تكون للإدارة الإيطالية مواقف

متسلطة على الصحافة الليبية خلال الفترة الممتدة من 43 ـ 1952. . ما هي طبيعة هذه المواقف؟ وما هي الظروف التي أدت إليها؟ وكيف واجهتها الصحف الليبية. . الخ.

ثانياً ــ التحقق من الفروض السببية في بحوث الإعلام:

في بحوث الإعلام التي تبحث عن الدور أو الأثر، كثيراً ما يلجأ إلى التجربة للتحقق من الفروض، حيث تكون العلاقة بين متغيرات مشكلة البحث، وخاصة العلاقة بين المتغير المستقل المؤثر والمتغير التابع المتأثر، الركن الأساسي في التجربة، تليها عملية اختبار نتائج التجربة وفقاً للمعاملات الإحصائية التي تناسب طبيعة العلاقة بين المتغيرات سببية كانت أم ارتباطية.

وتمثل الطرق التي قدمها جون ستيورات مل J.S. MILL[35] مرتكزات هامة للتحقق من الفروض، وهي طرق تدور حول فكرة السبب والأثر CAUSE AND EFFECT. . ونوضح لها على النحو التالي:

1 ــ طريقة الاتفاق METHOD OF AGREEMEN:

ولاستخدام هذه الطريقة، يجب على الباحث أن يضع الفرض الذي ينوي التحقق منه بالتجربة معتمداً على متغير واحد فقط يؤثر في متغير تابع. وتستند هذه الطريقة إلى فكرة أن العلة والمعلول متلازمان، فإذا وجدت العلة وجد المعلول. ويعبر «مل» عن هذه الطريقة بقوله: إذا اتفقت حالتان أو أكثر من للظاهرة المراد دراستها في متغير واحد فقط، فهذا المتغير هو سبب الظاهرة أو نتيجتها.

ومن الصعب استخدام هذه الطريقة في بحوث الإعلام والعلوم الاجتماعية الأخرى، بسبب أن هذه الطريقة تفترض وجود العلة بمعلول واحد أي بمسبب واحد. لأن الظاهرة الاجتماعية تحتوي على مجموعة من العوامل والأسباب المتداخلة التي تؤدي مجتمعة إلى حدوث الظاهرة. . كما أن المتغيرات ترتبط ببعضها. . ولكن هذا الارتباط لا يعني أن أحد المتغيرات هو السبب في المتغيرات الأخرى.

مثال: عند دراسة أثر التلفزيون على ثقافة مجموعة من الأطفال، ثبت بالتجربة أنهم جميعاً يشاهدون التلفزيون بانتظام وأن ثقافتهم مرتفعة. فإن إرجاع ارتفاع وعيهم الثقافي إلى التلفزيون كمسبب وحيد، تكون مسألة علمية غير دقيقة.. لأن هناك عوامل ومتغيرات أخرى كالمدرسة والكتاب والمجلة والأسرة والأصدقاء، والنادي، وغيرها من العوامل التي تؤثر بدرجات متفاوتة على ثقافة الطفل، ولذلك فإن التركيز على متغير التلفزيون كمتغير وحيد، واستبعاد كل المتغيرات الأخرى على أنها غير مسؤولة عن جانب من ثقافة هؤلاء الأطفال، تعتبر مسألة علمية غير مقبولة.

ولذلك فإن هذه الطريقة التي قدمها مل MILL تصلح للتطبيق في مجال العلوم الطبيعية لإمكانية إرجاع العلة إلى معلول واحد، لأن الظاهرة في هذه العلوم ظاهرة منعزلة، بينما في العلوم الاجتماعية مرتبطة بظواهر أخرى.

2 ــ طريقة الاختلاف: METHOD OF DIFFERENCE:

وهي على العكس من الطريقة السابقة، بمعنى أن غياب العله، يعني غياب المعلول وتقضي هذه الطريقة على أنه إذا اتفقت حالتان في جميع المتغيرات ما عدا متغير واحد فقط يوجد في حالة ولا يوجد في الحالة الأخرى.. فإن هذا المتغير يكون سبباً في حدوث الظاهرة.

ويمكن استخدام هذه الطريقة في مجال البحوث الإعلامية، حيث يمكن للباحث اختيار مجموعتين إحداها ضابطة والأخرى تجريبية. وتكون المجموعتان متماثلتين في جميع المتغيرات ما عدا متغير واحد يتوفر لدى المجموعة التجريبية، ولا يتوافر لدى المجموعة الضابطة. ويقاس أثر المتغير على المجموعة التجريبية.. بينما تظل المجموعة الضابطة على حالها.. فإذا ظهرت أية فروق على المجموعة التجريبية، فهذا يعني أن المتغير أدى إلى وجود هذه النتيجة «الفرق».. وبالتالي فإن غيابه يؤدي إلى غياب النتيجة.

ويمكن تطبيق هذه القاعدة على مجموعتين من الأطفال:

الأولى: ضابطه تتلقى المعرفة عن طريق المدرسة والكتاب والمدرس.

الثانية: تجريبية تتلقى المعرفة عن طريق المدرسة، والكتاب والمدرس والتلفزيون.

والمجموعتان متماثلتان من حيث السن، والنوع، والمستوى الدراسي، والوضع الاجتماعي والأسري. . الخ وغيرها من العوامل.

ثم يجري تطبيق اختبار معلومات لقياس درجة الاستيعاب للموضوعات التي جرى تدريسها في المجموعتين فإذا ثبت تفوق المجموعة التجريبية على المجموعة الضابطة، يمكن بذلك إثبات أثر التلفزيون في رفع درجة الاستيعاب والفهم وإذا لم يثبت ذلك فالنتيجة هي لا أثر للتلفزيون في العملية التعليمية وبذلك يمكن القول أن وجود المتغير التجريبي (التلفزيون) أدى إلى وجود النتيجة، وبالتالي فإن غيابه قد يؤدي إلى غياب النتيجة.

وعلى الرغم من ذلك فإن الصعوبة التي تواجه هذه الطريقة هي مدى إمكانية توافر مجموعتين متماثلتين تماماً. . ولكن يمكن تجاوز الجانب الأكبر من هذه الصعوبات بإجراء عمليات المضاهاة والتماثل والتوزيع العشوائي. . التي سيرد شرحها لاحقاً في الفصل الخاص بالبحوث التجريبية.

وإحصائياً يتم التحقق من نتائج هذه الطريقة بوضع ما يسمى «بالفرض الصفري THE NILL HYPOTHESIS»[36] أو الفرض البديل ALTERNATIVE HYPOTHESIS. . وهي الفروض التي تقول «إن الفرق من تأثير المتغير المستقل (التلفزيون) على المتغير التابع (المعرفة) = صفر. بمعنى عدم وجود فرق في العلاقة بين المتغيرات التي يدرسها البحث. ويتم التحقق من صحة هذا النوع من الفروض بالمعاملات الإحصائية. . ويستلزم استخدام الفرض الصفري في هذا النوع من البحوث منعاً لتحيز الباحث.

ونعود للمثال السابق:

التلفزيون متغير مستقل مؤثر ــ توسيع معارف الطفل متغير تابع متأثر.

وعند صياغة هذه المعادلة اللفظية في صورة فرض صغرى يمكن

تقديمه على النحو التالي:

إن الفرق بين معارف الأطفال الذين يتعرضون للتلفزيون، ومعارف الأطفال الذين لا يتعرضون للتلفزيون = صفر.

وفي عبارة إحصائية نصوغ الفرض على النحو التالي:

ف = $م_1$ - $م_2$ = صفر

أي أن $م_1$ = $م_2$.. فإذا جاءت نتيجة المعالجة الإحصائية صفراً.. فهذا يعني أن الفرض قد ثبتت صحته. وإذا لم تثبت صحة الفرض، فإن على الباحث أن يتحول إلى **الفرض البديل ALTERNATIVE HYPOLHESIS**، الذي يقوم بكشف نوع التأثير الذي يمارسه المتغير المستقل «التلفزيون» على المتغير التابع (المعرفة عند الطفل). ويتم التحقق من هذا النوع من الفروض، باستخدام المعاملات الإحصائية.

فالفروض البديلة (A.H) تفترض أن الفرض بين المتغير المستقل «التلفزيون» في تأثيره على المتغير التابع (المعرفة) تختلف عن صفر بمعنى أكبر أو أصغر من صفر.. فإذا كانت نتيجة المعالجة الإحصائية أعلى من صفر، فذلك يعني أن الطفل الذي يتعرض للتلفزيون يفوق معرفة عن الطفل الذي لا يتعرض للتلفزيون.. وإذا كانت أقل من صفر فهذا يعني أن الطفل الذي لا يتعرض للتلفزيون يفوق في معارفه الطفل الذي يتعرض للتلفزيون. وبالرغم من عدم احتمال هذه النتيجة، إلا أننا أتينا بالمثال هنا بغرض توضيح مفهوم الفرض البديل في حَدِّه الأدنى وحَدِّه الأعلى.

3 ــ طريقة التغيير النسبي أو التغير في الاقتران METHOD OF CONCOMITANT VARIATION:

وتقضي هذه الطريقة أنه إذا وجدت العلة وجد المعلول، وإذا غابت العلة غاب المعلول. وقد فطن علماء المسلمين إلى هذه الطريقة حين تحدثوا عن دوران العلة مع معلولها وجوداً وعدماً وهي طريقة تجمع بين الطريقتين السابقتين في بعض جوانبهما، ولذا يرى البعض أن ترجمتها الدقيقة هي

طريقة التلازم في الوقوع والتخلف JOINT METHOD OF AGREEMENT AND DIFFERENCE. . إذ يمكن عن طريقها تحديد العلاقة بين السبب والنتيجة تحديداً كمياً. وليست التعرف على العلاقة السببية، كما في طريقتي الاختلاف والاتفاق، وهي طريقة تواكب تقدم العلوم التي تتجه إلى التعبير عن العلاقات بين الظواهر بطريقة كمية، أي في معادلات تكشف قيمة متغير بدلالة متغير آخر. . .

وتتيح هذه الطريقة إمكانية المقارنة بين ظاهرتين تتطوران في اتجاه طردي أو عكسي، ويستخدم معامل الارتباط الإحصائي في دراسة العلاقة بين المتغيرات مثل:

ـ دراسة العلاقة بين مستوى التعليم ومشاهدة برامج مرئية معينة، على أنه يجب التنبيه إلى أن هذه الطريقة لا تكشف عن علاقات سببية، وإنما تعبر عن علاقات ترتبط مع بعضها بنوع أو درجة من السببية.

ويتطلب هذا النوع من البحوث التي تحقق بهذه الطريقة صياغة **الفروض الارتباطية**: THE CORRELATIONAL HYPOTHESIS وهي فروض تفترض وجود علاقة ارتباطية متداخلة بين المتغيرات المختلفة لمشكلة البحث، فنحن على سبيل المثال، نرغب في معرفة:

العلاقة بين مستوى التعليم، ومشاهدة برامج مرئية معينة، حيث يتم التحقق من هذا النوع من الفروض باستخدام معامل إحصائي كمي هو «معامل الارتباط CORRELATION COEFFICIENT الذي يحدد اتجاه العلاقة وحجمها بشكل كمي في قيمة إحصائية تتراوح بين (− 1، + 1)[37] ولا تخرج نتائجه عن الاحتمالات الخمسة التالية:

أ ــ (+ 1) ويعنى وجود ارتباط طردي تام بين المتغيرين، بمعنى أنه كلما زادت أو نقصت قيمة أحد المتغيرين زادت أو نقصت قيمة المتغير الآخر بنفس الاتجاه والحجم.

ب ــ (+ 1,و) ويعنى وجود ارتباط طردي إلى حد كبير بين المتغيرين،

بمعنى كلما زادت أو نقصت قيمة أحد المتغيرين زادت أو نقصت قيمة المتغير الآخر، بنفس الاتجاه ولكن ليس بنفس الحجم.

جـ ــ (- 1) ارتباط عكسي تام بين المتغيرين، بمعنى أنه كلما زادت قيمة أحد المتغيرين، نقصت قيمة التغير الآخر بنفس الاتجاه والحجم.

د ــ (- 1,و) ويعنى ارتباط عكسي إلى حد كبير بين المتغيرين، بمعنى أنه كلما زادت قيمة أحد المتغيرين نقصت قيمة المتغير الآخر بنفس الاتجاه ولكن ليس بنفس الحجم.

هـ ــ (صفر) ويعني عدم وجود ارتباط بين المتغيرين كتلك العلاقة بين وزن الجسم ونسبة الذكاء.

4 ــ طريقة البواقي: METHOD OF RESIDUES:

يصف «مل» نفسه هذه الطريقة بأنها من أهم الطرق التي تؤدي إلى الكشف العلمي لأنها تجمع بين منهجي الاستقراء والاستنباط. فهي ليست طريقة استقرائية بحتة.

وتقضي هذه الطريقة «بأنه إذا استبعدنا من الظاهرة ذلك الجزء الذي سبق معرفته بالاستقراء على أنه السبب في إنتاج مقدمات معينة، فإن ما تبقى من عوامل يكون سبباً للمقدمات التي تبقى لدينا.

وبوجه عام يمكن القول إن هذه الطريقة لا تستخدم عادة إلا في مجال العلوم التي أحرزت نصباً من التقدم في الكشف عن القوانين، لأنها «تستند إلى قانون السبب الكافي LOW OF SUPPICIENT REASON، الذي يفترض قيام الاستقراء في مرحلة سابقة على الاستنباط وتقود إلى مزيد من الأبحاث التي تستند على فروض مستبنطة من قوانين ونظريات العلوم الطبيعية»[38].

تفسير نتائج الاختبار أو التحقق من الفرض:

بعد أن يتوصل الباحث إلى نتائج واضحة حول الفروض التي تبناها. يدخل مرحلة التفسير، حيث المناقشة العلمية لما تشير إليه البيانات والأرقام

التي نتجت عن عملية اختبار الفروض. . والتحقق منها حسب طبيعة البحث «وصفي، تاريخي، شبه تجريبي، تجريبي) وذلك بغرض كشف ما تعنيه وتحديد دلالاتها وأهميتها العلمية وكفاية إجاباتها النهائية لحل مشكلة البحث.

وعلى الباحث أن يربط تفسيراته بمشكلة البحث محاولاً التنبؤ بمستقبل المشكلة مدعماً ذلك بنتائج بحوث أخرى أو نظريات (إن وجدت) وحقائق معروفة في المجال العلمي للبحث. وعليه أن يتجنب أية تفسيرات لا تدعمها إلا الأرقام أو البيانات. . وعليه أن يعمم نتائج بحثه في حدود المشكلة التي أخضعها للبحث أو الدراسة.

وتتطلب عملية التفسير مهارة ودقة وإلمام الباحث بالأدبيات في مجال تخصصه، لاستنطاق ما تشير إليه هذه الأرقام من معاني بصيغة موضوعية، دون أية إسقاطات جانبية أو انطباعات شخصية تفسد نتائج البحث، وتنحرف بها عن أهدافها الموضوعية.

وفي حالات البحوث والدراسات التي يتعامل فيها الباحث مع أفكار وآراء أكثر مما يتعامل مع حقائق أو أرقام. . حينئذ يلجأ الباحث إلى التفسير النقدي لهذه الآراء شريطة أن تأتي انتقاداته مزودة بالحجج والبراهين.

فالتفسير النقدي له قيمته التي لا يمكن إنكارها والتي بدونها يصعب الوصول إلى استنتاجات علمية في مسائل يندر إيجاد حقائق محددة عنها.

ويتسم التفسير النقدي بسمات ثلاث هي:

1 ــ أن يقوم على حقائق ومبادىء معروفة في المجال الذي أجريت فيه الدراسة أو على الأقل يتفق معها.

2 ــ أن تكون الحجج المقدمة واضحة ومعقولة أي أنها يجب أن تتبع المنطق، بحيث تكون التعميمات والاستنتاجات التي تم التوصل إليها من هذا النوع من النشاط البحثي مستنبطة منطقياً من الحقائق المعروفة

ومن المبادىء التي يطبقها الباحث عند المعالجة التفسيرية.

3 ــ أن يكون الرأي الاستنباطي للباحث مبنياً على الحقائق والبيانات المقبولة في مجال البحث، ومدعوماً بالمنطق والبرهان الميسر مع تحاشي وضع أي استنتاجات تعتمد على الحدس أو التخمين أو مجرد انطباعات عامة فإذا كانت المدلولات والأحداث مشوبة بخطأ التحيز وعدم الدقة، فإن الاستنتاج يكون خاطئاً[39].

أما في حالة البحوث التي تقوم على اختبار السببية أو درجة من السببية، فإن تفسير النتائج لا بد أن يضع في اعتباره القاعدة التي سبق الإشارة إليها في الفصل الخاص بالتجربة في بحوث الإعلام والتي طرحها، دعاة استخدام المنهج التجريبي في دراسة الظواهر الاجتماعية. تلك القاعدة التي تقول «الأمور المتماثلة، تحدث في الظروف المتماثلة» حيث يكون ذلك بتقديم نتائج التجربة في بحوث السببية في إطار العلوم الاجتماعية في إطار ثلاثة أدلة تحدد وضعية المتغير المستقل (س) في علاقته بالمتغير التابع (ص) وهي:

1 ــ دليل التغير الاقتراني:

وذلك لإثبات ارتباط المتغير التابع (ص) بالمتغير المستقل (س)، إما ارتباطاً تبادلياً (طردي أو عكسي) أو ارتباط سببي.

2 ــ دليل الترتيب الزمني لحوادث:

وذلك بإثبات أن المتغير المستقل (س) قد سبق المتغير التابع (ص) من الناحية الزمنية وهنا يجب على أن (س) لا يمكن أن تعتبر سبباً في حدوث (ص) إلا إذا سبقتها من الناحية الزمنية، فقد تثبت التجربة تبادل مواقع (س، ص) وهنا تكون العلاقة تناسبية «SYMMETRICAL».

3 ــ دليل استبعاد العوامل السببية المحتملة:

إذ يحدث بعد القيام بالتجربة ظهور عوامل أو متغيرات جديدة

عملت إلى جانب المتغير المستقل (س) على إحداث التأثير بالمتغير التابع (ص). وهنا يفحص الباحث هذه المتغيرات الجديدة، ليصل إلى استنتاجه النهائي حول الفرض الذي بدأ منه دراسته[40].

وعلى الرغم من ترابط الأدلة، وضرورتها في عملية تفسير النتائج والاستنتاج، إلا أنها لا توفر في كل الأحوال التأكيد المطلق على العلاقة السببية.. ولكن يمكن القول إن الفرض «يُعتد به» بينما لا يمكن القول إن الفرض قد ثبتت صحته كما الحال في العلوم الطبيعية.

مراجع الفصل

(1) نجيب إسكندر، لويس كامل مليكة، رشدي فام، الدراسة العلمية للسلوك الاجتماعي، مؤسسة المطبوعات الحديثة، القاهرة، 1961، ص 182.

(2) علياء شكري، محمد علي محمد، محمد الجوهري، قراءات معاصرة في علم الاجتماع، ط 2، دار الكتاب للتوزيع، القاهرة، 1979، ص 225.

(3) BACK STORM AND HURSH CESAR, G. SURVEY RESEARCH (2nd ed), JOHN WILEY AND SONS, N.Y., 1981, P. 346.

(4) معن خليل عمر، الموضوعية والتحليل في البحث الاجتماعي، ط 1، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1983، ص 37.

(5) برنارد (كلود).

(6) محمد عماد إسماعيل، المنهج العلمي وتفسير السلوك، سلسلة علم سلوك الإنسان 1، ط 3، النهضة المصرية، القاهرة، 1978، ص 62.

(7) الواثق عبد المنعم، المنطق ومناهج البحث العلمي، ب. ن، القاهرة، ب.ت. ص 135.

(8) دالين ديوبولد ب. فان، مناهج البحث في التربية وعلم النفس، ترجمة محمد نبيل نوفل وآخرون، ط 3، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة، 1985، ص 215.

(9) توثيق فرح، فيصل السالم، قاموس التحليل الاجتماعي، مجموعة أبحاث الشرف، الكويت، كاليفورنيا، دار المثلث للتصميم والطباعة والنشر، لبنان، 1980، ص 6.

(10) عبد الباسط محمد حسن، أصول البحث الاجتماعي، ط 8، مكتبة وهبة، القاهرة، 1982، ص 178.

(11) كيرلنجر KELENGER في لويس كوهين، لورنس مانيون، مناهج البحث في

العلوم الاجتماعية والتربوية، ترجمة كوثر حسين، ووليم عبيد، الدار العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1990، ص 23.
(12) برنارد (كلود)، المرجع السابق، ص 46.
(13) إحسان محمد الحسن، الأسس العلمية لمناهج البحث الاجتماعي، ط 1، دار الطليعة، بيروت، 1982، ص 45، 46.
(14) MEDAWAR, P.B., THE HOPE OF PREGRESS, METHEUM, LONDON, 1972, P. 161.
(15) محمد الغريب عبد الكريم، البحث العلمي: التصميم والمنهج والإجراءات، ط 2، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1982، ص 65، 66.
(16) محمد حمد بن عروس، البرامج الثقافية في الإذاعة المرئية للجماهيرية العظمى، دراسة ميدانية لآراء عينة من المشاهدين في مدينة بنغازي، مشروع بحث للماجستير، قاريونس، كلية الآداب والتربية، قسم الأعلام، 1991.
(17). GGORG, W.R., EDUCATIONAL RESEARCH (2nd ed), LONGMAN, LONDON, 1978, P.61
(18) فان دالين، مرجع سابق، ص 248، 249.
(19) WILSON E.B., INTRODUCTION TO SCIENTIFIC RESEARCH (4 thed), GROW HILL BOOK CO, INC, N.Y., 1988, P. 43
(20) معن خليل عمر، مرجع سابق، ص 36.
(21) فان دالين، مرجع سابق، ص 252.
(22) WILTON, J., AND MAMAHAM, A.J., INTERNATIONAL LOGIC في فلسفة العلوم: المنطق الاستقرائي، للدكتور ماهر عبد القادر، الجزء الأول، دار النهضة العربية، بيروت، 1984، ص 62.
(23) نوال محمد عمر، مناهج البحث الاجتماعية والإعلامية، الأنجلو المصرية، القاهرة، 1986، ص 97.
(24) محمد زيان عمر، البحث العلمي: مناهجه وتقنياته، الطبعة الثانية، جدة، دار الشروق، 1975، ص 82.
(25) FIRTH, R., THE TECHNIQUE OF SOCIAL RESEARCH (2nd ed), WIEDEN FEILD NECHLSON, LONDON, 1979, P. 19.
(26) زيدان عبد الباقي، قواعد البحث الاجتماعي، مكتبة القاهرة الحديثة، 1972، ص 52.
(27) نوال محمد عمر، مرجع سابق، ص 97.

(28) HAGE في مجد الوفائي، مناهج البحث في الدراسات الاجتماعية والإعلامية، ط 1، الأنجلو المصرية، القاهرة، 1989، ص 19.

(29) صالح علي سعيد، مشروع بحث، القضايا السياسية في الصحافة اليومية الليبية دراسة تحليلية لاتجاهات المقال الافتتاحي خلال الفترة 1969 ـ 1973، جامعة قاريونس، كلية الآداب، قسم الأعلام، ليبيا، 1992.

(30) هلالة العبار: العلاقات العامة في المجال الاجتماعي، دراسة تطبيقية على الهلال الأحمر الليبي، مشروع بحث، جامعة قاريونس، كلية الآداب، قسم الأعلام، 1992.

(31) إقبال الأمير السمالوطي، منهجية البحث الاجتماعي، المعهد العالي للخدمة الاجتماعية، القاهرة، 1987، ص 57.

(32) كمال عبد الباسط الوحيشي، أسس الإخراج الصحفي، دراسة تطبيقية على الصفحات الأولى في الصحف اليومية الليبية 69 ـ 1973 ليبيا، جامعة قاريونس، كلية الآداب، قسم الأعلام، 1990، ص 23.

(33) محمد زياد حمدان، البحث العلمي كنظام، سلسلة التربية الحديثة 28، دار التربية الحديثة، عثمان، 1989، ص 45.

(34) شوقي شلتوت، جابر فداوي، أساسيات في إعداد كتابة البحوث، ب. ن، القاهرة، 1985، ص 20.

(35) MILL, J.S., SYSTEM OF LOGIC: RATIODUCTIVE A CONNECTED VIEW OF THE PRINCIPLES OF EVIDENCE AND THE METHODS OF SCIENTIFIC INVESTIGATION: NEW IMPRESSION, LONGMAN LIMITED, LONDON, 1910, PP. .255 - 275.

(36) محمد زياد حمدان، مرجع سابق ذكره، ص 44 ـ 46.

(37) انظر: معامل بيرسون PEARSON بالتفصيل في لويس كوهين، لورنس مانيون، مرجع سابق ذكره، ص 185.

(38) HIBBEN, J.G., INDUCTIVE LOGIC, CHARLES SCRIBNERSONSM N.Y., 1969, P. . 147

(39) محمد زيان عمر، مرجع سابق ذكره، ص 52.

(40) جمال زكي، السيد يس، أسس البحث الاجتماعي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1962، ص 115 ـ 121.

الفصل السّابع

المنهج: مَاهيته، أنواعه، تقسيماته

إن نهضة الإنسان في العصور الحديثة لم تتم إلا عندما ثار على النماذج الخرافية والميتافيزيقية في التفكير، وأقام محلها المعرفة التي تعتمد على الطرق والأساليب العلمية.

وإذا كان الإنسان قد ثار على تلك الطرق العقيمة في التفكير، فإن جوهر ثورته وأساسها، كان في الدعوة إلى الخروج إلى الطبيعة والمجتمع لملاحظتها بعد أن أغمض عينيه عنها طوال تلك العصور، وقنع بالتأمل فيما ورائها أو التحليق بخياله في أوهام من خلقه واختراعه.

فقد عمل كل من التفكير الخرافي، والتفكير الميتافيزيقي على الحد من شغف الإنسان بالطبيعة، وعطله عن ملاحظتها. فالتفكير الخرافي جعله يهيم في عالم الخيال والأوهام، أما التفكير الميتافيزيقي فقد شجعه على الاهتمام بالعالم الآخر، وجعله يذهب إلى أن كل ما نعرفه بحواسنا، ما هو إلا صورة ناقصة ومشوهة لما هو موجود وقائم في عالم آخر كامل وحقيقي. ولم ينقذ الإنسان من غياهب الخرافة والميتافيزيقيا، إلا عندما بدأ من حواسه، واعتمد على خبرته الحسية، فتجمعت لديه معرفة من نوع جديد هو ما نسميه بالعلم.

وقد صاحب المنهج كأسلوب للتفكير المعرفة الإنسانية. وكان لتطوره الأثر البالغ في تطورها حتى وصلت إلى ما هيعليه الآن.

المنهـج: ماهيته وأهميته:

قبل أن نتناول مناهج البحث الأكثر استخداماً في مجال البحوث

والدراسات الإعلامية. رأينا أن نعرض في هذا الفصل لماهيته المنهج وأهميته، على اعتبار أن المنهج هو الإطار الذي يمكن الباحث عن الترتيب المنظم لموضوع بحثه أو دراسته، وذلك حسب احتياجات الموضوع وطبيعته، ونوع المعلومات واتجاهاتها، ودرجات تخصصها.

فقد وردت كلمة منهاج في القرآن الكريم تعقيباً على وجود تشريع لليهود في التوراة. إذ يقول الله سبحانه وتعالى في محكم تنزيله: ﴿ولِكلٍّ جَعَلْنا منكم شِرْعة ومِنْهاجاً﴾[1].

وفي المعجم الوسيط وردت كلمة المنهج بمعنى «الطريق البين إلى الحق في أيسر سبله»[2].

ويعرف عبد الرحمن بدوي المنهج بأنه «فن التنظيم الصحيح بسلسلة من الأفكار العديدة، إما من أجل عن الحقيقة حين نكون جاهلين بها، وإما من أجل البرهنة عليها للآخرين حين نكون عارفين لها»[3].

ويركز محمد طلعت عيسى ي تعريفه للمنهج من زاوية أنه أسلوب للتفكير الموضوعي[4]، ويبنى جمال زكي تعريفه للمنهج مستنداً إلى هذه الرؤية فيضيف إليها «كوسيلة يمكن عن طريقها الوصول إلى الحقيقة»[5]، بينما يعرفه عبد الباسط عبد المعطي بأنه «خطة منتظمة تسير في مجموعة من الخطوات بقصد تحقيق هدف البحث سواء أكان نظرياً أو تطبيقياً»[6].

ويبنى سمير نعيم تعريفه للمنهج على «القواعد العامة التي تحدد الإجراءات العملية والعمليات العقلية التي تتبع من أجل الوصول إلى الحقيقة، فيما يتعلق بظاهرات الكون الطبيعية أو البيولوجية للإنسان»[7]. وهو بذلك يجمع بين المنهج كإطار للعمليات العقلية التي تدور في ذهن الباحث، والمنهج كطريقة علمية يجري بموجبها البحث.

والمنهج عند مؤلف كتاب البحث العلمي كنظام هو «طريق إجرائي مركب، ومتكامل يعتمده الباحث للوصول إلى حقيقة جديدة ينشدها للتغلب

على مشكلة تستهويه أو غامضة عليه»[8]. وهو تعريف يركز على المنهج كمجموعة إجراءات يجري بموجبها البحث.

ويعرفه محمد الغريب بأنه «مجموعة من الأطر والإجراءات والخطوات التي يضعها الباحث لدراسة مشكلة معينة»[9] وهو تعريف جامع لكل العمليات البحثية كطرق وأساليب البحث ووسائل جمع البيانات والمعلومات.. وبالتالي فهو يبتعد عن فكرة المنهج كعملية للتفكير، بينما يقترب إلى فكرة المنهجية العامة للبحث، التي تتجدد وترتبط إلى حد كبير بنوع المشكلة والأسلوب الذي يتبعه الباحث لحلها، وطبيعة البيانات والمعلومات المطلوبة.. والوسائل والأدوات اللازمة لجمعها وتحليلها. وهو وبذلك التعريف ينتمي إلى تلك المجموعة التي تتعامل مع المنهج بهذه الصورة ومن بينها التعريف الذي أورده عمر التومي الشيباني الذي نظر إلى المنهج «كوسيلة للبحث العلمي في الكشف عن المعارف والحقائق والقوانين»[10]. وذلك التعريف الذي يقول بأن المنهج هو «الطريقة التي يتبعها الباحث لدراسة ظاهرة أو مشكلة بقصد وصفها وتفسير المتغيرات المختلفة التي تؤثر وتتأثر بها بقصد التحكم فيها والتنبؤ بمستقبلها»[11].

ويرى عبد الباسط محمد حسن أن «عبارة المنهج تشير إلى الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة بواسطة طائفة من القواعد التي تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة»[12].

ومن التعريفات السابقة نستدل على الخلط الواضح بين المنهج كأسلوب للتفكير، وللعمليات العقلية التي تدور في ذهن الباحث، وبين طرق البحث التي تستخدم في دراسة المشكلات أو الظواهر أو الموضوعات. فالمنهج يقدم رؤية للعمليات التي تحكم التفكير العلمي في تصديه لحل المشكلات أو دراسة الموضوعات أو تفسير الظواهر ولهذا فإنه يحتاج إلى طرق وأساليب متنوعة لتنفيذه وتتناسب مع طبيعته كمنهج للتفكير. كما أن هذه الطرق والأساليب تحتاج هي الأخرى إلى أدوات لجمع البيانات

والمعلومات ومن هنا جاء الخلط وعدم الوضوح لمفهوم كلمة METHOD، ذلك أن الكلمة لها معاني اصطلاحية عديدة، فهي تعني إجراء، طريقة، منهج، عملية أو خطة نظامية، لإحراز شيء أو تحقيق هدف.. الخ.

وقد أدى تعدد معاني الكلمة، وتعدد استخداماتها، بكثير من الترجمات العربية إلى إطلاق الكلمة. تارة بمعنى منهج، وتارة أخرى بمعنى أسلوب أو طريقة.. الأمر الذي أدى إلى الخلط وتقييد حركة الفكر في التعامل مع مناهج على أنها وسائل أو أدوات.. فعلى سبيل المثال تحليل المحتوى تارة هو منهج قائم بذاته، وتارة هو أسلوب لجمع البيانات، ومرة ثالثة هو أداة لتحليل البيانات.

وفي معظم اللغات الأوروبية فإن كلمة METHOD[13] تكتب وتنطق بأشكال وأصوات متقاربة. ذلك أن أصل الكلمة مأخوذ من الكلمة اللاتينية METHODUS، وفي معناها الأصلي تعني الطريق الذي يؤدي إلى الهدف المقصود.

ولما كانت طبيعة البحث أو الدراسة التي يقوم بها الباحث هي التي تحدد المنهج الذي يتبع للتفكير فيها، ولما كان المنهج هو الذي يحدد الطرق والأساليب التي يجري بموجبها البحث، ولما كانت مشكلات البحوث ذات جوانب متعددة، فإن ذلك يعني أن كل دراسة منفردة لا يليق بها منهج واحد، بل قد تتعدد المناهج والطرق والأساليب في دراسة موضوع أو مشكلة واحدة، وفقاً لمبدأ المرونة المنهجية الذي يدعو إلى عدم الاعتماد على منهج واحد في دراسة أية ظاهرة أو مشكلة، وقد نختار جزئية من منهج، وطريقة من منهج آخر وأسلوب من طريقة ثالثة، وذلك في إطار دراسة واحدة، وذلك استناداً إلى مبدأ المرونة في توظيف المنهج أو بعض جزئياته.

ومن جهة أخرى، فإن الهدف الذي يسعى إليه البحث يلعب دوراً كبيراً في تحديد المنهج ـ وإن كان ذلك بطريقة غير مباشرة ـ فهناك البحث الخالص PURE RESEARCH الذي يهدف الوصول إلى حقائق نظرية، دون أن يهدف

إلى الاستفادة من نتائج دراسته في المجال العملي أو التطبيقي، وهي بحوث يتم التركيز فيها على الأساسيات. وهناك البحث التطبيقي APPLIED STUDIES الذي يهدف إلى دراسة مشكلة معينة للوصول إلى حل مناسب لها، وتكون نتائج هذا النوع من البحوث ذات دلالة علمية وتطبيقية، وغالباً ما يكون هذا النوع من البحوث مكملاً لبحث سابق ويطلق عليها البعض RESEARCH ON RESEARCH[14].

وعلى ذلك فإن استخدام المنهج يختلف باختلاف الموضوعات التي ندرسها والوظيفة التي يؤديها في دراسة الموضوع. فلكل منهج وظيفته التي تتناسب مع مجال التخصص الذي ينتمي إليه موضوع البحث، وبالتالي لا توجد طريقة علمية واحدة لاستخدام منهج علمي معين، في كل أنواع الدراسات. فنحن نستخدم طرق البحث التاريخي في الدراسات الإعلامية التي تعالج ظواهر ووثائق التاريخ الإعلامي ووسائله، ولكن برؤية تختلف إلى حد ما عن الدراسات التاريخية أو الأثرية. ففي الأخيرة ـ على سبيل المثال ـ تعتبر الصحف مصادر ثانوية للمعلومات التاريخية، بينما تعتبر الصحف في الدراسات التاريخية الإعلامية، مصدراً أساسياً للمعلومات.

كما أنه لا توجد طريقة علمية واحدة أو منهج علمي واحد يمكن الاعتماد عليه في الكشف عن الحقيقة.. «ففي القرون الماضية مثلاً كان المفكرون يعتقدون أن الطرق المنطقية الاستنتاجية، هي الكفيلة بحل كل الألغاز في العلوم الطبيعية، ثم تبين أن ذلك غير صحيح تماماً. ثم جاء نيوتن وديكارت، وساد الاعتقاد بأن المعادلات الرياضية تحل أية مشكلة.. ولكن التطور أثبت عدم صحة هذا الافتراض.. وأعقب ذلك منهجية جديدة تقول بأن الطرق التجريبية هي المثلى لدراسة أية ظاهرة في الوجود.. وفي نهاية الأمر تأكد أن كل موضوع يحتاج إلى منهجية خاصة تتلائم وطبيعة البحث ونوعه وأهدافه»[15].

وبطبيعة الحال، فإن «المنهج السليم هو ذلك المنهج الذي يفسح أكبر

مجال لحرية التفكير، مع وضع بعض الشروط التي تحد من خيال الباحث دون أن تقضي عليه»[16].

ومما سبق من سرد لمفهوم المنهج، والخلط الذي وقع فيه البعض بين مفهوم المنهج كإطار للعمليات الفكرية التي تدور في ذهن الباحث، وبين الطرق والأساليب البحثية التي يتبعها الباحث بغرض الكشف عن حقائق معينة، نرى أن المنهج في البداية كان مرسوماً بطريقة تأملية كاتجاه يحكم عملية التفكير المنظم، ولذلك فقد اصطُلح على تقسيم المنهج وفقاً لهذا المعيار إلى الأنواع التالية:

1 ــ المنهج الاستردادي.
2 ــ منهج الاستدلال.
3 ــ منهج الاستدلال الاستقرائي.
4 ــ منهج الاستدلال الرياضي.
5 ــ منهج الاستدلال الاستقرائي القياسي.

وذلك في إطار مصطلح المنهجية METHODOLOGY الذي استخدمه «كانت KANT» قاصداً به العلم الباحث في الطرق المستخدمة في العلوم للوصول إلى الحقيقة[17].

ولما أخذت كلمة المنهجية METHODOLOGY مفهومها الحالي كنهج يسير على هديه البحث في التعامل مع المعلومات والبيانات ملاحظةً وتجريباً وتحليلاً وتفسيراً وصولاً إلى النتائج التي تكشف عن حقيقة موضوع البحث، أخذت كلمة منهج METHOD معناها الحالي كمجموعة من القواعد والإجراءات التي يجري بموجبها البحث من أجل الوصول إلى الحقيقة. وقد تعارف على تسمية هذه القواعد طرق البحث، التي تختلف قواعدها من مجال إلى آخر حسب طبيعة البحث، وإجراءات القيام به، والمجال العلمي الذي ينتمي إليه والهدف من إجرائه.. ولذا فقد اصطُلح على تقسيم المنهج «كمجموعة من القواعد التي يجري بموجبها البحث في العلوم الاجتماعية إلى

التقسيمات التالية:

1 ــ المنهج التاريخي.

2 ــ المنهج الوصفي.

3 ــ المنهج التجريبي.

وعلى ذلك فإن هذا الفصل يتناول:

1 ــ المنهج كإطار للعمليات العقلية التي تدور في ذهن الباحث.

2 ــ المنهج كمجموعة قواعد يجري بموجبها البحث.

أولاً ــ المنهج كإطار للعمليات العقلية:

يمثل المنهج وفقاً لهذا المفهوم، مرحلة معينة في تطور علم المناهج.. وهو العلم الذي يبحث في طرق البحث المستخدمة في العلوم للوصول إلى الحقيقة..

فقد استطاع الإنسان أن يزيد من فرص تحصيلة للمعرفة بعد أن توصل إلى المنطق كمنهج للتفكير في الأشياء.. وهو ما تعارف على تسميته بمنهج التفكير الاستنباطي للبحث عن الحقيقة. وفي أواخر القرن السادس عشر ثار فرانسيس بيكون F. BACON على هذه الطريقة في التفكير، مستبدلاً بها الاستقراء كمنهج للتفكير في الظوهر.. وكان ذلك بداية دخول الإنسان إلى عصر العلوم الوضعية التي تفسر الأحداث والظواهر بعيداً عن التأثيرات الدينية والتفسيرات الميتافيزيقية.

ووفقاً لنظرية تراكم المعرفة وتطورها، تداخلت مناهج التفكير مع بعضها البعض، لتُظهر منهجاً أكثر تطوراً وهو ما عرف بالمنهج الاستدلالي الاستقرائي القياسي.

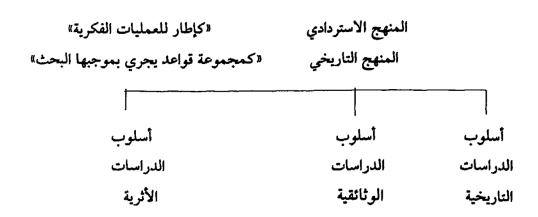
واستناداً إلى فكرة تصنيف المناهج وفقاً لنوع العمليات العقلية التي توجه تفكير الباحث أمكن تقسيم المنهج إلى الأنواع التالية:

1 ــ المنهج الاستردادي:

وهو المنهج الذي يوجه تفكير الباحث إلى دراسة الظواهر والأحداث والمواقف التي وقعت في الماضي.. بالبحث والتقصي فيما تركته من آثار أو مستندات أو شواهد.. إذ يمكن عن طريق التحقق منها باستدعاء ما كان في الماضي، وتحليل العوامل التي أثرت على العصر الذي شهد الحدث أو الظاهرة التاريخية موضع الدراسة وذلك بالرجوع إلى منابعها الأصلية، اعتماداً على البيانات والمصادر الأولية وتحليلها للتأكد من صدقها وتفسيرها بالحكم عليها في إطار الرؤية التاريخية مع الالتزام بالموضوعية دون الانزلاق في متاهات التحيز والانطباعات الذاتية.

ويعتمد المنهج الاستردادي في عملياته الفكرية على النقد والتقييم للأدلة التاريخية HISTORICAL EVIDENCE وتتضح هذه العمليات بصفة خاصة في التصور الذهني الذي يقوم به الباحث في إعادة بناء الماضي في صورة منظمة، وبنظرة شاملة تحاول الإحاطة بعالم الظاهرة في ماضيها، وبشكل أساسي في مجالها الزماني والمكاني. وتكتمل صورة التفكير الاستردادي في محاولة الباحث الوصول إلى فهم جديد للماضي في ارتباطه بالحاضر والمستقبل، واضعين في الاعتبار أنه ليس من الموضوعية أن ننتزع الأحداث أو الظواهر أو المواقف من إطارها التاريخي، لكي نحكم عليها أولها بمنطق الحاضر.. حيث من المفترض أن نصدر هذا الحكم في الإطار التاريخي أو الزمني لها، وبمنطق العصر الذي وجدت فيه فمن الخطأ أن نفسر الماضي بعقلية الحاضر.

وبوجه عام، يمكن القول، إن المنهج الاستردادي هو الذي قامت عليه طرق وأساليب البحث التاريخي كمجموعة من القواعد التي يجري بموجبها البحث، ويمكن تصنيفها على النحو التالي:



2 ـ المنهج الاستدلالي:

تقوم فكرة هذا المنهج على التفسير من العام إلى الخاص حيث يتم استخلاص النتائج من مقدمات عامة كلية منطقية يُعتمد عليها في عملية القياس.

والمنهج الاستدلالي أو الاستنباطي كإطار للعمليات الفكرية التي تنتظم تفكير الباحث يقوم على «أن ما يصدق على الكل يصدق على الجزء، ولذا فإن العقل يقوم بالبرهنة على أن ذلك الجزء يقع منطقياً في إطار الكل.. وهو ما تعارف على تسميته بالاستدلال المنطقي لأرسطو (322 ـ 384 ق.م)[18].

ويظهر المنهج الاستدلالي في صورتين:

أ ـ الاستدلال المباشر، ويقوم على «استنتاج صدق أو كذب قضية من صدق أو كذب قضية أخرى»[19].

مثال: كل زيادة في عرض البرامج الترفيهية في التلفزيون يؤدي إلى زيادة في أوقات المشاهدة.

فإذا صدقت القضية تكون النتيجة هي أن الزيادة إنتاج البرامج الترفيهية يؤدي إلى زيادة في أوقات المشاهدة.

ب ـ الاستدلال غير المباشر «القياسي»:

ويقوم على «استدلال أو استنباط قضية من قضيتين بينهما واسطة تربطهما بحيث يكون التسليم بصدق المقدمتين موجب التسليم

بصدق النتيجة. وتسمى القضايا المستدل منها مقدمات والقضايا المستدل عليها نتيجة. وتبدأ المقدمتان دائماً بلفظ بما إن، وتبدأ النتيجة دائماً بلفظ إذن»[20].

مثال: بما أن كل البرامج التلفزيونية المحلية يكلف إعدادها الكثير من المال وبما أن كل ما يكلف إعداد الكثير من المال يكون غالي الثمن إذن كل البرامج التلفزيونية المحلية غالية الثمن.

3 ـ منهج الاستدلال الاستقرائي:

استمر الاستدلال المنطقي كقاعدة للتفكير المنظم، وللعمليات العقلية التي تدور في أذهان الباحثين عن الحقيقة، ولفترة زمنية طويلة. حتى بزغ عصر النهضة.. ومنذ ذلك الحين تضاءلت فاعليته، الأمر الذي لفت انتباه العلماء والمفكرين إلى ضرورة البحث عن حلول لمشكلات الإنسان بصورة أكثر واقعية. وجاءت جهود الفيلسوف الإنجليزي فرانسيس بيكون F. BACON 1561 ـ 1626) الذي وضع الأساس لمنهج الاستدلال الاستقرائي معبراً عن الروح العلمية الجديدة(*).

وهو منهج يعتمد على دراسة الجزئيات وصولاً إلى الكليات أو القوانين التي تحكم الظاهرة. وهو كإطار للعمليات الذهنية التي يقوم بها العقل يستهدف الوصول إلى استنتاجات عامة من خلال مراقبة أو ملاحظة بعض الحالات الفردية التي توصل الإنسان إلى فروض يتم التحقق منها وصولاً إلى القانون العام الذي تندرج تحته كل جزئيات الظاهرة.

(*) عبر فرانسيس بيكون عن آرائه في مؤلفه القانون الجديد NOVUM ORGANUM الذي سجل فيه موقفه من المنطق الصوري لأرسطو، وكشف فيه عن منهجه الجديد الذيم يلائم عصر النهضة في أوربا، إذ يرى أن الموضوعات التي تكشف عن اتصالها بالواقع التجريبي جديرة بالبحث، أما الأفكار التي لا تنسحب على الواقع فإنها من قبيل الأفكار الميتافيزيقية. انظر د. محمود قاسم، مرجع مشار إليه في هوامش الفصل، ص 28، 29.

ويستخدم الاستدلال الاستقرائي في بحوث العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية على حد سواء.

فالاستقراء يحقق قفزة تصويرية من المشاهدات الواقعية إلى القضايا الأكثر عمومية، وينقسم إلى نوعين:

أ ـ الاستقراء التام: وفيه يقوم الباحث بحصر جميع الحالات الجزئية التي تقع في إطار فئة معينة.

ب ـ الاستقراء الناقص: وفيه يقوم الباحث بملاحظة بعض الحالات الجزئية التي تقع في إطار فئة معينة معتمداً على أسلوب العينة.

وهو في الحالتين يقوم على مقدمات تضم حالات جزئية يشترط أن تكون تعبيراً عن وقائع أو أشياء محسوسة[12].

4 ـ المنهج الاستدلالي الرياضي:

ويستخدم في مجالات العلوم الرياضية التي ينحصر موضوعها في الكميات المجردة. ويعتبر رينيه ديكارت R. DIKART من الأوائل الذين أسهموا في وضع قواعد الاستدلال الرياضي. فقد واكبت جهوده لتطوير منهج الاستدلال جهود فرانسيس بيكون في نفس الفترة. فبينما اتجه بيكون BECON إلى تطوير منهج الاستدلال بالاستقراء، اتجه ديكارت DIKART إلى تطوير منهج الاستدلال بالرياضيات، وقد اتخذ ديكارت لمنهجه الرياضي قواعد أساسية هي:

أ ـ قاعدة الوضوح العقلي: وتقوم على عدم التسليم بصدق أي شيء ما لم تكن على علم بأنه كذلك.

ب ـ قاعدة التحليل العقلي: وتقوم على تقسيم كل مشكلة نتناولها بالبحث إلى أكبر عدد ممكن من الأجزاء أو بمقدار ما تدعو الحاجة إلى حلها على أكمل وجه.

جـ ـ قاعدة التركيب العقلي، وتقوم على فكرة البدء بأبسط الأشياء وأسهلها معرفة ثم صعوداً متدرجاً إلى معرفة ما هو أعقد.

د ـ قاعدة المراجعة والفحص التام، وتقوم هذه القاعدة على التدقيق والمراجعة للتأكد من عدم إغفال أي جانب من جوانب المشكلة[22].

وللاستدلال الرياضي أهمية كبيرة في العلوم الحديثة، فاستخدام العلوم للرموز التي ظهرت ضمن إجراءات منهج الاستدلال الرياضي، جعلها أكثر ضبطاً، مما لو استخدمت الألفاظ فقط.. كما أن استخدام العلوم اللغة الرياضية في صياغة قوانينها العلمية أصبغ عليها دقةً ووضوحاً وقد استفادت العلوم الاجتماعية كثيراً من الاستدلال الرياضي خاصة ما يتصل بعلم الإحصاء الوصفي والإحصاء الرياضي وما إلى ذلك.

5 ـ منهج الاستدلال الاستقرائي القياسي:

تتابعت جهود العلماء في مجال تطوير المناهج كإطار للعمليات العقلية لحل المشكلات ودراسة الموضوعات. وكان من نتيجة هذه الجهود، ظهور منهج الاستدلال الاستقرائي القياسي.. وهو منهج يجمع بين استدلال أرسطو واستقراء بيكون حيث يعمل الباحث بطريقة الاستقراء التي تعتمد على الملاحظة والتجربة ليصل إلى الفروض، ثم يعمل بطريقة القياس للتحقق من صحة هذه الفروض.. مع إمكانية إخضاع هذه الفروض لمزيد من الاختبارات وصولاً إلى فكرة التصحيح الذاتي التي نادى بها كيرلنجر KELENGER فيما بعد.. والتي تعتمد على قاعدة المراجعة والفحص التام في منهج الاستدلال الرياضي.. إذ يمكن عن طريقها اكتشاف أية نتائج غير صحيحة في الوقت المناسب.

ويعد هذا المنهج، محاولة للخروج من بعض الانتقادات التي وجهت للمناهج السابقة.. حيث أمكن عن طريق الجمع بين الاستدلال والاستقراء في هذا المنهج وصولاً إلى معرفة أكثر دقة.

ويرى دالين DALIN أن خطوات المنهج العلمي في التفكير، والتي طرحها جون ديوي JOHN DEWEY في كتابه كيف نفكر؟ HOW TO THINK?الذي نشره في عام 1910 ما هي إلا تجسيد لمنهج الاستدلال

الاستقرائي القياسي والذي تتمثل خطواته في:

أ ـ الشعور بالمشكلة عندما يواجه الإنسان عقبة أو صعوبة أو موقف أو ظاهرة تحيره.

ب ـ حصر وتحديد المشكلة عن طريق جمع المعلومات وإجراء الملاحظة التي تساعده على تحديد المشكلة بصورة أكثر دقة.

جـ ـ اقتراح حلول للمشكلة في شكل فروض، يقوم الإنسان بوضعها كتخمينات ذكية حول الحلول الممكنة للمشكلة.

د ـ استنباط نتائج الحلول المقترحة عن طريق اختبار الفروض بإثبات صحتها أو خطأها، وما يترتب على ذلك من نتائج معينة.

هـ ـ اختبار الفروض عملياً بالبحث عن الأدلة التي تثبت أن النتائج المترتبة على الفرض قد حدثت فعلاً أو ينبغي حدوثها.

ثانياً ـ المنهج كمجموعة قواعد يجري بموجبها البحث:

يعتبر أميل دوركايم EMILE DURKHEIM (1858 ـ 1917) المؤسس الحقيقي لعلم الاجتماع في فرنسا، أول من نادى بدراسة الظاهرة الاجتماعية على أنهما أشياء، بمعنى إمكانية دراستها بالطرق التي تدرس بها الظواهر الطبيعية.

ويرى أميل EMILE أن الباحث إذا اعتمد على أسلوب الملاحظة، فإنه يتخذ أسلوباً وصفياً وينتمي بذلك إلى المدرسة الصورية أو الشكلية FORMAL حيث تتم معالجة الظاهرة من الخارج وفي إطارها العام.

أما إذا اتجه الباحث إلى معالجة الظاهرة بتحليلها من الداخل، فإنه بذلك ينتمي إلى مدرسة التفاعل INTRA-ACTION التي تعني بتحليل المكونات والعناصر في داخل الإطار العام للظاهرة.

أما إذا نظر الباحث في دراسة الظاهرة من زاوية علاقاتها بظواهر أخرى، فإنه بذلك ينتمي إلى مدرسة العلاقات RELATIONS.

أما إذا نظر الباحث إلى الظاهرة من خلال معاملاتها الإحصائية، فإنه بذلك يدرس الظاهرة منتمياً إلى المدرسة الإحصائية STATISTICAL للبحوث الاجتماعية[24].

وتتابعت جهود العلماء في مجال البحث الاجتماعي، أمثال تشارلز بوث CHARLES BOOTH (1840 ـ 1916) وتشارلز هورتن كولي CHARLES H. COOLY (1869 ـ 1929) ووليام توماس WILLIAM L. THOMAS (1863 ـ 1947) وروبرت بارك ROBERT PARK (1864 ـ 1944)[25]، وغيرهم من علماء البحث الاجتماعي الذين أسهموا إسهامات واضحة في تطوير طرق البحث وأساليبه وأدواته في مجال العلوم الاجتماعية بالصورة التي نراها ماثلة وأمامنا اليوم. وأصبحت كلمة منهج METHOD تستخدم كتعبير مرادف للطرق التي يجري بموجبها البحث إلى جانب استخدامها كإطار للعمليات الفكرية التي تدور في ذهن الباحث. ومن هنا جاء الخلط بين المفهومين على الرغم من أنهما يكملان بعضهما البعض.

إلا أننا وفي هذا المقام الذي نتناول فيه المنهج كمجموعة من القواعد التي يجري بموجبها البحث، وسيراً على نفس المنوال الذي اتبعناه في دراسة المنهج كإطار للعمليات الفكرية والعقلية، فإننا نلقي الضوء على تقسيمات المنهج وفقاً لهذا المفهوم، وذلك على النحو التالي:

1 ـ المنـهج التاريخـي:

ويهتم بدراسة ظواهر ووثائق ومواقف وأحداث الماضي، وذلك عن طريق جمع المعلومات والحقائق المتصلة بها من مراجعها الأصلية بهدف التعرف على حقيقتها. ولا يقتصر استخدام المنهج التاريخي على دراسة موضوعات التاريخ بل يشمل مختلف مجالات العلوم. ويقوم هذا المنهج مستنداً إلى القواعد التالية:

أ ـ قاعدة التحديد: وتعني تحديد الظاهرة التاريخية محل الدراسة زمانياً ومكانياً، مع الاهتمام بالظروف التي صاحبتها باعتبارها جزءاً أصيلاً منها.

ب ــ قاعدة التحليل: وتعني جمع أكبر قدر ممكن من الحالات والمعلومات المتعلقة بالظاهرة وتحليلها وإجراء دراسة نقدية عليها للتأكد من صحتها.

جـ ــ قاعدة التركيب: وتعني إعادة صياغة المادة التاريخية صياغة علمية، وتجاوز مرحلة السرد والوصف إلى التعليل، مع افتراض أن الوقائع التاريخية معلولة بعلل وأسباب يسعى الباحث إلى استخلاصها.

د ــ قاعدة إصدار الإحكام: وتعني الحكم على الظاهرة بمنطق العصر الذي ظهرت فيه، على اعتبار أن لكل عصر تاريخي حضارة لها شخصيتها وقيمها، ولكل فترة تاريخية أحداثها وظروفها، وليس من شأن المؤرخ أن ينظر إلى الماضي من خلال معايير الحاضر[26].

2 ــ المنهج الوصفي:

يهتم المنهج الوصفي بدراسة الحقائق حول الظواهر والأحداث، والأوضاع القائمة وذلك بجمع البيانات والمعلومات وتحليلها وتفسيرها لاستخلاص دلالاتها أو إصدار تعميمات بشأنها. ويقوم هذا المنهج على قاعدتين هما:

«أ ــ قاعدة التجريد: وتتضمن عزل وانتقاء مظاهر معينة من الظاهرة ودراستها. ولا يعني العزل اعتبار الظاهرة منفصلة عن غيرها من الظواهر، وإنما يعني تمييز الظاهرة كماً وكيفاً.. بغرض إظهارها أو تحديدها بصورة أوضح.

ب ــ قاعدة للتعميم، وتعني إصدار الحكم على الظاهرة في إطار الفئة أو العينة التي تم إخضاعها للدراسة»[27].

3 ــ المنهج التجريبي:

وهو ذلك المنهج الذي تشكل فيه التجربة البرهانية أو التجربة بغرض إقامة الدليل، إجراءاً أساسياً، وفيه يقوم الباحث بإحداث تغييرات متعمدة

لضبط جميع المتغيرات الداخلة في التجربة فيما عدا المتغير المراد معرفة وقياس تأثيره على الظاهرة. ويقوم هذا المنهج على القواعد التالية:

أ ــ قاعدة السببية:

وتعني أن العلاقة بين المتغير المستقل والظاهر كمتغير تابع، هي علاقة بين علة ومعلول «سبب ونتيجة». وللاستدلال على هذه القاعدة يجب توافر الأدلة التالية:

* دليل التغير الاقتراني:

وهو الدليل الأقوى لإثبات السببية في العلاقة بين المتغير المستقل والمتغير التابع، بمعنى إثبات أن المتغير التابع يرتبط بعلاقة سببية مع المتغير التابع.

* دليل الترتيب الزمني لحدوث المتغيرات:

وهو الدليل الذي يثبت أن السبب «المتغير المستقل» قد سبق الأثر «المتغير التابع» من الناحية الزمنية إذ لا يمكن اعتبار أن المتغير المستقل هو السبب في حدوث المتغير التابع إلا إذا سبقه من الناحية الزمنية.

* دليل استبعاد المتغيرات السببية الأخرى المحتملة:

وهو الدليل الذي يثبت أن السبب «المتغير المستقل» قد أثر على «المتغير التابع» بعد أن عزل الباحث كل المتغيرات المحتملة والتي يمكن أن تؤدي إلى إحداث المتغير التابع.

ب ــ قاعدة الضبط:

وتعنى التحكم في جميع المتغيرات التي قد تؤثر في إجراء التجربة أو تؤثر على دقة نتائج العلاقة السببية فيما عدا المتغير المستقل. ويتم اتحكم في المتغيرات الأخرى عن طريق الإجراءات التالية:

* المضاهاة أو التماثل:

وذلك بإجراء المقارنة بين مفردات العينة للوصول إلى التماثل بينها قدر الإمكان.

* التوزيع العشوائي:

وذلك بتوزيع أفراد العينة على المجموعتين الضابطة والتجريبية بطريقة عشوائية بحيث يكون لكل فرد الفرصة لاجتياز التجربة.

جـ ـ قاعدة التجريب:

وتعني تصميم التجربة أو مجموعة التجارب وفقاً لمتطلبات الدراسة، وذلك لاختبار ومعالجة المتغيرات قيد البحث بهدف التعرف على العلاقة السببية بين المتغير المستقل والمتغير التابع[28]، وذلك عن طريق استخدام القياسات القبلية والبعدية على المجموعات الضابطة والتجريبية.

مراجـع الفصـل

(1) سورة المائدة، آية 48.

(2) المعجم الوسيط، جـ 2 مادة نهج، ص 966.

(3) عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي، النهضة العربية، القاهرة، 1968، ص 4.

(4) ـــــــــ، البحث الاجتماعي، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة، 1963، ص 35.

(5) جمال زكي والسيد يس، أسس البحث الاجتماعي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1962، ص 8.

(6) ـــــــــ، البحث الاجتماعي: محاولة نحو رؤية نقدية لمنهجه وأبعاده، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1984، ص 26.

(7) ـــــــــ، محاضرات في المنهج العلمي في البحوث الاجتماعية، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة، 1979، ص 32.

(8) محمد زياد حمدان، البحث العلمي كنظام، سلسلة التربية الحديثة، 28، دار التربية الحديثة، عمان، 1989، ص 60.

(9) ـــــــــ، البحث العلمي، التصميم، والمنهج، والإجراءات، ط 2، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1982، ص 79.

(10) ـــــــــ، مناهج البحث الاجتماعي، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع، والإعلان، ليبيا، 1971، ص 52.

(11) عبد العاطي أحمد، محمد عبد السميع، محاضرات في مناهج البحث والمكتبات، كلية التربية، جامعة الأزهر، القاهرة، 1983، ص 127.

(12) عبد الباسط محمد حسن، أصول البحث الاجتماعي، ط 5، مطبعة البيان

العربي، 1966، ص 329.

(13) انظر مادة METHOD في WEBSTERS NEW DICTIONARY .

(14) عمار بوحوش، دليل الباحث في المنهجية وكتابة الرسائل الجامعية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 21.

(15) شارل مالك (وآخرون)، البحث العلمي في العالم العربي، هيئة الدراسات العربية بالجامعة الأمريكية، بيروت، 1956، ص 10.

(16) كلورد بيرنارد، عبد الحميد لطفي، علم الاجتماع، ط 7، دار المعارف، القاهرة، 1967، ص 35.

(17) المرجع السابق، ص 36، 37.

(18) دالين، ديوبولد. ب، فان، مناهج البحث في التربية وعلم النفس، ترجمة محمدنبيل نوفل وآخرين، ط ٣، الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٥، ص ٤٣.

(19) الوائق عبد المنعم، المنطق ومناهج البحث العلمي، ب. ن، ب.ت، ص 66.

(20) المرجع السابق، ص 79.

(21) محمود فهمي، الاستقراء والمنهج العلمي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1988، ص 23، 24.

(22) زكي نجيب محمود، المنطق الوضعي، الجزء 2، دار المعارف، مصر، 1967، من ص 441 إلى 446.

(23) دالين، ديوبولد ب، فان، مرجع سابق ذكره، ص 50، 51.

(24) أميل دوركايم، قواعد المنهج في علم الاجتماع، ترجمة د. محمود قاسم، والسيد محمد البدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1961، ص 78، 79.

(25) نعمات محمد الدمرداش، مدخل البحث الاجتماعي، المعهد العالي للخدمة الاجتماعية، القاهرة، 1988، ص 8 ـ 15.

(26) أحمد محمود صبحي، في فلسفة التاريخ، الإسكندرية، ب.ن، ب.ت، ص 53 وكذلك محمود قاسم، مرجع سابق ذكره، ص 3.

(27) جمال زكي والسيد يس، مرجع سابق ذكره، ص 88، 94.

(28) HOMMANS, G.C., THE HUMAN GROUP في المرجع السابق ذكره، من ص 118 إلى ص 130.

الفصل الثامن

المنهج التاريخي في بحوث الإعلام

يشكل التاريخ المادة الخام التي يمكن للباحثين في مختلف العلوم تشكيلها وفقاً لطبيعة دراساتهم. . ولكن ينبغي أن يكون واضحاً أن الاستشهاد ببعض وقائع التاريخ، لا يعني استخدام قواعد المنهج التاريخي، المتمثلة في دراسة أحداث ووقائع معينة حدثت في الماضي، وذلك بقصد التوصل إلى نتائج معينة. ذلك أن بعض الباحثين يخلطون بين استشهادهم بالمعطيات والوقائع التاريخية وبين المنهج التاريخي. فاقتباس فقرة من أحد الكتب التاريخية أو عن حادثة وقعت في الماضي، ووضعها كما هي بغرض التدليل على فكرة أو قضية معينة، يختلف تماماً عن المنهج التاريخي والقواعد التي يقوم عليها، والأسس العلمية التي يستند إليها في نقد وتقييم مصادره.

ويرى ابن خلدون أن «التاريخ في ظاهره لا يزيد على إخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرون الأولى، وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق وجدير بأن يعد في علومها خليق»[1].

وتعتبر دراسة التاريخ مسألة في غاية الأهمية للأسباب التالية:

1 ـ تساهم دراسة التاريخ في الكشف عن واقع وحياة وسلوك وأساليب اعتمد عليها السابقون، الأمر الذي يتيح فهم الحياة الماضية للإنسان لاستكمال جوانب التاريخ، طالما أن الأشخاص والظروف والعوامل المختلفة لا يمكن حصرها ولا يمكن اجترارها من الماضي كما أنه لا يمكن تكرارها بنفس الكيفية من جديد.

2 ـ أن التاريخ يمثل أحد الأبعاد الثلاثة للزمن في مفهومه العضوي الماضي والحاضر والمستقبل. فحاضر اليوم هو ماضي الغد ومستقبل الأمس.. وهكذا تتحقق الوحدة العضوية للزمن ويصبح الماضي ضرورياً لفهم الحاضر وكلاهما ضروري لرسم معالم المستقبل[2].

وفي مجال الدراسات الإعلامية، تزداد أهمية دراسة التاريخ.. على الرغم من التراجع الواضح الذي شهدته الدراسات الإعلامية وفقاً لهذا المنهج.. وذلك بسبب الاهتمام المتزايد بالمناهج الأخرى. ومع ذلك فما زال للتاريخ دور مهم في مجال الدراسات الإعلامية.. إذ يندر أن يكون هناك بحث إعلامي في أي مجال من مجالات الإعلام إلا ويكون مستنداً إلى رؤية أو خلفية تاريخية.. سواء أكان ذلك في تتبع النشأة الأولى للظاهرة الإعلامية قيد البحث أو في استعراض ومراجعة الدراسات السابقة.. هذا من جهة..

ومن جهة أخرى، فإن البحث الإعلامي التاريخي، يزود الباحثين بالجذور التاريخية لنظريات الإعلام.. ونظريات الاتصال وتطورها.. والممارسات الإعلامية التي تطورت وانتشرت وتنوعت. كما أنه يوفر للباحثين في أنواع البحوث الأخرى، المادة العلمية اللازمة لهم لإدراك الصلة الوثيقة بين الإعلام وبيئاته السياسية والاجتماعية والاقتصادية بكل مكوناتها والعوامل المختلفة التي تؤثر فيها وتتأثر بها.. وبالتالي يمكن إلقاء الضوء على بعض الاتجاهات الحاضرة والمستقبلية كالمشكلات الإعلامية المعاصرة.. وديناميكية التطور الإعلامي وتقنياته.. وما إلى ذلك.

وبهذا الفهم للتاريخ ودراسته، فإن البحث الإعلامي يستلزم الرجوع إلى الماضي لتعقب الظاهرة التاريخية، والتنقيب في أحداثها، ودراسة وقائعها وتحليلها وتفسيرها على أسس منهجية علمية دقيقة.

وبطبيعة الحال، فإن الحديث عن البحوث التاريخية وأهميتها يقودنا إلى الحديث عن المنهج التاريخي.. «كمنهج وثائقي يستقرىء عن طريقه الباحث، الوثائق ويحللها ويستخلص منها المعلومات بعد إخضاعها لعملية

الاستدلال والاستنباط العقلي»[3]. وهو منهج له قواعده وخصائصه وخطواته التي تعتمد على الأسس المستخدمة في البحث العلمي بصفة عامة، وما يقتضيه ذلك من تحديد للمفاهيم. . وما يتصل بها من وصف وتحليل وتفسير وغير ذلك من الخطوات المنهجية المعروفة[4].

فالمنهج التاريخي إجرائياً، يعني طريقة الوصول إلى المبادىء المتصلة بأحداث التاريخ الماضية، وتحليل الحقائق المتعلقة بالمشكلات الإنسانية والقوى الاجتماعية التي شكلت الحاضر، ذلك لأننا كثيراً ما يصعب علينا فهم حاضر بعض الظواهر دون الرجوع إلى اضيها. . ومن ثَمّ فإننا غالباً ما نستعين بالمنهج التاريخي في الحصول على بعض أنواع المعرفة ذات الجذور التاريخية بقصد تحليل ودراسة بعض المشكلات الإنسانية الحاضرة، وباختصار فإن هذا المهج يُعنى باسترداد الحدث التاريخي من الماضي، وبعثه حياً من جديد.

وعلى الرغم من إيجابيات هذا المنهج والمتمثلة في: الكشف عن جوانب الطبيعة البشرية في الماضي، وكيف تطور المجتمع الإنساني، ومسارات تطوره دون الوقوف عند حدود الوصف التصويري، بل والكشف عن بعض العوامل التي أدت إلى الوقائع والأحداث. . إلا أن هناك من يرى[5] أن لهذا المنهج سلبياته والمتمثلة في أنه يقوم على فرضيات غير يقينية أي غير قابلة للتحقق بشكل عام، وبالتالي فإن هذا المنهج لا يستطيع أن يفسر لنا كيفية ربط الماضي المجهول بالحاضر المعروف إلا من خلال التأويل والتفسير الذاتي، الأمر الذي أدى إلى تعدد آراء المؤرخين حول الموضوع التاريخي الواحد، وبقاء المادة التاريخية في موضع تعديل مستمر طبقاً لوجهات النظر الجديدة، التي تفسر وقائع الماضي بعقلية العصر الذي يعيش فيه المؤرخ. . هذا بالإضافة إلى المحاولات المتكررة لتزييف التاريخ ووثائقه وما إلى ذلك. .

إلا أننا نرى فيما ذكر من سلبيات لهذا المنهج، بأنها مسائل لا تجرد

هذا المنهج من موضوعيته. فمن الثابت أنه مهما اختلف الطابع والمنطلق والاتجاه الذاتي للمؤرخين، فإنهم يتفقون في بعض القضايا الرئيسية. . هذا الاتفاق هو الذي يشكل «العنصر الموضوعي في التاريخ»[6]، الذي لم يكن من الممكن الوصول إليه دون الالتزام بقواعد المنهج التاريخي وبذلك تفوق إيجابيات هذا المنهج سلبياته.

كما أن دراسة الظواهر والموضوعات وفقاً لطبيعة هذا المنهج تقتضي الاهتمام بدراسة التطورات المختلفة للموضوع أو الظاهرة التاريخية في علاقتها باتجاهات الحياة التي كانت سائدة في وقت ما. . ذلك أنه من الخطأ دراسة ظاهرة تاريخية وهي في حالة ثبات دون أن يدخل الباحث في اعتباره التطورات المختلفة عبر التاريخ، لأن الباحث لو فعل هذا، فإن دراسته تعتبر غير كافية، وتفتقر إلى الدقة والموضوعية، لأنه حاول عزل الظاهرة عن الاتجاهات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي شادت في تلك الفترة. . وهذا أمر يرفع من قدر هذا المنهج وإيجابياته.

وبعبارة أخرى. . إن دراسة الظاهرة وفقاً للمنهج التاريخي يستوجب عدم عزلها عن سياقها التاريخي، وعن مجموعة الظواهر الأخرى التي وجدت في عصرها. وإن حاول الباحث تجزئة الظاهرة على هذا النحو فسوف يصعب عليه العثور على الاتجاه العام الذي يحكم الظاهرة، أو الذي كان سبباً في وجودها على النحو الذي وجدت عليه. ولذلك فإن البحث قد يضطر إلى الاعتماد على عنصر التركيب بين الظاهرة والظواهر الأخرى حتى يقترب بالظاهرة قيد البحث إلى موضعها وسياقها التاريخي. وعليه أن يؤلف بين عشرات بل ومئات التفاصيل حتى يستطيع تفسير الظاهرة التاريخية في ضوء تسلسل الأحداث الماضية.

فعلى سبيل المثال، عند استخدام المنهج التاريخي في دراسة ظاهرة تاريخ الصحافة في بلد ما، فإن دراسة هذه الظاهرة بمعزل عن التوجهات والظروف السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية السائدة في تلك الفترة،

هي محاولة فاشلة يعتريها كثير من النقص، لأن الباحث أجرى الدراسة على الظاهرة وهي في حالة ثبات، وذلك عندما عزل الظاهرة عن التوجهات والأوضاع والظروف التي نشأت في ظلها، والمتغيرات التي صاحبتها وأثرت عليها سلباً أو إيجاباً.

إن الاهتمام بمواقف الصحف، واتجاهاتها في الأحداث والوقائع التاريخية البارزة في المجتمع يعطي دلالة واضحة على طبيعة هذه الأحداث من واقع الأداء الصحفي، وليس من وقاع تفسيرات المجتهدين، ولهذا فإن التفسير لمثل هذه الظواهر في معناها العلمي يتطلب إلقاء الضوء على:

1 ـ النظم السياسية السائدة في فترة الدراسة باعتبارها أحد العوامل المؤثرة في الظاهرة، ولأنها تعطي صورة حقيقية للأوضاع السياسية في فترة زمنية معينة.

2 ـ الاتجاهات الفكرية والتيارات الثقافية والاجتماعية والأخلاقية في المجتمع خلال الفترة الزمنية للدراسة.

3 ـ حركة المجتمع بصفة عامة وإدراك.. حالات التطور والتخلف والركود من خلال تقديم بيانات عن المستوى العام للمجتمع كالتعليم، والدخل القومي، والمناشط الأخرى.

4 ـ حالات الصراع السياسي والديني والاجتماعي والعسكري.. الخ ودوافعه وأثر ذلك على الظاهرة موضوع البحث.

ولما كان التفسير هو حجر الزاوية في المنهج التاريخي فعن طريقه يمكن للباحث أن يدرك الظاهرة في اتجاهاتها المختلفة بما يعينه على تقديم وصف متكامل لها.. ولكن المشكلة التي تكمن في التفسير النقدي للتاريخ هي: كيف يمكن أن يكون المؤرخ موضوعياً وعادلاً في التحليل والمقارنة عند الكشف عن أبعاد الظاهرة التاريخية؟ أم أنه كبشر معرض للوقوع في براثن الأهواء والمقاصد والتحيز والانتماء وغيرها من المشاكل التي ترتبط بالتفسير النقدي والاستنتاج وخاصة عند تفسير المسائل الغامضة في التاريخ؟.

إن الإجابة على هذا السؤال تعتمد في واقع الأمر على مدى أصالة البحث التاريخي وموضوعية الباحث وعلى مدى دقة المجهود العلمي الذي بذل في الدراسة من حيث:

1 ــ الحصول على المعلومات التاريخية الأصيلة، وهذا يتطلب من الباحث الاعتماد على المصادر الأولية الأصيلة للمعلومات.

2 ــ التمييز بين الوثائق الأصلية والمنسوخة والمزورة.

3 ــ الابتعاد عن تحميل المعلومات التي ترد في الوثائق والسجلات معاني وتأويلات غير مطلوبة أو قد تفقد هذه الوثائق أهميتها.

4 ــ تحليل الأحداث ومعرفة خلفياتها الظاهرة والمستترة من خلال ربطها بالعوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والجغرافية الأخرى المصاحبة لهذه الأحداث.

5 ــ القدرة على فصل المعلومات الواقعية عن الانطباعات الشخصية وخاصة عند الاستماع إلى الروايات السماعية من شهود العيان.

هذا إن كان الباحث راغباً في الموضوعية العلمية.

قواعد المنهج التاريخي:

كما سبق التوضيح في الفصل السابق، فإن المنهج التاريخي يقوم مستنداً إلى القواعد التالية:

1 ــ قاعدة التجريد.

2 ــ قاعدة التحليل.

3 ــ قاعدة التركيب.

4 ــ قاعدة إصدار الأحكام.

وقد قدمنا شرحاً لهذه القواعد الأربعة في الفصل السابق.

خصائص المنهج التاريخي:

1 ــ «الاستدلال بما هو معروف عما هو مجهول(*). إن هذه الخاصية هي التي تكشف عن الجوانب الغامضة في التاريخ خاصةً عند تعذر الحصول على وثائق صادقة. وقد اعتمد كولانج على هذه النقطة بقوله: «يمكن استقراء حالة أو حالات مشابهة كمعيار يستند إليه لتفسير ما هو مجهول»[7].

2 ــ دراسة العصر الذي بدأت فيه الظاهرة كنقطة البداية في دراسة الموضوع التاريخي. وهذا يعني تتبع الجذور الأولى، وتصعيد البحث إلى أقصى ما تمكنه المعلومات التاريخية[8].. بالاعتماد على الوثائق والمستندات والسجلات التاريخية وغيرها من مصادر الدراسات التاريخية.

3 ــ إن بحث ودراسة المادة التاريخية موضوع البحث، لا يعني الوقوف عند تسلسلها التاريخي، وإنما تفسير أحداث التاريخ ومادته، تفسيراً دقيقاً وعميقاً في نفس الوقت للوقوف على العوامل التي أثرت عليها سلباً وإيجاباً بما يقدم تعليلاً علمياً للظاهرة.

4 ــ التحرر التام من كل ما يمكن أن يضع الباحث في موقف التحيز. ذلك أن فساد التاريخ يرجع في كثير من حالاته إلى أهواء المؤرخين وميولهم. لذا فإن الاستناد إلى ما هو موثوق به من تفاصيل يعد أمراً مطلوباً.. بمعنى أن تكون المعلومات المستخدمة في البحث محلاً للثقة، وكذلك الأمر بالنسبة لمصادرها، وخوف كل ما يشك الباحث في أن له طابعاً ذاتياً نتيجة لتفسيرات المؤرخين.. وبنفس المستوى «إيراد وجهات النظر المعارضة لوجهة نظره»[9].

5 ــ استخدام أسلوب واحد في تحليل مواقف وأحداث وشواهد المادة التاريخية.

(*) أساس المنهج التاريخي عند الفيلسوف الأيطالي جوفياني باتيستافيكو.

خطوات المنهج التاريخي:

1 ـ يبدأ البحث التاريخي بفكرة مبدئية غير دقيقة عما يتضمنه موضوع معين، ولا يستطيع الباحث أن يحدد أبعاد الموضوع إلا بعد تجميع المواد العلمية والمراجع المتصلة به، وإجراء عمليات المسح الأولية لمعرفة الرصيد السابق من البحوث والدراسات التي تناولت الموضوع.

2 ـ تحديد مشكلة البحث تحديداً دقيقاً. ففي هذا المنهج من المهم أن نحدد بعناية مشكلة البحث، وأن تقدر تقديراً جيداً تناسبها مع هذا المنهج. ذلك لأن كثيراً من المشكلات البحثية لا يصلح المنهج التاريخي لدراستها. ولا شك أن معايير اختيار مشكلات البحوث ومصادرها تساعد الباحث المبتدىء على تحديد المشكلة. وفي هذا الجانب يجب مراعاة:

أ ـ أهمية الموضوع والهدف من دراسته.

ب ـ جدة الموضوع وحداثته.

جـ ـ قدرة الباحث على استخدام المنهج التاريخي ومدى توفر الوقت لديه.

د ـ مدى توفر البيانات والمصادر التاريخية.

هـ ـ التكاليف المادية التي يحتاج إليها الباحث عند تنفيذ البحث.

إن تحديد مشكلة البحث بدقة، وصياغتها بشكل جيد يمكن من تحليلها بفاعلية. ويرى بست BEST: أن المؤرخ المجرب يعلم أن البحث يجب أن يكون تحليلاً متعمقاً لمشكلة محدودة، لا اختياراً سطحياً لمجال واسع.

ويشير هيل HILL، وكيربر KERBER أن عملية اختيار مشكلة مرتبطة بالبحث التاريخي وصياغتها كثيراً ما تتأثر بشخصية الباحث إلى حد كبير، أكثر مما يحدث في مناهج البحث الأخرى، ويؤكد أن

العوامل الشخصية للباحث تتحكم إلى حد كبير في اختياره للمشكلة[10].

بينما ترى سهيربدير أن اختيار موضوع معين للبحث التاريخي يجب أن يكون ممتداً عبر التاريخ أي له صفة الاستمرار بحيث يمكن تعقبه، وتتبع مراحل التطور التي مرت به والآثار المترتبة عليه[11].

3 ـ وضع الفروض أن التساؤلات التي يسعى البحث إلى التحقق منها أو الإجابة عليها. . على أن يضع الباحث في اعتباره أن هذه الخطوة هي التي تمد الباحث بالبيانات اللازمة للبحث. . ويتوقف قبول الباحث لفروضه أو تساؤلاته أو رفضهما على البيانات والمعلومات التي يستفتيها من الكتب والمراجع والمخلفات والآثار، وعلى تفسيره لها.

4 ـ تحديد المفاهيم الأساسية للبحث وقضاياه والإطار النظري CONCEPTUAL FRAME WORK الذي سيوجه الدراسة وتوضيح المقصود منها.

5 ـ تحديد وحدة التحليل التاريخي، فقد تكون هذه الوحدة زمانية أو مكانية. . أو نظاماً إعلامياً معيناً أو نظرية إعلامية معينة. . أو صحفاً. . أو. . الخ.

6 ـ تحديد مصادر المعلومات والبيانات وأدوات جمعها لاستنباط الحقائق التاريخية. وعلى الباحث أن يبذل كل محاولة في سبيل التأكد من صدق المصدر ومدى دقته.

7 ـ جمع البيانات المتصلة بموضوع أو مشكلة البحث من مصادرها الأولية. وعلى الباحث أن يدرك أن هذه الخطوة ليست بالمهمة السهلة، لأن الباحث في كثير من الأحيان، لم يعش الزمن أو العصر الذي يدرسه.

8 ـ ترتيب البيانات والمعلومات والحقائق التاريخية على أساس تطور

الأحداث مع مراعاة العلاقات القائمة بين أحداث التاريخ التي تتضمنها الظاهرة التاريخية موضوع البحث وغيرها من المتغيرات التي صاحبتها سواء أكان تأثيرها مباشراً أو غير مباشر، مع تجنب الاعتماد على كل ما يقوم على التفسير والتحليل والاجتهاد الشخصي من قبل الآخرين.

9 ــ تحليل ونقد البيانات والمعلومات، وهي الخطوة التي تعرف بمرحلة نقد المادة التاريخية. ويقوم الباحث بهذه الخطوة بغرض التحقق منها ومعرفة حقيقتها، وكذلك التحقق من مصادرها، وتنقيتها من الآراء التي أُلحقت بها. وهنا يجب على الباحث أن يكون موضوعياً ودقيقاً إذا كان راغباً في الوصول إلى نتائج تاريخية يمكن الاعتماد عليها. وتتمخض جهود الباحث في هذه المرحلة عن تحديد الحقائق الأساسية المتصلة بموضوع البحث عن طريق النقد الداخلي والنقد الخارجي[21].

10 ــ العرض والتركيب والتفسير للحقائق الأساسية للخروج بالشواهد التي تدلل على أصالة البحث، والكشف عن الاتجاهات العامة للظاهرة موضوع البحث، ومعرفة العوامل والظروف التي خضعت لها في تطورها وتغيرها وانتقالها من حال إلى حال.

11 ــ تحديد النتائج التي توصل إليها الباحث، ودلالتها في الإجابة على التساؤلات التي تطرحها الدراسة، ومقارنتها مع الأفكار المستخلصة من مصادر أخرى.. وذلك بتقديم «تفسيرات مقبولة لهذه الحقائق بالصورة التي تضعها في الإطار الصحيح للسياق التاريخي»[33].

12 ــ كشف أي وثائق أو مصادر أو معلومات أو تحليلات أو اجتهادات ثبت بالدراسة العلمية أنها موضع شك.

مصادر الدراسات التاريخية:

لما كان الباحث لا يستطيع أن يلاحظ الأحداث الماضية بنفسه، فهو يحاول حصر المصادر التي تفيده في الحصول على بيانات عن موضوع بحثه.

وتتفاوت هذه المصادر من حيث كونها مصادر أولية وثانوية وميدانية وذلك على النحو التالي:

1 ـ المصـادر الأوليـة:

وهي المصادر التي تمد الباحث ببيانات ومعلومات أصيلة عن موضوع البحث، ومنها يستقى الباحث معلومات مباشرة سواء أكان ذلك عن طريق الملاحظة أو الإطلاع أو المقابلة أو غيرها من طرق جمع البيانات والمعلومات. ومن أنواعها:

أ ـ الآثار: وهي بقايا الحضارات أو ما يدل على أحداث معينة قامت أو وقعت في الماضي مثل آثار المعابد والكتب القديمة والمخطوطات.

ب ـ الوثائق: وهي التي تعد بقصد أن تنقل لنا بيانات ومعلومات يمكن استخدامها في المستقبل. وهي أوراق تكشف عن أحداث وقعت في الماضي أو معاملات سادت في فترة زمنية معينة أو مذكرات مبنية على مشاهدات في فترات زمنية سابقة.

جـ ـ السجلات الشفهية: كالأساطير والأمثال والحكايات الشعبية.

د ـ السجلات المكتوبة: كالخطب والرسائل المكتبية والدساتير والقوانين واللوائح والمعاهدات.

هـ ـ السجلات المصورة: مثل الصور والأفلام وطوابع البريد والنقود والنحت.

و ـ السجلات الصوتية: مثل الأسطوانات وأشرطة التسجيل المرئي والمسموع.

2 ـ المصـادر الثانويـة:

ونعني بها ما نقل أو كتب أو أُخذ باشتقاق عن المصادر الأولية. وقد أطلق على هذا النوع من المصادر لفظ «ثانوي» لأن كاتبها قد أعدها بعيداً عن الملاحظة المباشرة أو الرواية الأصلية. وغالباً ما تكتب عن شخص حضر

الواقعة نفسها. وفي البحوث عموماً تفضل المصادر الأولية عن المصادر الثانوية حيث إن احتمال الخطأ في المصدر الثانوي أكبر وأوضح من المصدر الأصلي أو الأولى، وذلك بسبب انتقال البيانات من شخص إلى آخر. . إلا أن ذلك لا يقلل من أهمية المصادر الثانوية، لأنه قد تذود الباحث بمعلومات عن الظروف التي أحاطت بالمصدر أو الآراء التي قيلت حوله. وأحياناً تكون البيانات المنشورة في المصادر الأولية معروضة بصورة بدائية بينما تكون مبوبة ومنشورة بصورة أكثر فائدة للباحثين في المصادر الثانوية.

3 ـ المصادر الميدانية:

ومنها يستقى الباحث المعلومات الموجودة لدى بعض الأفراد أو الهيئات. . ومن أنواعها: المشاهدات غير المدونة عند أشخاص ممن شهدوا أحداث الماضي أو عاشوها. . وعلى وعي صحيح بها، حيث يقوم الباحث عن طريق المشاهدة المباشرة أو بالاطلاع على كتب الرحالة أو المذكرات الشخصية وما إلى ذلك.

وتعتبر المصادر التاريخية الميدانية من أهم أنواع المصادر بالنسبة للدراسات التاريخية في مجال الصحافة والإعلام. . ومن أهم أنواع المصادر الميدانية:

أ ـ الصحف: ويمكن عن طريقها تقديم صورة عن الظروف العامة التي عاشها مجتمع ما في فترة معينة. فالصحف وما تتضمنه من وقائع وآراء وتفسيرات قد تتفق وقد تختلف، إلا أنه يمكن من خلالها التعرف على طبيعة الواقعة التاريخية، والحقائق المتصلة بها وتطوراتها. . ولكن ينبغي الحذر عند التعامل مع هذا النوع من المصادر وذلك من حيث:

ـ تعدد الصيغ التي تكتب بها الواقعة الواحدة.

ـ الدوافع والاتجاهات التي تحرك سياسة الصحف وأفكار الكاتب أو الصحفي.

ـ الحرص على فصل الحدث كواقعة مجردة عن التعليقات والانطباعات التي تحاول الصحيفة أو الكاتب وضع الحدث في إطارها. . وخاصة في الوقت الحاضر الذي زالت فيه الحدود الفاصلة بين الحدث والرأي والتفسير.

وترى نوال محمد عمر أن هذه المحاذير «لا تمنع من أي توثيق المادة الصحيفة يساعد على إعطاء صورة حية قد لا نجدها في أي كتاب عالج قضايا المرحلة التي ندرسها. . إذ أن المادة الصحفية تنقل الباحث إلى نفس الجو التاريخي والاجتماعي والسياسي، وتنظر إلى الظاهرة محل البحث من خلال العصر الذي نشأت فيه وتأثرت به وأثرت فيه. ولا خوف هنا من تباين الآراء وأسلوب سرد الأحداث في الصحف. فمن طبيعة الصحف أن تختلف في عرض موادها وفي تفسيرها»[14]. . إلا أن هذا الأمر يمكن وضع حدود له عن طريق دراسة الظروف العامة للظاهرة في سياقها التاريخي والتعرف على سياسة كل صحيفة وخلفية محرريها. . مع القدرة على عزل الحدث عن محاولات التضمين أو التوظيف المقصود.

ب ـ روايات شهود العيان للأحداث التاريخية، وعلى الباحث أن يقوم بإجراء تسجيلات صوتية مع هذا النوع من المصادر أو الحصول على تقارير مكتوبة عما يذكرونه من أحداث أو مشاهدات حيث يقوم الباحث بإجراء المقارنات بين الروايات المختلفة حيث يصل إلى أقرب المعلومات إلى الحقيقة.

جـ ـ المذكرات والمراسلات والسير والتراجم الخاصة التي يكتبها أصحابها والتي يسجلون فيها حقائق دون القصد من نشرها. إن أهمية هذا النوع من المصادر أنها قد تحوي بعض الوقائع بصورة أكثر صراحةً وأدق تفسيراً. . ولكن ينبغي على الباحث أن يتحرى الدقة قبل النشر. . وألا ينحرف لبعض المبالغات أو تضخيم الذات أو تبرئة الذمم التي يلجأ إليها البعض.

د ـ الدراسات والبحوث والمؤلفات التاريخية السابقة التي تزود الباحث ببعض التفسيرات ذات الأهمية. وقد يستند إليها الباحث في استنباط بعض الأفكار التي تعينه على تقديم تفسيرات جديدة أو الاستفادة من منهجيتها أو أسلوب كاتبها في التحليل والتفسير وسرد الأحداث.

هـ ـ الكتابات الأدبية والثقافية والاجتماعية والدينية وغيرها من أنواع الكتابات التي تعكس طبيعة العصر. وعلى الرغم من أن هناك بعض المهتمين بمناهج البحث يرون أن مثل هذه الكتابات تعبر عن آراء ذاتية، إلا أننا نرى أن كاتبيها لا يكتبون من فراغ.. فهم يعكسون بصورة أو أخرى قضايا عصرهم..

وعلى كل.. فإن التعامل مع أنواع المصادر المختلفة، يعتمد على قدرة الباحث على تفسير الأحداث التاريخية ومحاولة الخروج بصورة منطقية للواقعة أو الحدث.. فالتاريخ علم التماثلات المعقدة لوقائع الماضي.. حيث تقوم مجموعة من القضايا بتكميل مجموعة أخرى.. وحيث تغطي مجموعة من الوقائع على مجموعة أخرى.. والباحث المقتدر هو الذي يتكمن من عمليات الربط والتحليل والتفسير والاستنباط.

الأسس العلمية لنقد وتقييم المصادر:

تعتبر عملية نقد وتقييم المصادر، مرحلة أساسية من مراحل تنفيذ الدراسة التاريخية.. والغرض منها هو التأكد من صدق المصدر، وصحة المادة التي تتضمنها.. وهي عملية تعتمد على نوعين من النقد هما:

أ ـ النقد الخارجي: ويهتم بالتحقق من صدق الوثيقة، وصحة شخصية كاتبها وزمن الوثيقة، ومكانها، والرجوع إلى الأصل الذي كتبه صاحب الوثيقة. فالنقد الخارجي في واقع الأمر هو التحقق من صدق الوثيقة من حيث الشكل لا من حيث الموضوع.

ب ـ النقد الداخلي: وينصب على التحقق من مادة الوثيقة أي (النص)

ويستخدم في دراسة الوثيقة من حيث موضوعها، وما ترمي إليه مادتها ومدى دقة وقيمة البيانات التي تحتويها»[15].

أ ـ الأسس العلمية للنقد الخارجي:

1 ـ التحقق من صحة الوثيقة: بمعنى التعرف على صحة الوثيقة بالتفرقة بين ما هو صحيح وما هو مزيف منها. فكثيراً ما يدخل في الوثائق الحشو والإضافات بقصد الإكمال أو يقصد التزييف أو التحريف. وللتأكد من هذه العملية، على أن يدرك أن الوثائق توحد في حالات ثلاث:

الأولى: أن تكون الوثيقة بخط يد المؤلف نفسه وهي في هذه الحالة لا تحتاج إلى تحقيق. . إلا من زاوية التأكد من أن الخط الذي كتبت به الوثيقة هو خط كاتبها.

الثانية: أن تكون الوثيقة مخطوطة عن الأصل أي بيد ناسخ. . وهنا يجب التحقق من الوثيقة بمراجعتها مع الأصل.

الثالثة: وهي أن تكون هناك أكثر من وثيقة، وهنا ينبغي أن يدرس الباحث هذه الثائق ليتبين ما يرجع منها إلى أصل واحد عن طريق تبين مواضع معينة من الوثائق التي تنتمي إلى أصل واحد.

وينبغي ألا نعتبر قدم الوثيقة دليلاً على صحتها، فقد تكون الوثيقة حديثة في شكلها ولكنها مأخوذة عن الأصل، بينما تكون النسخ الأقدم قد أُخذت عن نسخة فرعية.

2 ـ التحقق من شخصية صاحب الوثيقة:

وهي مسألة مهمة: إذ أن كثيراً من الوثائق والكتب تذكر لنا أن صاحب وثيقة معينة هو شخص معين. ويرى المؤرخون أن المؤرخ الناضج ينبغي ألا يثق في مثل هذه الأقوال. فكثيراً من الوثائق قد زُيف لعدة اعتبارات من بينها على سبيل المثال، أن تكون الوثيقة قليلة القيمة فتنسب إلى إنسان مشهور

لكي ترتفع قيمتها، أو أن الوثيقة عظيمة القيمة فتنسب إلى إنسان مغمور من أجل تمجيد اسمه، ولذلك يجب على الباحث أن يكون دقيقاً ويفترض دائماً أن كل الوثائق مزيفة حتى تثبت صحتها.

3 ــ التحقق من مكان الوثيقة وزمانها:

وهنا يعتمد الباحث على عدة عوامل كاللغة والخط ونوع الورق.. إذ أن هذه العوامل تميز عصراً عن عصر آخر.. وبالتالي يمكن عن طريقها تحديد العصر الذي كتبت فيه الوثيقة.

ويرى فان دالين أن على الباحث أن يثير الكثير من التساؤلات للوثيقة التي بين يديه مثل هل تطابق لغة الوثيقة وأسلوبها وهجاؤها وخطها أعمال المؤلف الأخرى والفترة التي كتبت فيها؟ وهل يظهر المؤلف جهلاً بأشياء كان ينبغي أن يعرفها رجل تلقى مثل تعليمه وعاش في مثل عصره؟.. وهل يكتب المؤلف عن أحداث أو ظواهر أو أماكن لم يكن ليستطيع أن يعرفها شخص عاش في ذلك العصر؟ هل غيَّر أي شخص في المخطوط عن طريق النسخ بغير دقة أو الإضافة إليه أو حذف فقرات منه؟.. وإذا كان المخطوط غير مؤرخ أو المؤلف مجهولاً، فهل توجد في الوثيقة دلائل داخلية تكشف عن أصولها؟ إن الإجابة على هذه الأسئلة ـ كما يقول فان دالين ـ تحتاج إلى ثروة ضخمة من المعرفة التاريخية والعامة، وقد تحتاج كذلك إلى حس تاريخي[16].

ب ــ الأسس العلمية للنقد الداخلي:

وهي مرحلة تبدأ من انتهاء الباحث من مرحلة النقد الخارجي، وفيها ـ كما أوضحنا ـ يهتم الباحث بالتحقق من المادة الموجودة في الوثيقة ومعناها وينقسم النقد الداخلي إلى قسمين:

1 ــ النقد الداخلي الإيجابي:

ويستخدم في التعرف على المعنى الحقيقي لنص الوثيقة، كما يقصده المؤلف. وهي عملية تستهدف تفسير المعنى الذي ترمي إليه ألفاظ وعبارات الوثيقة وهي عملية معقدة، فكثيراً من الكلمات في الوثائق القديمة لا تعني

اليوم نفس المعنى الذي كانت تعنيه بالأمس. فما يقصده الناس بمصطلحات معينة في زمن معين قد يكون له معاني ودلائل أخرى تختلف عن استخدام الناس لها في زمن آخر، أو حتى في الزمن المعاصر، على اعتبار أن اللغة تتطور والمفردات تكتسب معاني جديدة من عصر إلى عصر ومن كاتب إلى آخر. وهذا يتطلب:

- معرفة لغة العصر الذي كتبت فيه الوثيقة.
- معرفة اللغة الخاصة بالمؤلف.

حتى نستطيع أن نفهم المعاني الموجودة بالوثيقة على الوجه الأكمل وتفسير معنى الوثيقة، قد يتطلب في بعض الأحيان المعرفة الدقيقة بالتاريخ والعادات واللغات بأساليبها القديمة والحديثة..

2 ـ النقد الداخلي السلبي:

وهو أسلوب يُمكن الباحث من معرفة مدى الصدق والكذب، أو التحريف في روايات مؤلف الوثيقة. هل كتب المؤلف الوقائع عن طريق الملاحظة المباشرة أم عن طريق الاستماع إلى الروايات؟ وما هي الأساليب التي استخدمها في جمع المعلومات التي تضمنتها الوثيقة؟ وهل كتبها في ظل ظروف معينة.. جعلته لا يذكر الحقائق كاملةً.

ويرى فان دالين في النقد الداخلي ضرورة لا غنى عنها للتحقق من معنى وصدق المادة الموجودة في الوثيقة. ولكي يصل المؤرخ إلى ذلك، نجده يبحث عن الإجابات التالية:

ما الذي يعنيه المؤلف بكل كلمة وكل عبارة؟ وهل العبارات التي كتبها المؤلف يمكن الوثوق بها؟.. وإلى مدى يمكن الاعتماد على العبارات للتحقق من صدق المقدمات الفكرية التي بنى عليها الكاتب أحكامه؛ وهل يعتبر الثُقات في هذا الميدان أن المؤلف كان ملاحظاً كفؤاً ورواية يوثق به؟ وهل يسرت له إمكاناته ومكاتبه ملاحظة الأحوال الذي ذكرها؟ هل أدى التوتر الذي ساد الفترة التاريخية التي عاشها المؤلف أو ظروفه الصحية إلى

ارتكاب أخطاء في الملاحظة أو الكتابة؟ وهل كتب الوثيقة وقت الملاحظة أو بعدها بأسابيع أو سنين؟ وهل كتب معتمدا على مذكرات دقيقة أم من الذاكرة؟ هل يوجد ما يؤثر في موضوعية كتابته مثل التعصب ضد أمه أو ديانة أو جنس؟ وهل ساعده احد ماليا في بحثه على أمل الحصول على نتائج معينة؟ وهل كتب في ظل ظروف معينة دفعته إلى إهمال بعض الوقائع أو تزييف أخرى وهل دفعته إلى الكتابة ضغينة أو غرور أو رغبة في تبرير أعماله؟ هل يناقض المؤلف نفسه في ثنايا الوثيقة أو مع مؤلفات أخرى له؟ هل توجد روايات أخرى تتفق مع رواية المؤلف أو تختلف معه[17].

وفي تقديرنا، أن الأسئلة التي أثارها فان دالين يمكن أن تتفرع عنها أسئلة فرعية كثيرة. وليس بالضرورة أن تصلح كل هذه الأسئلة دفعة واحدة في تقييم الوثيقة.. فقد يصلح بعض هذه الأسئلة وقد لا يصلح البعض الآخر منها في وثيقة أخرى. فالمسألة رهينة بطبيعة الوثيقة وتاريخها والظروف التي أنتجت في ظلها.. وفي كل الأحوال فإن على الباحث ألا يقلل من قيمة أي مصدر وألا يعطي مصدراً أكثر مما يستحق من الأهمية.. كما أن اعتماد المصادر على بعضها البعض بالنقل لا يعني صحة المصدر الذي هو بين يديّ الباحث.. لأن اعتماد المصادر اللاحقة على مصدر واحد سابق، يثبت الأخطاء المتماثلة ما لم يكن المصدر الأسبق صحيحاً. كما أنه يمكن قبول الوقائع والأحداث وغيرها من شواهد التاريخ التي يتفق عليها أكبر عدد من الشهود المعاصرين أو الرواة الذين يرون الحقيقة نفسها نموذج لاستخدام المنهج التاريخي في مجال الصحافة.

النموذج المطروح كتطبيق لاستخدام المنهج التاريخي في هذا المجال، لا يعني أن دراسة ما، يمكن أن تستوعب كل هذه المسائل أو النقاط التالية.. إذ يمكن أن تشمل الدراسة جانباً منها أو أكثر، وليس بالضرورة كلها:

1 ــ تعتبر مجموعات الصحف القديمة، والإحصائيات ووثائق التاريخ وأحداثه مصادر أولية للفترة الزمنية التي تغطيها الدراسة بينما تعتبر

الدراسات التي قامت على هذه المصادر الأولية، مصادر ثانوية.

2 ـ تتبع أصول الحركة الصحفية كظاهرة من ظواهر مجتمع ما، والاعتماد على الملاحظة العلمية التأملية للماضي.

3 ـ الالتزام بالاتجاه العلمي في البحث، ونبذ الافتراضات والتصورات السابقة، وعدم قبولها إلا إذا لازمها منطق علمي.

4 ـ عدم الاعتماد على مواد صحفية أو تاريخية مشكوك في صحتها وقيمتها التاريخية.

5 ـ ملاحظة مواقف الصحف وتوجهاتها بالنسبة لأحداث تاريخية معينة، وقدرتها على عكس أنماط واتجاهات الحياة السائدة (سياسية، اقتصادية، اجتماعية، ثقافية) في فترة الدراسة.

6 ـ العرض التاريخي لشخصيات صحفية أو مساهمات صحفية لعبت دوراً بارزاً في الظاهرة موضع البحث.

7 ـ تمحيص وتدقيق وتصنيف الحقائق المستقاة من المصادر من حيث:

أ - مدى تجاوب الصحافة مع قضايا المرحلة التي تغطيها الدراسة، وهل ما تتناوله من موضوعات يعطي تعبيراً صادقاً عن طبيعة المرحلة التي صدرت فيها؟

ب - تكرار ظهور اتجاهات وأنماط صحفية معينة؟ ولماذا؟ وما هي أسباب ودوافع هذا الأمر؟

جـ - مواقف الصحف من بعض القضايا الوطنية والقومية والدولية البارزة في فترة الدراسة للتعرف على درجات اهتمامها بهذه القضايا.

د - خصائص الصحافة موضع الدراسة. . هل كانت صحافة واقعية أم أنها كانت تختلف الأكاذيب؟ هل كانت صحافة ملتصقة ومعبرة عن الرأي العام وتوجهاته؟ أم أنها كانت تهتم بالقضايا

الهامشية التي تغرق الشعوب في أوهام وخرافات وأماني تبعدهم عن القضايا الأساسية؟.

8 ــ تقييم الأداء الصحفي، والصحف نفسها شكلاً وجوهراً وذلك من خلال:

أ - رصد النشأة وتتبع تطور الظاهرة.

ب - رصد الوقائع والأحداث من تتبع مجموعات الصحف القديمة، باعتبارها سجلاً أو مصدراً للتاريخ.

جـ- ما هي الموضوعات الأكثر تناولاً على صفحاتها؟ ودواعي ذلك وتحليلها للتأكد من حقيقة المعاني التي عالجتها الصحف ودلالة ذلك في إطار الأحداث والظروف المختلفة للمجتمع في فترة الدراسة.

د - اللغة المستخدمة في الكتابة، وتبيان التطور في التراكيب اللغوية.

هـ- مستوى الورق والطباعة والصور والإخراج ونوع الخدمات والإعلانات التي تقدمها للقراء والمجتمع.

و - نظام إدارتها وأسعارها والمصاعب المادية والفنية التي واجهتها.

ز - دورية صدورها وانتظامه ورؤساء التحرير الذين تعاقبوا على إدارتها.

ح - اتجاهات التحرير وسياساته.

ط - الفنون الصحفية المستخدمة وأشكال التحرير والخبر والتعليق والمقال.. الخ.

9 ــ القوانين والقرارات واللوائح المنظمة لحركة الصحافة في فترة الدراسة وأثر ذلك على:

أ - أسلوب الكتابة وتناول الموضوعات.

ب - المحاكمات الصحفية والجزاءات التي توقع على الصحف والصحفيين.

جـ- أساليب الممارسات الصحفية في الإدارة والتحرير والإخراج.

د - الرقابة وموقفها من الصحافة وأساليب التحايل عليها.

مراجـع الفصـل

(1) ابن خلدون في محمود قاسم، المنطق الحديث ومناهج البحث، ط 5، دار المعارف، القاهرة، 1967، ص 455.

(2) محمد لبيب النجحي، محمد منير مرسي، البحث التربوي: أصوله ومناهجه، عالم الكتب، القاهرة، 1983، ص 82.

(3) معن خليل عمر، الموضوعية والتحليل في البحث الاجتماعي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1983، ص 46.

(4) غريب محمد سيد أحمد، تصميم وتنفيذ البحث الاجتماعي، سلسلة علم الاجتماع وقضايا الإنسان، الكتاب الثامن، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1980، ص 116.

(5) انظر المرجعين السابقين ص 47، ص 102. وكذلك نعمات الدمرداش، مدخل البحث الاجتماعي، عادل للطباعة، القاهرة، 1988، ص 7.

(6) محمود قاسم، مرجع سابق ذكره، ص 460.

(7) محمد طلعت عيسى، البحث الاجتماعي: مبادئه ومناهجه، ط 3، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة، 1963، ص 201، ص 202.

(8) المرجع السابق، ص 203.

(9) حلمي محمد قودة وعبد الرحمن صالح عبد الله، المرشد في كتابة الأبحاث، ط 4، دار الشروق، جدة، 1983، ص 19.

(10) لويس كوهين، لورانس مانيون، مناهج البحث في العلوم الاجتماعية والتربوية، ترجمة كوثر حسين، وليم عبيد، ط 1، الدار العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1990، ص 76.

(11) سهير بدير، البحث العلمي: تعريفه، خطواته.. مناهجه.. أدواته.. المفاهيم الإحصائية.. كتابة التقرير، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢، ص 71.

(12) محمد لبيب، ومنير مرسي، مرجع سابق ذكره، ص 185.

(13) محمد عبد السميع عثمان، مقدمة في مناهج البحث والدراسات المكتبية، مكتبة جامعة عين شمس، القاهرة، 1985، ص 103.

(14) ــــــــ، مناهج البحث الاجتماعية والإعلامية، الأنجلو المصرية، القاهرة، 1986، ص 100.

(15) محمود قاسم، مرجع سابق ذكره، ص 503.. وكذلك انظر: فان دالين، مناهج البحث في التربية وعلم النفس، ترجمة محمد نبيل وآخرين، ط 3، الأنجلو المصرية، القاهرة، 1985، ص 260 إلى ص 275.

(16) المرجع السابق، ص 265.

(17) المرجع السابق، ص 267، 268.

الفصل التاسع

المنهج الوصفي في بحوث الإعلام

تتطلب مقتضيات الدراسة في هذا الفصل، معالجة البحوث الوصفية من حيث ماهيتها، وأهدافها، ومجالاتها، قبل تناول المنهج الوصفي واستخداماته المختلفة في بحوث الإعلام، وذلك للارتباط الوثيق بين البحوث والدراسات الوصفية من جهة، واستخدام المنهج الوصفي في دراسة موضوعاتها من جهة أخرى.

فالعلاقة بين المنهج ونوع البحث علاقة وثيقة.. حيث تحدد نوع الدراسة وموضوعاتها وأهدافها نوع المنهج المستخدم في دراستها.. وهذه بديهية مسلم بها في العلم الذي يبحث في مناهج وطرق البحث.

وعليه، فإننا في هذا الفصل نتناول الموضوعات التالية:

أولاً: البحوث الوصفية من حيث:

* ماهية البحوث الوصفية.
* أهداف البحوث الوصفية.
* مجالات البحوث الوصفية.

ثانياً: المنهج الوصفي في بحوث الإعلام من حيث:

* قواعد المنهج الوصفي.
* أهمية المنهج الوصفي في بحوث الإعلام.
* طرق وأساليب المنهج الوصفي في بحوث الإعلام.

أولاً ــ البحـوث الوصفيـة:

ماهية البحث الوصفي:

يرتبط مفهوم البحث الوصفي THE DISCRIPTIVE RESEARCH بدراسة واقع الأحداث والظواهر والمواقف والآراء وتحليلها، وتفسيرها بغرض الوصول إلى استنتاجات مفيدة.. إما لتصحيح هذا الواقع، أو تحديثه، أو استكماله، أو تطويره.. هذه الاستنتاجات تمثل «فهماً للحاضر، يستهدف توجيه المستقبل»[1].

ووفقاً للتعريف الذي قدمه هويتني WHITNEY في كتابه THE ELEAMENTS OF RESEARCH «عناصر البحث» فإن البحث الوصفي، يستهدف «دراسة الحقائق الراهنة المتعلقة بطبيعة ظاهرة، أو موقف، أو مجموعة من الناس، أو مجموعة من الأحداث أو مجموعة من الأوضاع، وذلك بهدف الحصول على معلومات كافية ودقيقة عنها، دون الدخول في أسبابها، أو التحكم فيها»[2].

ويتجه البحث الوصفي إلى «وصف ما هو كائن وتفسيره، ويهتم بتحديد الظروف والعلاقات التي توجد بين الوقائع، كما يهتم بتحديد الممارسات الشائعة أو السائدة والتعرف على المعتقدات والاتجاهات عند الأفراد والجماعات»[3] عن طريق جمع المعلومات والبيانات، والتعبير عنها كماً وكيفاً أو بالاثنين معاً بما يوضح خصائصها وسماتها. فالبحث الوصفي يشترط وجود البيانات والمعلومات.. ولذلك فإن الباحث يجد في تنظيمها وتصنيفها وتحليلها وتفسيرها، كما يشترط كفاية هذه المعلومات والبيانات حتى يتمكن الباحث من خلالها الوصول إلى الاستنتاجات أو التعميمات التي تساعده على فهم الواقع الذي يقوم بدراسته، وتطوير هذا الواقع نحو الأفضل.

أهداف البحوث الوصفية:

وفقاً للآراء التي تضمنتها التعريفات السابقة، فإن الدراسات الوصفية لا تحصر أهدافها في مجرد جمع الحقائق، فلو كان الأمر كذلك لما تعد بحوثاً

علمية. . إذ ينبغي على الباحث أن يسجل الدلالات التي يستخلصها من البيانات المجموعة مسترشداً في ذلك بالأهداف التي يتوخاها من الدراسة. ولا يتأتى ذلك بالطبع بغير تصنيف حاذق للبيانات، بما يتيح لها أن تفصح عن الاتجاهات الكافية فيها أو انحرافها نحو ناحية معينة أو تمركزها حول ناحية أخرى.

وكل هذه الاتجاهات ينبغي على الباحث أن يناقشها ويعطيها التأويل الملائم حتى ترقى الدراسة الوصفية إلى مستوى البحث العلمي[4].

وعلى ذلك، فإن أهداف البحوث الوصفية يمكن بلورتها في الآتي:

1 ـ وصف الظواهر والتعرف على عناصرها ومكوناتها عن طريق جمع المعلومات والبيانات وتحليلها وتفسيرها بما يتيح تقديم صورة دقيقة وموضوعية عن الظاهرة قيد البحث.

2 ـ تشخيص الظاهرة بمعرفة العلاقات القائمة بينها وبين المتغيرات أو العوامل التي ترتبط بها.

3 ـ دراسة نماذج ومراحل التطور أو التغير اللذين سادا الظاهرة عبر فترة زمنية محددة حسب مجال البحث والأغراض التي يحققها.

وفي المجتمعات النامية تزداد الحاجة إلى الدراسات الوصفية، لأن هذا النوع من الدراسات يوفر رصيداً من البيانات والمعلومات الأساسية حول الظواهر، الأمر الذي يتيح تطوير دراسات جديدة، وفقاً للبيانات والنتائج التي قدمتها الدراسات الوصفية الأولى. وهذا ما يطلق عليه الجانب الاستكشافي في الدراسات الوصفية «الذي يتولى جمع البيانات والمعطيات عما حدث ويحدث من وقائع، الأمر الذي يتيح الفرصة العلمية أمام الباحثين لتأمل هذه البيانات والمعطيات، ومحاولة لمح علاقات بينها واستنباط فروض منها، بل أيضاً محاولة التنظير على أساسها»[5].

مجالات البحوث الوصفية:

تتعدد مجالات البحوث الوصفية، فهناك الدراسات المسحية،

ودراسات العلاقات المتبادلة، والدراسات التطورية.. وجميعها دراسات تتناول الحالة الراهنة للظواهر، سواء أكانت هذه الحالة متصلة بموقف أو جماعة أو أحداث أو أوضاع. وطالما أن الأمر يتعلق بدراسة الحقائق الراهنة، فلا مجال لأن تتضمن فروض الدراسات الوصفية بحث أثر متغير معين على متغير آخر في الظاهرة.. ولكن يمكن دراسة ارتباط متغير بمتغير آخر. هذه الدراسة الارتباطية تمثل أكثر أنواع البحوث الوصفية تطوراً، حيث يمكن دراسة استنباط متغير العمر مثلاً بمتغير آخر كمشاهدة برامج مرئية معينة أو دراسة متغير مستوى التعليم، بقراءة صحف ومجلات معينة.

والبحوث الوصفية كثيرة الاستخدام في دراسات العلوم الاجتماعية، ولذلك فإننا نجد أن مجالات هذه العلوم وتصنيفاتها قد وضعت لنفسها نهجاً خاصاً للدراسات الوصفية بما يتناسب مع خصائص كل علم منها.. مع الأخذ في الاعتبار طبيعة التخصص ومتطلباته.

وعلى سبيل المثال، نجد أن دراسات المسح ودراسة الحالة والدراسات التطورية، وجميعها تندرج تحت البحوث الوصفية، تستخدم في مختلف مجالات العلوم الاجتماعية. ولكننا نلاحظ أن دراسات المسح في بحوث الإعلام تتناول بحوث الرأي العام وجمهور الإعلام وتحليل مضمون الرسالة الإعلامية، بينما نجد في مجال علم الاجتماع، يستخدم المسح في دراسات الريف والحضر وتوزيعات السكان ومستوى المعيشة. وفي مجال التخطيط التربوي يستخدم المسح في دراسات المسح المدرسي والمسح الاجتماعي وتحليل العمل.. وما إلى ذلك.

ويستخدم تحليل المحتوى في بحوث الإعلام لدراسة الرسالة الإعلامية من حيث ماذا قيل؟ WHAT IS SAID? وكيف قيل؟ HAW IT IS SAID?، بينما يستخدم في مجال علم الاجتماع في دراسة سمات الشخصية، واستخدم في مجال دراسة مضمون الأعمال الأدبية بكفاءة.

إن تعدد وتنوع مجالات البحوث الوصفية على النحو الذي سيرد ذكره

في هذا الفصل، أمر مطلوب لأن قصر الدراسة الوصفية على تقديم وصف للحقائق الراهنة لظاهرة ما، دون التعمق في دلالاتها وارتباطها بالمتغيرات المكونة لها، أو المرتبطة بها، يجعل من الحقائق الراهنة مجرد مادة خام لم تخضع لعمليات التحليل والتفسير ولا تحقق الهدف من الدراسة الوصفية.. ولذلك فإن التقسيمات التي تندرج تحت البحث الوصفي، وبالتالي المنهج الوصفي تتيح تحقيق أهداف الدراسة الوصفية في أكثر من زاوية واتجاه حسب مقتضيات الموضوع قيد البحث، وتبرز مجالات الدراسات الوصفية في:

* الدراسات المسحية.
* دراسات العلاقات المتبادلة.
* الدراسات التطورية.

ثانياً ـ المنهج الوصفي في بحوث الإعلام:

يقوم المنهج الوصفي ـ في عمومه ـ على قاعدتين أساسيتين هما:

1 ـ «قاعدة التجريد: ABSTRATION:

وتقوم على عزل وانتقاء مظاهر معينة من الظاهرة ودراستها. ولا يعني العزل اعتبار الظاهرة منفصلة عن غيرها من الظواهر، وإنما يعني تمييز الظاهرة كماً وكيفاً.. بغرض إظهارها أو تحديدها بصورة أوضح.

2 ـ قاعدة التعميم: GENERALIZATION:

وتقوم على إصدار الحكم على الظاهرة في إطار الفئة أو العينة التي تم إخضاعها للدراسة»[6]. ومجتمع البحث الذي سحبت منه العينة.

وطالما أن الهدف من الدراسات والبحوث الوصفية هو الحصول على معلومات كافية ودقيقة فينبغي إذن أن يكفل البحث عدم الوقوع في أخطاء التحيز والصدفة، ومحاولة التقليل منها قدر الإمكان. وهذا لن يتأت إلا بالاستخدام الدقيق لأدوات البحث ووسائل جمع المعلومات والبيانات وعدم

الإغراق في جمع بيانات ومعلومات غير ضرورية، والتخلي عن أية أفكار أو معتقدات سابقة عن الموضوع أو الظاهرة قيد البحث[7].

أهمية المنهج الوصفي في بحوث الإعلام:

تبرز أهمية المنهج الوصفي في بحوث الإعلام في كونه الأسلوب الأكثر قابلية للاستخدام لدراسة بعض المشكلات والظواهر التي تتصل بالإنسان ومواقفه وآرائه ووجهات نظره، في علاقته بالإعلام ووسائله ورسائله، حيث يصعب استخدام المنهج التجريبي أو المنهج التاريخي في دراستها وهو أمر جعل معظم البحوث الإعلامية تقع في إطار هذا المنهج.

وعلى سبيل المثال، إذا أردنا التعرف على وجهات نظر الجمهور حول البرامج الإعلامية التي تبثها الإذاعة المرئية أو التعرف على اتجاهات الرأي العام تجاه بعض القضايا أو المشكلات التي تواجه المجتمع، فإن أنسب طرق البحث لدراسة مثل هذه الموضوعات هي الدراسات المسحية التي تمثل إحدى الطرق المتفرعة من المنهج الوصفي. . حيث لا يقف استخدام المنهج عند حدود الوصف وجمع المعلومات والبيانات بل تنظيمها والتعبير عنها كماً وكيفاً، بغرض تحقيق فهم أكثر دقة عن الظاهرة محل البحث. ومن ثَم الوصول إلى استنتاجات وتعميمات تساعد على تطوير الواقع الذي ندرسه سواء أكان برامج إذاعية مسموعة أو مرئية أو حل لمشكلة أو قضية تواجه الرأي العام.

فحين يقوم الباحث الإعلامي بدراسة وصفية عن البرامج الإذاعية المرئية الليبية في المجال الثقافي، ويدرس اتجاهات الجمهور، ووجهات نظرة حول هذه البرامج، فإنه يكون قادراً على التخطيط لبرامج أكثر فاعلية وفائدة بالنسبة للجمهور، وهنا يكون الباحث قد تعدى مرحلة الوصف إلى مرحلة العمل من أجل تقييم الوضع الحالي للبرامج الثقافية، وتقديم مقترحات تسهم في تطوير هذه البرامج نحو الأفضل.

إن قيمة البحوث والدراسات الإعلامية التي تعتمد على المنهج الوصفي

وطرقه وأساليبه المتعددة تكمن **أولاً في** واقعيتها وارتباطها بموضوعات وظواهر ومشكلات بحثية يعيشها الإنسان في حياته العملية.

كما تكمن **ثانياً في** أن معلوماتها وبياناتها تجيء تعبيراً عن الواقع، كما تكمن **ثالثاً في** أن مصادر هذه المعلومات والبيانات هي الواقع نفسه. وهذا ما يجعل لنتائجها قيمة علمية وعملية حيث يمكن الاستفادة منها في تطوير الواقع نحو الأفضل.

ويجب أن يكون معلوماً، أن البحوث والدراسات الإعلامية التي تقوم على المنهج الوصفي وتستهدف الواقع لا تأتي بمستوى واحد من حيث تعمقها في جمع المعلومات والبيانات ووصف الظاهرة، فعندما يكتفي الباحث بوصف الظاهرة التي يقوم بدراستها فإن هدف دراسته لا يتجاوز التعرف على واقع الظاهرة. وحين يتجاوز الباحث الوصف إلى معرفة العلاقات بين عناصر الظاهرة ومكوناتها، فإنه بذلك يقوم بدراسة وصفية أكثر تعمقاً، مثال ذلك الباحث الذي يربط بين آراء الجمهور من جهة، ومستوياتهم الاقتصادية أو العلمية من جهة أخرى، أي أنه يقوم بتحديد طبيعة هذا الارتباط ودوره في تطوير الواقع الإعلامي المدروس.

طرق وأساليب المنهج الوصفي في بحوث الإعلام:

يعتبر التقسيم الذي أورده، فان دالين[8] عن البحوث الوصفية، أكثر التقسيمات شيوعاً. فقد اعتمدت عليه كثير من المؤلفات العربية التي تناولت طرق وأساليب المنهج الوصفي.

ويقوم التصنيف الذي قدمه دالين DALIN على أساس أن طرق البحوث الوصفية لا تخرج عن التصنيفات التالية:

1 ــ طريقة الدراسات المسحية.
2 ــ طريقة دراسة العلاقات المتبادلة.
3 ــ طريقة الدراسات التطورية.

وقد حذر فان دالين VAN DALIN في مؤلفه المشار إليه في الهامش من

أن هذه التقسيمات قد تتداخل مع بعضها البعض، وأن بعض الدراسات قد تنطبق عليها أو يصلح لدراستها الأنواع الثلاثة.

ويذكر للدكتور سمير محمد حسين جهوده في وضع أساليب للبحوث الوصفية في مجال الدراسات الإعلامية، مستنداً إلى الطرق الثلاثة التي قدمها فان دالين. . وذلك على النحو التالي:

1 ـ طريقة الدراسات المسحية:

وتتضمن الأساليب المنهجية التالية:

أ ـ أسلوب مسح الرأي العام.

ب ـ أسلوب مسح جمهور الإعلام.

جـ ـ أسلوب مسح المضمون (تحليل المضمون).

د ـ أسلوب مسح وسائل الإعلام.

هـ ـ أسلوب مسح أساليب الممارسة.

2 ـ طريقة ودراسة العلاقات المتبادلة:

وتتضمن الأساليب التالية:

ـ دراسة الحالة.

ـ الدراسات السببية المقارنة.

ـ الدراسة الارتباطية.

3 ـ طريقة الدراسات التطورية[9].

وسنتناول هذه الطرق الثلاثة بالشرح لنوضح متطلباتها المنهجية واستخداماتها في مجالات البحوث الإعلامية بصفة عامة.

1 ـ طريقة الدراسات المسحية:

المسح SURVEY، إحدى طرق البحث العلمي التي تندرج تحت تقسيمات المنهج الوصفي، وتتكيف طبيعته وفقاً لمجال البحث وتخصصه. فاستخدام المسح في الدراسات الميدانية يختلف عن استخدام المسح في الدراسات المكتبية. كما أن استخدامه في بحوث الإعلام يختلف عن

استخدامه في دراسات وبحوث علم الاجتماع.. ذلك أن الأمر رهين بنوع المشكلات العلمية التي تقع في إطار كل علم من العلوم. ولكن في كل الأحوال يظل المسح ذا هدف محدد، هو فحص الظواهر المعاشة للحصول على الحقائق والمعلومات المتصلة بها، بما يساعد في فهمها وإصدار أحكام بشأنها.

«فالمسح ينصب على دراسة أشياء موجودة بالفعل وقت إجراء الدراسة، وفي مكان معين، وزمان معين»[10]. ويتجه إلى «توضيح الطبيعة الحقيقية للأشياء أو المشكلات أو الأوضاع الاجتماعية، وتحليل تلك الأوضاع للوقوف على الظروف المحيطة بها أو الأسباب الدافعة إلى ظهورها»[11].

ووفقاً لهذه التعريفات، وتعريفات أخرى عديدة ـ لا مجال لذكرها هنا ـ لا تختلف كثيراً عنها، يتضح لنا أن المسح يتم بأكثر من مستوى:

1 ـ المستوى الأول: وهو المسح الوصفي الذي يستهدف الحصول على الحقائق والمعلومات التي تساعد على فهم الظاهرة ولكنه لا يحل المشكلة.

2 ـ المستوى الثاني: وهو المسح الوصفي التفسيري الذي لا يقف عند حد الوصف، وإنما يصل إلى إصدار الأحكام وتقديم الحلول.

وتتعدد أنواع المسح فهناك:

أ ـ المسح الشامل لكل مفردات مجتمع البحث ويؤدي إلى معرفة يقينية.. إلا أنه يحتاج إلى وقت جهد ومال وإمكانيات.

ب ـ المسح بالعينة: لبعض مفردات مجتمع البحث على أن تمثل هذه العينة مجتمع البحث.. وتعمم نتائج هذا المسح على باقي مفردات مجتمع البحث.

وهناك أنواع الدراسات المسحية التي تقوم على أساس مجال الدراسة مثل:

أ ـــ المسح العام: ويتناول القضايا أو المشكلات الإعلامية المختلفة في آن واحد.

ب ـــ المسح الخاص: ويتناول جانباً معيناً من هذه القضايا كالعلاقة بين التعليم والإعلام مثلاً.

والنوع الثالث من أنواع المسح ويقوم على أساس المجال الزمني للدراسة وهي:

أ ـــ المسح القبلي: ويهدف إلى التعرف على وجهات النظر الجمهور قبل وضع وتنفيذ البرامج الإعلامية أو التخطيط للحملات الإعلامية.. مثلاً.

ب ـــ المسح الدوري: ويتم على فترات منتظمة، أثناء تنفيذ البرامج الإعلامية أو في نهاية الدورة الإذاعية مثلاً، للوقوف على مدى نجاحها، والمعوقات التي تواجهها.. ووجهة نظر الجمهور عنها.

جـ ـــ المسح البعدي: ويتم بعد الانتهاء من المشروعات والحملات والبرامج الإعلامية للوقوف على نتائجها والتعرف على صداها عند الجمهور.

فالمسح إذن عملية تحليلية لمختلف أنواع القضايا والمشكلات ويتم عن طريق جمع المعلومات بصورة علمية ومنظمة وبالاتصال المباشر بمجتمع البحث أو العينة المسحوبة منه.

وتقوم طريقة المسح على قاعدة أساسية تقول: إن كل حقيقة تبحث عنها معروفة لدى شخص ما، ويكفي أن نجمع المعلومات من مصادر متعددة، وبوسائل مختلفة، ونربط فيما بينها للوقوف على هذه الحقيقة.

الخطوات المنهجية لطريقة المسح:

1 ـــ تحديد مشكلة البحث وعناصرها وأهدافها والفروض أو التساؤلات التي يهدف البحث إلى التحقق منها أو الإجابة عليها.

2 ـ تحديد مفاهيم ومعاني المصطلحات الواردة في المشكلة وفروضها.

3 ـ تحديد الأسلوب المنهجي المستخدم في الدراسة والأدوات التي سيعتمد عليها الباحث في جمع البيانات والمعلومات ويجب عند ذلك مراعاة حسن تصميمها واختبارها قبل العمل بها.

4 ـ الاطلاع على البحوث والدراسات السابقة التي أجريت حول الموضوع للوقوف على التغييرات التي طرأت على مجتمع البحث في فترات زمنية سابقة.

5 ـ تحديد الحالات التي يغطيها المسح عن طريق تحديد العينة بطريقة علمية سليمة.

6 ـ إعداد نماذج تفريغ البيانات، وأسلوب تحليلها والنهج الذي سيتبعه الباحث لتفسيرها.

7 ـ توجيه المسح للكشف عن الجوانب التي يجهلها الباحث، لا لإثبات المعلومات التي يعرفها CONDUCT SURVEY TO LEARN - NOT PROVE.

8 ـ عدم الاكتفاء بوصف سمات وخصائص ومكونات الظاهرة في وضعها الراهن، بل يجب البحث في أسبابها من خلال تحليل البيانات وتفسيرها «المسح التفسيري أقوى في نتائجه من المسح الوصفي».

9 ـ فحص نتائج المسح واختبار سلامتها والتأكد من درجة صدقها عن طريق الاختبارات الإحصائية.

10 ـ عدم إخفاء النتائج غير المرضية، بل يجب عرض الحقيقة عرضاً كاملاً.

«DON'T HIDE UNPLEASANT RESULTS - TELL THE HOLE TRUTH»

11 ــ عدم محاولة تعميم نتائج المسح، دون توضيح حجم العينة بدقة.

«DON'T EXTEND RESULTS UNLESS DEFINITLY STATE THE SIZE OF YOU SMAPLE»(*)

وعلى الرغم من كل الخطوات المنهجية السابقة، ينبغي أن نؤكد على حقيقة علمية، وهي أنه وفي مجال الدراسات الاجتماعية عموماً، تتداخل ظروف خارجة عن إرادة الباحث، تؤثر في درجة الدقة المطلوبة لأسلوب المسح، ولذلك فمن الضروري أن يبذل الباحث أقصى جهده لكي يتجنب القصور أو الخطأ في جميع مراحل المسح لكي تكون لنتائج البحث قيمتها العلمية.

وهناك بعض الاعتبارات العلمية التي تخفف من حدة الأخطاء وأوجه القصور التي يصاحب دراسات المسح وأهمها:

1 ــ كلما كان المجتمع الأصلي متجانساً أمكن تصغير حجم العينة، وحساب نسبة الخطأ فيها.

2 ــ أنه إذا ما سحبت العينة بطريقة سليمة فإن نتائج البحث لن تختلف كثيراً عن النتائج التي يمكن الوصول إليها من دراسة المجتمع الأصلي.

3 ــ كلما أمكن حصر المجال الزمني والمكاني للمسح، كلما أمكن تقليل الأخطاء التي تنتج عن التغير في الظروف والأوضاع.

4 ــ كلما توفرت للباحث معرفة قوية بمجتمع البحث، كلما أمكن توجيه الدراسة توجيهاً دقيقاً. وفي ذلك على الباحث أن يتعمق في دراسة مجتمع البحث عن طريق دراسة الحالة، قبل الذهاب إلى الميدان.

(*) الآراء المتقدمة في خطوات المنهج، خلاصة لاستخدامات هذا المنهج عن بعض الباحثين أبرزهم «فردريك ليلى، تشارلز بوث، س. رونتري، ل.ج. لبرت، بولين يونج، هوارد ستيفنسن، جون إسبلي، وفان هوتون»[12].

استخدامات المسح في بحوث الإعلام:

المسح من أهم الأساليب المنهجية التي يستخدمها الباحثون على اختلاف تخصصاتهم العلمية، خاصة إذا أمكن الربط بينه وبين الاختبارات الإحصائية.

وقياساً إلى بعض مجالات العلوم الاجتماعية، وما أحرزته من تقدم ملموس، فإن مجال الدراسات الإعلامية، يعتبر من المجالات الحديثة نسبياً، الأمر الذي يتطلب الاهتمام بدراسات المسح التي تقدم وصفاً موضوعياً لمجالات كثيرة، يمكن عن طريقها تكوين رصيد من المعلومات والبيانات الأساسية التي تعين على إجراء بحوث أكثر تطوراً وتقدماً في المستقبل، خاصة وأن هذا المجال دائم التطور والنمو.

وانطلاقاً من أن الدراسات الإعلامية تختلف نسبياً من حيث طبيعتها ومتطلباتها عن مجموعة الدراسات الاجتماعية الأخرى، يورد الدكتور سمير حسين قائمة من المسوحات التي تندرج تحت طريقة الدراسات المسحية[1] كما سبق الإشارة إلى ذلك.

وبوجه عام، يمكن القول إن تداخلاً واضحاً يقوم بين هذه التصنيفات، يصعب معه وضع حدود فاصلة بينها، وهذا لا يشكل عيباً كما يظن البعض، بقدر ما يشكل قاعدةً لتماسك وتكامل الدراسات المسحية في بحوث الإعلام، وإطاراً مهماً لمنهجية البحث في الدراسات والبحوث الإعلامية.

وعموماً يمكن القول إن المسح، كان وراء أشهر البحوث الإعلامية التي تميزت بطابعها العملي، وموضوعيتها المتناهية في الطرح والتحليل والتفسير والاستنتاج بما يتيحه من ضبط وقياس وصدق وثبات الأمر الذي أفرز العديد من نظريات الاتصال مثل نظريات مارشال ماكلوهان، وستيفنسون، وغيرهم والتي أثبتت إن طريقة المسح إذا ما استُخدمت استخداماً علمياً دقيقاً وموضوعياً من قِبل الباحثين في مجال الاتصال، فإنها

---

(1) مسح الرأي العام، مسح جمهور الإعلام، مسح المضمون، مسح وسائل الإعلام، مسح أساليب العمل.

ستساهم مساهمة فعالة في جعل الفروض، نظريات تتميز بالدقة والواقعية التي تمكنها من النمو والتطور والتعديل.

وتتضح أهمية المسح في مجالات الإعلام من الميادين التي استخدمته وأهمها:

* التعرف على سمات وخصائص الجمهور الذي يتعامل مع وسائل الإعلام المختلفة، ووجهات نظره وآرائه حول الموضوعات والبرامج التي تقدمها وسائل الإعلام المختلفة.

* التعرف على وجهات نظر الرأي العام تجاه القضايا التي تهم المجتمع، وتتداولها وسائل الإعلام.

* تحسين وتطوير البرامج الإعلامية والخدمات التي تقدمها وسائل الإعلام لجمهورها.

* التعرف على أساليب العمل في المؤسسات الإعلامية ونظم إدارتها وممارساتها.

* التعرف على الإمكانيات الفعلية للوسائل الإعلامية من حيث الأجهزة والمعدات وبرامج التدريب والميزانيات، وما إلى ذلك من مسائل يمكن على أساسها التخطيط لتطوير هذه الوسائل والرقي بها.

أساليب الدراسة المسحية في بحوث الإعلام:

* **أسلوب مسح الرأي العام:**

تهدف مسوح الرأي العام إلى التعرف على المواقف التي يؤيدها الرأي العام أو يرفضها في وقت معين، وقد استُخدم هذا الأسلوب في الآونة الأخيرة بصورة متزايدة وفي بلدان كثيرة. وتشهد على ذلك الأهمية المعلقة على الرأي العام الذي كثيراً ما أغفل أمره في الماضي. وتعمد الحكومات والأحزاب السياسية في الدول الغربية ـ على وجه الخصوص ـ إلى قياس الرأي العام كلما دعت الحاجة إلى ذلك.

وتستهدف عملية مسح الرأي العام إلى «التعرف على الآراء والأفكار والاتجاهات والمفاهيم والقيم والدوافع والمعتقدات والانطباعات والتأثيرات المختلفة لدى مجموعة معينة من الجماهير تبعاً للهدف من إجراء المسح»[13].

ويعتمد أسلوب مسح الرأي العام على نظرية إعلامية معروفة هي نظرية التأثير الإنجاحي لاستطلاعات الرأي العام. وتقوم هذه النظرية على القدرة المزعومة لاستطلاع الرأي العام على إنجاح القرارات أو السياسات أو ترسيخ بعض المفاهيم والقيم. . وما إلى ذلك.

ومن عيوب هذه النظرية أن الاستطلاعات التي تجري وفقاً لها تفترض:

1 ــ قدرة المسح على إعطاء نتائجه قوة إقناعية.

2 ــ إضفاء عنصر الشرعية على نتائج المسح خدمة لصناع القرارات أو واضعي السياسات أو لأولئك الذين يحاولون ترسيخ بعض المفاهيم والقيم الاستهلاكية التي تبرز في استخدام المسح في بحوث العلاقات العامة والإعلان.

3 ــ توجيه نتائج المسح لخدمة الذين يقومون بتمويل عملية المسح.

عيوب الدراسات المسحية في قياس الرأي العام:

استناداً إلى ما سبق من عيوب لتلك النظرية الإعلامية التي تقوم على أساسها مسوح الرأي العام، يكون مدخلنا للحديث عن عيوب المسح في قياس الرأي العام. وأبرز هذه العيوب:

أ ــ أنه يصعب إجراء المسح بمعزل عن النسيج السياسي أو الاجتماعي أو الاقتصادي أو الثقافي الذي يعمل من خلاله الباحث، والذي يوجه رغبات من يجري المسح لحسابهم. وبذلك يتحول المسح من أسلوب علمي لقياس الاتجاهات والمواقف والآراء والمعتقدات إلى أداة لخدمة أهداف لا تتسم بالوضوح لأنها تتم طبعاً لبعض المعايير الخاصة.

ب ــ احتمالات الوقوع في خطأ التحيز وذلك عن طريق:
ــ استخدام الأسئلة المغرضة أو الإيحائية.
ــ أخذ عينات صغيرة أو مفككة أو زائفة.
ــ إجراء الاستفتاءات بعد ظهور النتائج المراد استطلاعها.
ــ اختلاف البيانات لتوجيه النتائج نحو إثبات غايات محددة سلفاً.
ــ استخدام معلومات مشكوك في صحتها ومصادرها.

جـ ــ «يؤخذ على قياس الرأي العام أن استفتاءاته تقيس الرأي الشخصي أكثر من قياسها للرأي العام لأنها تعتمد على سؤال الأفراد على حدة، وليس من شك أن الأفراد لو سئلوا عن آرائهم وسط الجماعة، فإن النتائج سوف تختلف..

«وقد أدرك الباحثون ـ في المجال الأكاديمي ـ هذا العيب، فاستعانوا بأسلوب المقابلات الجماعية في بحوثهم في ميادين الرأي العام، لما يهيئه من فرصة أفضل للحصول على معلومات أوفر، ويسمح للأفراد المساهمة في المناقشات الجماعية، ويخلق تفاعلاً في الرأي يؤدي إلى ظهور رأي عام شبيه بالرأي العام السائد في المجتمع..»[14].

مزايا المسح في قياس الرأي العام:

أ ــ إنه يسهل تدفق وانسياب المعلومات في الاتجاهين بين صانعي القرارات والجماهير. وهذا يدخل في صميم البحث الإعلامي وفقاً للنظرية التي تنادي باتجاهين للاتصال TWO WAYS OF COMMUNICATION.

ب ــ إنه إذا ما أحسن استخدامه يوفر المعلومات المستقاة وفقاً للأسلوب العلمي الموضوعي. ولكن إذا ما أسيء استخدامه فلن تفرز نتائجه سوى ميكانيزم للتوجيه والسيطرة وتقييد الاختيارات.

فقد أثبتت الأحداث والمواقف من خلال ممارسات أبرز الأسماء والمؤسسات العاملة في مجال مسح الرأي العام أن مؤسساتهم لجأت إلى التحريف والتشويه المتعمد حتى تضمن الخروج بنتائج ترضى من يرعون ويمولون عملية المسح[15].

واستناداً إلى كل ما تقدم من عيوب ومزايا يتبين لنا أنه يمكن تزوير رأي الذين لا تؤهلهم أوضاعهم للنهوض بمسؤولية اتخاذ القرارات أو إسماع أصواتهم للذين يتولون هذه المهمة.

فالرأي العام ـ في تقديرنا ـ هو رأي الذين لا يشاركون في عملية اتخاذ القرارات، والذين يوجدون خارج مراكز السلطة. وأن مسح الرأي العام يستهدف ـ في الغالب ـ التعرف على آراء واتجاهات ومواقف ورغبات هؤلاء. ومن الممكن أن يتحول الرأي العام إلى وعي عام إذا أوليت عناية أكبر بفكرة المشاركة الديمقراطية.

إن ما دفعنا إلى أن نسوق هذا الرأي تلك العمليات الوهمية التي تطالعنا بها مراكز قياس الرأي العام، والأمل أن تضطلع المراكز القائمة في داخل الجامعات يدور أكثر حيدة وموضوعية في هذا الجانب.

وعموماً يمكن القول، إن إجراءات المسح في دراسة الرأي العام لا تخرج ولا تختلف كثيراً عن الخطوات المنهجية المسحية التي سبق الإشارة إليها. إلا أن اعتبارات محددة تتحكم في هذا النوع من الدراسات. . ينبغي وضعها في الاعتبار عند التخطيط لإجراء هذا النوع من البحوث. وهذه الاعتبارات هي:

1 ـ نوعية الجمهور الذي ستشمله الدراسة، هل هو جمهور عام، أم نوعي، أم متخصص؟ وهو في كل أشكاله السابقة لا يعبر عن اتجاه جميع أفراد المستوى الذي يقوم فيه، وإنما يعبر عن رأي قطاع كبير منه.

2 ـ النطاق الجغرافي للدراسة، مسح قومي، مسح على مستوى محافظة

معينة، مسح على مستوى مدينة. . الخ.

3 ـ نوع العينة المستخدمة.

4 ـ أسلوب تقديم نتائج المسح. . هل ستقدم على أساس وصفي دون الدخول في الأسباب التي أدت إليها.

THE DISCRIPTION OF THINGS AS THEY ARE, NOT UNDERTAKEN HAW-THEY CAME TO BE[16].

أم على أساس وصفي تفسيري.

5 ـ وضعية الرأي العام المراد دراسته في الدولة المعنية:

ففي بعض الدول يغفل أمر الرأي العام بشكل واضح للغاية حيث تساعد أجهزة الإعلام ووسائله على ذلك. وفي ظل الأنظمة المطلقة يصبح الرأي العام أداة حكومية بدلاً من أن يكون مصدراً للمعلومات، هذا بالإضافة إلى محاولات بعض الأنظمة تشكيل الرأي العام بطرق مصطنعة يشوبها التلاعب بحيث يسفر الوضع عن سلبية الرأي العام وعدم اكتراثه بالقضايا الرئيسة، وعدم كفاءته السياسية، واستعداده لقبول حكم الصفوة أو القلة.

إن هذه الاعتبارات السابقة والتي تشكل وضعية الرأي العام في كثير من الدول، تفرض على الباحثين عدم التغاضي عن دراسة الأطر السياسية والفكرية. . الخ، التي تعمل من خلالها الأنظمة السياسية والتي تتشكل على أساسها وضعية الرأي العام.

6 ـ إن الرأي العام الذي يعبر عن اتجاهات الأفراد في جماعة أو فئة معينة، ليس بالضرورة أن يكون معبراً عن اتجاهات الأفراد في المجتمع العام.

7 ـ ينبغي عند إجراء دراسات المسح مراعاة عدم الخلط بين «الإشاعة والرأي العام» وبين «الرأي العام وانفعالات الجماهير»[17]. فالرأي العام يقوم على الاتزان ويعتمد على المنطق وتقل فيه قوة الإيحاء بينما تشتد

قوة الإيحاء في انفعالات الجماهير التي يحركها الحماس المؤقت في مناسبة أو ظرف معين.

* مسح جمهور وسائل الإعلام:

جمهور وسائل الإعلام، جمهور واسع التباين والاختلاف، لا يتسم بالتجانس الكامل. فهناك قراء الصحف والمجلات على اختلاف أنواعها، قراء صحافة الصفوة، وقراء الصحافة الشعبية، وفئة ثالثة تهتم بالصحافة المتخصصة.

وجمهور ثاني يهتم بالإذاعة المسموعة، من بينهم مستمعي الإذاعات المحلية والدولية، ومنهم من يستمع للإذاعات الموجهة بلغات أجنبية، وجمهور ثالث يهوي المرئيات كالفيديو، والتلفزيون والسينما وكل له ما يشاهده، وما يرفضه، وما يحرص على مشاهدته حرصاً شديداً.

ولهذا فإن جمهور وسائل الإعلام متعدد الاتجاهات، متنوع الرغبات، متباين المستويات، مختلف المهن، واسع الانتشار وما إلى ذلك.

ومن هنا جاءت أهمية دراسته للتعرف على الخصائص الأساسية التي يتميز بها جمهور كل وسيلة. بل إن كثيراً من المؤسسات الإعلامية كالإذاعة البريطانية، تحرص يومياً على تقديم برنامج يستطلع آراء الجمهور ووجهات نظره حول ما تقدمه إليه الإذاعة وتحاول قدر الإمكان الاستجابة لميوله أو تغيير بعض اهتماماته وخصائصه عن طريق إدخال التعديلات المستمرة على برامجها. بل إن كثيراً من المؤسسات الصحفية، والإعلامية تولي هذا الأمر عناية خاصة، فأنشأت لنفسها إدارات خاصة لبحوث القراء والمستمعين والمشاهدين.. هدفها التعرف على رغبات الجمهور وتوسيع قاعدته بما يحقق لمثل هذه المؤسسات فوائد اقتصادية متعددة. أبرزها كسب قاعدة من المعلنيين الذين يتهافتون للتعامل مع المؤسسات الإعلامية الناجمة ذات الجمهور العريض.

ويذكر «شرام» أن الدراسة التي قام بها ر. مرتون R. MERTON عن قادة

الرأي OPIMION LEADERS هي أول دراسة عن الجمهور. وقد أسفرت هذه الدراسة عن تقسيم قادة الرأي إلى محليين وعالميين وذلك طبقاً إلى ميلهم للانتماء إلى البيئة المحلية أو المجتمع الأوسع.

والواقع أن دراسات الجمهور قد نشأت، في بداياتها الأولى لخدمة السوق التجاري، الذي يهتم بمعرفة حجم الجمهور وتكوينه وما يفضله وما لا يفضله. وقد تطورت هذه الدراسات خاصة بعد أن أمكن التخلص من فكرة التعامل مع الجمهور على أنه كتلة غير متميزة.

«إن الجمهور يعني أكثر من مجرد حاصل جمع عدد من الأفراد، أنه يعني جماعة ما تدين بوجودها لتقاسم أفرادها تجارب معينة وذكريات وتقاليد محددة وظروف حياة بعينها. بيد أن هذه الجماعة ليست كلاً متماثلاً، حتى وإن كانت مجتمعاً محلياً صغيراً جداً. فعندما توضع تحت الملاحظة فإنها تكشف عن كثير من الاختلافات. . .

«ولو أن الجمهور ليست لديه حقاً مواقف وصفات خاصة به، فمن الممكن أن يفرض عليه أي نوع من المعتقدات أو التحيزات. . ولكن الواقع هو أن الجمهور يختبر ويقيم الوسائل الإعلامية، وما تقدمه إليه من رسائل وفقاً لمقاييس تحكم استجابته بالقبول أو الرفض. إن هذا التفاعل بين تأثير وسائل الإعلام واستجابة الجمهور هو عامل أساسي في ممارسة الاتصال والإعلام. . .

«وبسبب تجاهل هذا الجانب من الموضوع في بعض الأحيان تحدث المبالغة في تقدير قوة وتأثير وسائل الإعلام في الجمهور»[19].

ومما سبق يتضح لنا أن الحديث عن جمهور للإعلام هو حديث عن الجمهور بصورته العامة، ما دام كل فرد مؤهل للانتماء إليه دون إعداد مسبق. وربما يصح القول بانعدام الخط الفاصل بين جمهور الإعلام والجمهور الآخر، خاصة في هذا العصر الذي أصبح فيه لكل بيت وفرد نصيب في أجهزة الإعلام.

إلا أن جورج كريبنر G. GREEBNER يرى «أن هناك جمهور للأعلام يختلف عن الجمهور العام. ذلك أن أجهزة الإعلام بما تنتجه وتوزعه من رسائل تزود المتلقين بحد أدنى من الأساسيات التي تجعلهم يتمتعون بخصائص معينة. أي أن هذه الوسائل تعمل على جمهورها لأن دورها لا يقتصر على تهيئة مسار عام للرسائل الإعلامية بل إنها تصقل وتشذب التصورات المشتركة للجمهور بحكم تحديدها لما هو أو يخيل لهم أنه صحيح»[20].

صحيح أن وسائل الإعلام تعمل على إيجاد حد أدنى من الخصائص للجمهور المتعامل معها، ولكن من المغالاة الحديث عن جمهور لوسائل الإعلام مهمته ابتلاع القوالب الجامدة التي تنتجها تلك الوسائل ولذلك فمن الخطأ أن نتعامل مع جمهور الإعلام ـ حتى وإن افترضنا وجوده ـ على أنه جمهور متجانس، إذ لا بد أن نميز بين الفئات الاجتماعية والمهنية، ومستوى التعليم والسن والجنس والخبرة.. والتي تشكل سمات خاصة تختلف من فرد إلى آخر في إطار الجمهور الواحد.

ولهذا فإن هذا النوع من المسوح يستهدف دراسة الجمهور من حيث السن والجنس ودرجة التعليم والمهنة والدخل.. وغيرها من الخصائص الذاتية لأفراد الجمهور وعلاقة هذه الخصائص بما تقدمه وسائل الإعلام والصحف.

وإذا طبقنا التعريف الذي أورده مورس MORSE للمسح بقوله «إن المسح منهاج لتحليل ودراسة أي موقف أو مشكلة أو جمهور باستخدام طريقة علمية منظمة من أجل تحقيق أهداف معينة»[21]، نجد أن مسح جمهور الإعلام يندرج تحت هذا التعريف، هذا من جانب. ومن جانب آخر فإن الدراسات المسحية لجمهور الإعلام لا تقف عند حد دراسة خصائصه الأساسية سالفة الذكر، وإنما تمتد إلى معرفة العديد من التفصيلات التي تكشف عن جوانب أخرى لا تقل في أهميتها عن الخصائص الشخصية لأفراد الجمهور أهمها:

1 ــ التعرف على الاختلاف في درجات التأثير والفهم والاستيعاب لما تقدمه وسائل الإعلام المختلفة وذلك بدراسة العلاقة بين الخصائص الكامنة في كل وسيلة، ونوعية البرامج التي تقدم من خلالها، وأثر ذلك على الفهم والاستيعاب عند الجمهور.

2 ــ قياس دور العناصر الإيضاحية المصاحبة للمادة المكتوبة أو المسموعة أو المرئية في فهم واستيعاب الرسالة عند المتلقي.

3 ــ التعرف على أنماط المشاهدة أو الاستماع أو القراءة ومعدل الساعات التي يمضيها المتلقي.

4 ــ التعرف على مواقف الجمهور إزاء بعض القضايا العالمية في وسائل الإعلام.

5 ــ التعرف على مواقف الجمهور تجاه بعض البرامج أو قراءة صحف ومجلات معينة وقدرته على التجاوب معها.

6 ــ التعرف على ازدواجية المشاهدة(*) REPETING VIEW. عن طريق قياس مستوى التقدير، وحجم المشاهدين لكل برنامج.

7 ــ التعرف على تكرار المشاهدة أو الاستماع عند الجمهور.

8 ــ أثر العوامل المتصلة بشكل ومحتوى الوسيلة في عملية المشاهدة أو الاستماع أو القراءة. إذ أن هناك بعض النظريات التي ترى أن لمحتوى البرامج أثراً ضعيفاً في عملية المشاهدة، وأن الناس تشاهد التلفزيون كوسيلة في حد ذاته بغض النظر عما يقدمه «الرسالة هي الوسيلة»[22].

وعلى العكس تماماً هناك نظرية أخرى تقول إن الجمهور يختار وينتقي ما يجب أن يشاهده. وأنه من غير المقبول أن المشاهدة تتم بسبب الشكل

(*) **ازدواجية المشاهدة:** وتعني مدى تقبل مشاهد وأحد البرامج لبرنامج آخر شبيه من نوعية البرنامج الأول أو من نوعية أخرى «صباح الخير أول جماهيرية، وبرنامج أطيب الأوقات. . أو أي برنامج آخر».

ذاته. وترى هذه النظرية التي قدمها ستفنسون STERPHENSON عام 1967 ـ أي بعد ثلاث سنوات من النظرية التي قدمها ماكلوهان ـ أن «الاتصال ما هو إلا وسيلة للمتعة». وعموماً فإن هذه النظرية هي في واقع الأمر تكملة للنظريات التي قدمها تولمان TOLMAN عام 1932، ولاسويل LASWELL التي كتبها عام 1948، وريتشارد بد R. BUDD عام 1967، والتي أيدتها دراسات بيرنارد بيرلسون B. BERLSON عام 1971 في كتابه عن تحليل المضمون، ، وجانوتز JANOWTIZ عام 1967.

وقد قويت وضعية دراسات المحتوى بعد أن ثبت بالدراسة(*) أن الجمهور يتجه إلى أجهزة الإعلام لإرضاء حاجات معينة، وأنه يتذكر بعض الأجزاء من مواد الاتصال، خاصة تلك التي ستكون موضع تقبل من جانب جمهور آخر، عليهم الاتصال به فيما بعد، حتى ولو كانت وجهة نظر هذا الجمهور تختلف اختلافاً بيناً عن وجهة نظرهم كرفقاء النادي، وزملاء العمل والأسرة...

ويقرر شرام «أن الجمهور في نهاية سلسلة الاتصال الجماهيري ليس مجرد كتلة بلا تمايز، كما أنه ليس حاصل جمع عدد من الأفراد المختلفين اختلافاً كاملاً.. إن الجمهور هو مركب جماعات متداخلة..»[23].

وبوجه عام تهدف الاستطلاعات المسحية في مجال جمهور الإعلام إلى معرفة:

أ ــ سلوك الجمهور المتعامل مع كل وسيلة.

ب ــ ما يفضله من برامج أو مطبوعات.

جـ ــ قياس حجم الاستماع أو المشاهدة أو معدل ساعات القراءة.

د ــ استطلاع آراء المستمعين والمشاهدين حول مواد إعلامية معينة.

هـ ــ قياس ما حققته الوسيلة من نجاح في الاستجابة لميول المتلقين.

و ــ التعرف على مدى ما حققته بعض البرامج الموجهة من نتائج معينة.

(*) دراسة كلير تشيمرمان، ورايمون باير.

وغيرها من الموضوعات التي يمكن دراستها من خلال مسح جمهور الإعلام، والتي تفيد نتائجها في رسم السياسات الإعلامية وبرمجتها من خلال سياسات التحرير واتجاهات التخطيط للبرامج في الوسائل الإعلامية المختلفة. وهنا تجدر الإشارة إلى أن ردود فعل جمهور المستمعين والمشاهدين ـ بصفة خاصة ـ بصرف النظر عن الوسيلة التي تستخدم للتعرف عليها، ليست هي الدليل الأكيد على جودة البرنامج أو رداءته. وكل ما تثبته هو مدى تقبل الجمهور له، وهذه قضية أخرى، ولو أنها جديرة بالاهتمام، خصوصاً إذا كان الهدف من سياسة البرمجة العمل على أن تكون البرامج جيدة ومقبولة.

وهناك عدة أسباب للاختلاف بين تذوق الجمهور لبرنامج معين وبين قيمته الفنية الحقيقية، أهمها:

- أن الجمهور كثيراً ما يتأثر بعنصر الألفة، بمعنى أن البرنامج إذا ضم فناناً أو متحدثاً يعرفه الجمهور من قبل ويحبه نشأ بينه وبين البرنامج نوع من الألفة والمودة. وهذا من شأنه أن يجعل الجمهور يميل إلى تقبل البرنامج بصرف النظر عن جودته.
- أن المشاهد أو المستمع، كثيراً ما يتلقى البرنامج وهو محاط ببقية أفراد الأسرة والأصدقاء، وهو في هذه الحالة لا بد أن يتأثر بآرائهم وتعليقاتهم.
- أن المشاهد أو المستمع لا يقيم البرنامج تقييماً موضوعياً فهو في بعض الأحيان مع أو ضد أحد عناصر البرنامج، التي تشمل المشاركين في البرنامج، الموضوع، جهة الإنتاج والبلد الذي جرى فيه الإنتاج والمخرج. . وما إلى ذلك، وهو في تحيزه يعتمد على خبراته السابقة، التي تتبلور في أفكار ومواقف، تفسر ما يسمعه أو يشاهده.
- وأخيراً قد يكون العيب في موعد إذاعة البرنامج وليس في البرنامج نفسه. . لأن موعد إذاعة كل برنامج يتأثر بمدى تناسبه مع أوقات فراغ الجمهور المتلقي، ووجوده في مكان الاستماع أو المشاهدة، كما يتوقف

على مدى تناسب موضوع البرنامج مع الإطار الاجتماعي والنفسي للجمهور فترة إذاعة البرنامج[24].

مسح المضمون:

تحليل المضمون أسلوب للبحث يهدف إلى وصف المحتوى الظاهر THE MANIFEST CONTENT للاتصال وصفاً موضوعياً وكمياً ومنتظماً.

«CONTENT ANALYSIS IS A RESEARCH TECHNIQUE FOR THE OBJECTIVE, SYSTEMATIC AND QUANTITIVE DISCRIPTION . FOR THE MANIFEST CONTENT OF THE COMMUNICATION»[25]

هذا المحتوى في عملية الاتصال يحتل مكانة هامة، لأنه ينطوي على كل المعاني التي يمكن أن يعبر عنها بمختلف الرموز مثل الكلمة، والصوت، والصورة، والرسم، والموسيقى. . الخ.

وتنبع أهمية هذا الأسلوب من أنه قديم قدم القراءة نفسها. . إلا أنه تطور من مجرد التحليل البسيط إلى أسلوب علمي له أسسه وقواعده[26]. حيث يتناول الكم والكيف والأثر المتوقع من المادة، كما يبين مقاصد منتجي مادة الاتصال. وهو لا يشمل دراسة محتوى مادة الاتصال المطبوعة فقط، وإنما يمتد إلى أبعد من ذلك ليشمل كافة وسائل الاتصال الأخرى. فبينما يدرس شكل وحجم ومساحة وجوهر واتجاه وخصائص المادة المطبوعة، يدرس أيضاً المادة المذاعة والمتلفزة من حيث مساحتها الزمنية، ومحتواها، وطريقة تناولها وتقديمها وإخراجها والموسيقى المصاحبة لها والصور والعناصر الإيضاحية والفنية. كما أنه يستخدم في دراسة القيم والاتجاهات والآراء، كما أن مجاله اتسع ليشمل الكتب والموضوعات المدرسية، والمجلات والمراسلات والمحادثات، والخطب السياسية والأفلام السينمائية. . الخ.

وتحليل المضمون، لكي يعطي نتائج صادقة يفرض على الباحث أن

يصمم إجراءات استخدامه بصورة دقيقة ومنظمة ومنسقة مع المسألة أو المشكلة العلمية محل البحث، بمعنى ضرورة تحديد عناصر التحليل بصورة تضمن صياغة المعلومات في اتجاه المشكلة محل البحث. . . مستنداً إلى الافتراضات التالية:

1 ـ يفترض الاستدلال على ماهية العلاقة بين المحتوى والغرض.

2 ـ يفترض دراسة المحتوى الظاهر ذو المعنى المحدد والذي يجد فهماً مشتركاً بين المرسل والمستقبل والمحلل نفسه.

3 ـ يفترض أن يكون الوصف الناتج من التحليل ذو هدف.

وبالرغم من تعدد التعريفات التي تناولت تحليل المضمون، كمنهج تارة، وكطريقة للبحث تارة أخرى، وكأسلوب بحثي تارة ثالثة إلا أن معظم الآراء قد أجمعت على أن هناك سمات معينة لهذا الأسلوب. كما أنها اتفقت إلى حد كبير على صفة «الكم أو المقدار» التي يمكن تحديد قيمتها بالأرقام. . وفي أحيان أخرى باستخدام كلمات تعطي دلالة رقمية مثل أكثر MORE، دائماً ALWAYS، غالباً OFTEN زيادة على INCREASE. . وهي كلمات تملك خواص العدد وإن كانت أقل دقةً منها.

وبوجه عام يمكن القول إن هذا الأسلوب يعني الطريقة التي يتبعها الباحث لتصنيف إشارات ودلالات المادة الاتصالية من خلال معانيها، وفقاً للفئات التي يحددها لموضوع البحث. . والنتيجة هي تكرار تواتر الإشارات أو مجموعة الدلالات في كل فئة ضمن نظام التصنيف.

وعلى ذلك فإن أهم سمات هذا الأسلوب هي:

1 ـ أنه يستخدم لوصف المحتوى الظاهر لمادة الاتصال.

2 ـ الموضوعية بحيث لا يتأثر الباحث بأهوائه.

3 ـ الانتظام أي إجراء التحليل وفقاً لفئات محددة، ثم تعريفها وفق مفاهيم محددة.

4 ـ الكمية: أي تحويل المادة الاتصالية إلى تكرارات تجريبية وفق مقاييس محددة.

العملية الاتصالية وتحليل المضمون:

يتحدث العالم عن أثر الاتصال بالجماهير في دعم الاتجاهات والمواقف التي يراد لها أن تنتشر وسط الجماهير. والاتصال يأخذ في مراحله المختلفة أحد الأشكال التالية:

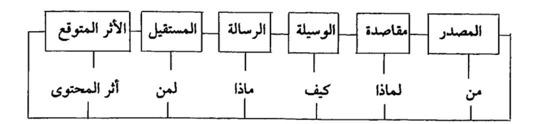
الإعلام، العلاقات العامة، الإعلان، الدعاية، التعليم، الاتصال بأنواعه المختلفة.. وهي في مجملها لا تخرج عن كونها أشكالاً مختلفة لعملية اجتماعية واحدة هي الاتصال بالجماهير.

والمعروف أن غرض الاتصال هو إقناع الناس وحملهم على السلوك بطريقة معينة في نهاية الأمر، والاتصال الناجح هو الذي يسعى إلى تكامل المجتمع بتنمية الاتفاق بين أفراده وجماعاته، ويقوم بتثبيت القيم والمبادىء والاتجاهات بالمحافظة عليها.

وكلما تكاملت الأنظمة الاتصالية مع الأنظمة الاجتماعية، كلما ساعد ذلك على فهم الإطار العام للنظام السياسي والاجتماعي والاتصالي في أي بلد.

والعملية الاتصالية كعملية اجتماعية هدفها الإنسان، إلا أن غاية كل نوع من أنواع الاتصال تختلف تبعاً لنمط الرسالة الموجهة إلى الناس. فنلاحظ أن هدف الاتصال الإعلامي الذي يعتمد على الحقائق والمعلومات يختلف عن هدف الاتصال الدعائي الذي ينسج شباكاً حول الناس لأغراض تعتبر غير علمية أو ذات قيمة مشكوك في أغراضها.

والنموذج التالي، يوضح العلاقة بين الاتصال وتحليل المحتوى:



ومن الشكل السابق، نلاحظ أن العملية الاتصالية في كل مرحلة من مراحلها، نجد تساؤلاً في هذا الأسلوب. هذا التساؤل هو ما يطرحه الباحث مستنداً إلى منهج التحليل في محاولته لفهم ووصف وتفسير المحتوى الذي يسعى إلى دراسته.

ونلاحظ أيضاً أن هناك أكثر من مرحلة يمكن تحديد هويتها بسهولة كالمرسل، والوسيلة، والمستقبل. أما مقاصد المرسل وحجم المادة وحساباتها واتجاهاتها وعناصرها ومكوناتها والأثر المتوقع منها على المستقبل THE EFFECT OF CONTENT فهي أمور يصعب الوصول إليها دون استخدام منهج التحليل بخصائصه وأقسامه الثلاثة: «التحليل الكمي، والتحليل الكيفي، وتحليل أثر المادة».

فعندما يرغب الباحث في التعرف على حجم المادة وحساباتها وكل ما يتصل بعنصر الشكل فإنه يلجأ إلى استخدام التحليل الكمي للإجابة على السؤال ماذا قيل؟ WHAT IT IS SAID?. وعندما يتجه بدراسته إلى محاولة التعرف على اتجاهات المادة وعناصرها الرئيسة، فإنه يستخدم التحليل الكيفي للإجابة على السؤال كيف قيل؟ HAW IT IS SAID?. . وعندما يسعى الباحث إلى معرفة الأثر المتوقع للمادة على المستقبل كنتيجة ملازمة لاستخدام الكم والكيف للتعرف على الصورة الانفعالية ورد الفعل REACTION الذي أحدثته في المستقبل. . يمكن له ـ أي للباحث ـ أن يتوصل إلى مقاصد منتجي المادة أي هدف المرسل أو المصدر.

ويعتمد أسلوب التحليل بخصائصه الثلاثة «الكم والكيف والأثر» على

التكرارات التجريبية كنتاج لعملية القياس وتصنيف المحتوى في الفئات المخصصة لذلك. وهي تكرارات ذات دلالات لفظية تكشف عن المحتوى، حيث يمكن إخضاعها إلى معاملات إحصائية إذا لزم الأمر.

التحليل الكمي والتحليل الكيفي:

يعني التحليل الكمي بدراسة مادة أو شكل الموضوع، بينما يعني التحليل الكيفي بدراسة اتجاه المحتوى من أجل الوصول إلى خصائص المادة وعناصرها والتعرف على اللون الانفعالي للمادة.

وهناك مقاييس متعددة للوصول إلى اللون الانفعالي للمادة ومن بينها القياس على أساس الكفاءة «كفؤ، غير كفؤ»، ودرجة الغوص في الموضوع «مباشر، غير مباشر» ودرجة المعالجة واتجاهها «إيجابي، محايد، سلبي».

ويعتبر التحليل الكيفي من الإجراءات الهامة في مجال دقة التحليلات، على أساس أنه يوضح الأبعاد الخفية لمادة المحتوى، كما أنه يعكس صفاتها واتجاهاتها التي تعتبر الأساس في دراسات الأثر الذي يحدثه المحتوى على المستقبل.

وعلى كل فإن التحليل الكمي هو الأساس الذي يقوم عليه التحليل الكيفي. فبالاستناد إلى المنهج الكمي وحساباته، يمكن استخدام الأسلوب الكيفي في التحليل للغوص في أعماق المادة المكتوبة على فرض أن المساحات المخصصة لموضوع ما على الرغم من صغر حجمها، قد تعكس معاني كبيرة ومتعددة يعجز الباحث عن الحصول عليها في موضوع أفردت له مساحات كبيرة. فالواقع والممارسة العملية لاستخدامات هذا الأسلوب في البحوث الإعلامية يؤكد أن التحليل الكمي والكيفي مكملان لبعضهما وأن دراسات تحليل المحتوى تسفر عن نتائج دقيقة إن تم إخضاع المحتوى للتحليلات الكمية والكيفية معاً، وبصورة منهجية سليمة.

ويرى سيجفريد SIEGFRIED «أن دراسات التحليل الكيفي لا تركز على

المحتوى فحسب، بل تمتد إلى أبعد من ذلك، إلى معرفة المقاصد الخفية أو الأثر المتوقع على المستقبل»[28].

ومن خلال دراسة(*) سابقة للمؤلف تبين لنا أن هناك متغيرات هامة تساعد الباحث على تبين المحتوى ومقاصده بصورة أفضل من بينها:

- نوعية الاهتمام المعطي من الوسيلة.
- درجة الاهتمام المعطي من الوسيلة.
- متغير الزمن.
- متغير المقارنة بين أداء الوسائل.
- متغير الإبراز في الصور والعناوين والأشكال الصحفية الأخرى.
- متغير اللغة غير اللفظية والمؤثرات الأخرى في المحتوى الإذاعي.. وهكذا يمكن للباحث استخدام أكثر من متغير حسب طبيعة الدراسة وحاجتها إلى ذلك.

فئات ومؤشرات التحليل:

تعتبر فئات COTEGORIES ومؤشرات INDICATORS التحليل من السمات الرئيسة التي أجمعت على أهميتها كل الكتب والدراسات والتي تناولت هذا الأسلوب، على أساس أنها الوسيلة التي تمكن الباحث من الوصول إلى تحليل علمي سليم.

فالفئات هي التصنيفات التي يضعها الباحث استناداً إلى طبيعة الموضوع ومشكلة البحث، كوسيلة يعتمد عليها في حساب تكرارات المعاني.. أما المؤشرات فهي المفهوم أو التعريف الذي تعنيه كل فئة، والإطار الذي يحدد استخدامها في القياس، ويبين للباحث حدود هذا الاستخدام. وكلما كانت الفئات محددة بصورة واضحة كلما كانت نتائج البحث أيضاً واضحة ومحددة.

(*) دراسة ماجستير غير منشورة، بعنوان السياسة الإعلامية في السودان، دراسة تحليلية لصحيفتي الأيام والصحافة (71 ـ 1975)، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، 1978.

وهناك تقسيمات متعددة للفئات منها:

أ ــ فئات ماذا قيل مثل:

1 ـ فئات تعالج موضوع التحليل.

2 ـ فئات تعالج الاتجاه.

3 ـ فئات تعالج القيم.

4 ـ فئات تعالج المصدر.

5 ـ فئات تعالج الإبراز والوسائل الإيضاحية.

6 ـ فئات تعالج الغرض من المادة.

7 ـ فئات تعالج السمات الشخصية.

ب ــ فئات كيف قيل؟ مثل:

1 ـ فئة شكل المادة.

2 ـ فئة شكل العبارة.

3 ـ فئة شدة الاتجاه.

4 ـ فئة اللغة المستخدمة.

5 ـ فئة المعالجة الفنية.. الخ.

ويرى بيرلسون BERLSON أن الفكرة الأساسية لقيام الفئات أنها تقدم عناصر جامعة UNIVERSE ITEMS للموضوعات قيد البحث.. وأن هذه العناصر يمكن أن نطلق عليها مؤشرات INDICATORS. وأن الوصول إلى اختيار الفئات لا بد أن يمر بثلاث مراحل هي:

* مسح أولي للمحتوى المخضع للدراسة للتعرف على المكونات العامة لهذا المحتوى.

* صياغة مؤشرات جامعة ومناسبة من واقع المحتوى والمكونات التي تم تحديدها في المرحلة الأولى وقد تظهر هذه المؤشرات في شكل جمل أو فقرات.

* تستنبط الفئات من هذه العناصر الجامعة على أن يُراعى فيها الملائمة الكاملة بينها وبين المؤشرات.. ويمكن في بعض الأحيان أن يحدث العكس بمعنى التوصل إلى الفئات أولاً ثم المؤشرات ثانياً في حالة وجود دراسة نظرية سابقة لعملية التحليل[29].

وينبغي أن يكون مفهوماً أن صياغة الفئات ومؤشرات التحليل، لا يكونان في صورتهما النهائية، لأنه وفي أثناء فحص المحتوى قد تتكشف للباحث فئات جديدة، تدخل في إطار موضوع التحليل، أو أن الفئة المستخدمة في إطار المؤشرات الموضوعة لها، لم تجد فهماً مشتركاً لها عند المحلل والمحكم الخارجي.. ولذلك فإن من أهم مقومات الموضوعية في التحليل، إخضاع الفئات للتجربة عن طريق محكم خارجي لتحديد نسبة الاتفاق بالعمل وفق الفئات بين الباحث والمحكم الخارجي، وذلك في إطار دراسة أولية يجريها الباحث لتجربة استمارة التحليل. ووفقاً لطريقة هولستي HOLSTI، فإن معامل الثبات في التحليل وفقاً للفئات يأخذ المعادلة التالية:

$$C.R = \frac{2M}{N1 + N2\ 2}$$

$$\text{معامل الثبات} = \frac{\text{2 ن}}{\text{ن 1 + ن 2}}$$

ن = عدد الحالات التي يتفق فيها الباحث والمحكم الخارجي.

ن 1 = عدد الحالات التي رمزها الباحث.

ن 2 = عدد الحالات التي رمزها المحكم الخارجي[30].

إن هذه الطريقة التي أُسندت في معظم المؤلفات العربية إلى هولستي HOLSTI، هي في واقع الأمر طريقة قديمة استخدمها بينيت BENNETT وألبرت ALPERT وجولدستين GOLDSTEIN في دراسة قاموا بها عام 1954[31].

ويركز هولستي على ضرورة تعريف الفئات بصورة محددة حتى يمكن تحديد أي الموضوعات يمكن أن يندرج تحت هذه الفئة أو تلك. . كما يرى إمكانية دمج الفئات مع بعضها البعض بعد القياس الكمي لها. . ولكن الذي لا يمكن إجراؤه هو تقسيم الفئة إلى فئات فرعية بعد إجراء القياس الكمي لها[32].

هذا بالإضافة إلى ضرورة استخدام الباحث للوحدات التي سيجري عليها التحليل، والوحدات التي سيتم بموجبها القياس وهي ما يعرف بوحدات التحليل والقياس. ومن أبرز وحدات التحليل: الكلمة، الموضوع، الفكرة، الشخصية، المادة، الكتاب، القصة، البرنامج. . الخ، أما وحدات القياس فتختلف حسب موضوع البحث وأهمها وحدة الصفحة، العمود، السنتميتر العامودي، الدقيقة، القدم، المتر. . . وما إلى ذلك.

مسح وسائل الإعلام:

إذا كان مسح جمهور الإعلام يستهدف قياس درجات الرضا عن الأداء الصحفي والبرامج التي تقدمها الإذاعة المسموعة والمرئية، والاستعانة بآراء المتلقين لخدمات هذه الوسائل في تطوير نوع الخدمة الإعلامية التي تقدمها كل وسيلة.

فإن دراسات مسح وسائل الإعلام، تهدف إلى التعرف على شخصية الوسيلة الأعلامية في جوانب مختلفة أهمها:

1 ــ دراسة «أرقام التوزيع الخاصة بكل صحيفة، وتطورها من ناحية التوزيع الجغرافي» وفي ذلك يمكن التعرف على جانبين هما:

أ ــ جغرافية توزيع الصحف بالنسبة لعدد السكان وكذلك الأمر بالنسبة لعدد المتعلمين على مستوى الدولة أو البلديات أو المدن.

ب ــ انعكاس جغرافية توزيع الصحف على نوعية الأداء الصحفي

المقدم حول مختلف القضايا والموضوعات على مستوى الدولة أو البلديات أو المدن.

2 ـ عدد أجهزة الإذاعة المسموعة والمرئية وأجهزة التسجيل وتوزيعها الجغرافي ومراكز الثقل في هذا التوزيع. . ونسبتها إلى عدد السكان أو المتعلمين. .

3 ـ مقارنة الأداء الصحفي والإعلامي بالنسبة لقضايا معينة في وسائل الإعلام المختلفة.

4 ـ دراسة الخصائص الكامنة في كل وسيلة من وسائل الإعلام ومدى توظيف هذه الخصائص في معالجة قضايا بعينها.

5 ـ الإذاعات والصحف المحلية والإقليمية، سماتها وخصائصها، ودورها في تنمية المجتمعات المحلية والإقليمية.

6 ـ دراسة وضعية المصدر في كل وسيلة، ونوعية المصادر التي تعتمد عليها وارتباط ذلك بالصورة الذهنية التي يكونها الجمهور عن كل وسيلة.

7 ـ دور المصدر في تحديد اتجاهات وسياسات الوسائل الإعلامية وأثر ذلك على الجمهور.

8 ـ تحديد نسبة الانقرائية(*) والمقروئية(**) من وفي كل صحيفة.

ومن الدراسات التي تناولت وسائل الإعلام، تلك الدراسات التي تناولت:

1 ـ تقويم تجربة التلفزيون التعليمي في الكويت (الكويت 1974).

2 ـ تقويم تجربة التلفزيون التعليمي في مصر (القاهرة 1974).

(*) الانقرائية: عدد الذين يقرأون النسخة الواحدة من الصحيفة.

(**) المقروئية: عدد الذين يقرأون مواد بعينها في الصحيفة.

3 ــ جغرافية توزيع الصحافة اليومية في السودان عام 1975 (القاهرة 1975).

4 ــ جغرافية توزيع الصحافة اليومية في السودان عام 1984 (الخرطوم 1984).

وقد تناولت الدراسات جغرافية توزيع جريدتي الأيام والصحافة على ثلاث مستويات (الدولة ـ المديريات ـ المدن الكبرى) مع قياس نسبة التوزيع بالنسبة لعدد السكان، وعدد المتعلمين على مستوى الدولة.

5 ــ بناء الاتصال في قرية عصفور، محافظة الدقهلية (القاهرة 1979).

6 ــ بناء الاتصال في قرية زاوية أبو سلم محافظة الجيزة (القاهرة 1979).

7 ــ إذاعة صفاقس.. تاريخها.. تنظيمها.. تطورها (تونس 1973).

8 ــ إذاعة تونس الدولية (تونس 1979).

9 ــ وضع الإذاعات الوطنية في البلدان غير المنحازة (تونس 1977).

10 ــ الإذاعة المحلية لشمال الصعيد (مصر 1983).

11 ــ إذاعة العريش المحلية (مصر 1984).

مسح أساليب الممارسة:

ويقصد بأساليب الممارسة في مجال الإعلام «دراسة الجوانب الإدارية والتنظيمية التي تتبعها أجهزة الإعلام وإدارتها في مختلف المجالات الإعلامية، وذلك بهدف تصوير الواقع التطبيقي الفعلي، والتعرف على الطرق التي تتبعها هذه الأجهزة في ممارسة نشاطاتها المختلفة، باعتبار أن نجاح الجهود الإعلامية ينبني أساساً على مدى فعالية الجوانب التنظيمية والإدارية لها»[33].

ويتضح من هذا التعريف، أن مسح أساليب الممارسة يدخل في إطار اقتصاديات الإعلام، ويمكن أن يشمل الجوانب التالية:

1 ــ التعرف على الهياكل التنظيمية والإدارية للمؤسسات والمرافق الإعلامية، والعيوب التنظيمية التي تعاني منها.

2 ــ نظم تسيير المؤسسات الإعلامية.

3 ــ دراسة نوعية المشكلات الإدارية والتنظيمية وانعكاسها على مستوى الأداء الإعلامي أو الصحفي.

4 ــ دراسة القوانين المنظمة لوسائل الإعلام في الدول المختلفة وأثرها على مستوى الأداء.

5 ــ دراسة العاملين في وسائل الإعلام المختلفة، وتقسيماتهم من حيث طبيعة العمل والمؤهل العلمي وسنوات الخبرة وبرامج التدريب وما إلى ذلك.

6 ــ السياسات وبرامج التخطيط الإعلامي والميزانيات وتأثير ذلك على الأداء الإعلامي، وتحقيق الأهداف المعلنة في مجالات التدريب، والبحوث، وتطوير التقنية، وما إلى ذلك.

إن التقسيمات التي وردت تحت الأنواع السابقة لمسوح الإعلام ما هي إلا جزء يسير من كثير. وقد رأينا عرض بعضها كنماذج مهتدين بما أورده الدكتور سمير محمد حسين في كتابه «بحوث الإعلام: الأسس والمبادىء» غير أن هناك تقسيمات عديدة يمكن أن تندرج تحت أنواع المسح في بحوث الإعلام من بينها على سبيل المثال:

ــ مسح أساليب الدعاية.
ــ مسح أساليب الإعلام الموجه.
ــ مسح أساليب الإعلام المضاد.
ــ مسح أساليب التسميم الإعلامي.

2 ـ طريقة دراسة العلاقات المتبادلة:

تكتفي الدراسات المسحية بجمع البيانات والمعلومات عن الظواهر والقضايا والمشكلات والمواقف التي تقوم بدراستها من أجل تقديم وصف لها كمرحلة أولى، ثمّ تفسير هذه المعلومات لفهم هذه الظواهر أو القضايا أو المشكلات أو المواقف بصورة أفضل. .

إلا أن دراسة العلاقات المتبادلة، وإن كانت لا تستغني عن الوصف والتفسير، إلا أنها تتعداهما إلى حيث الاهتمام بدراسة العلاقات القائمة بين المتغيرات وتحليلها والتعمق فيها لمعرفة نوع ودرجة الارتباط القائمة بينها.

ويصف دالين دراسات العلاقات المتبادلة بقوله: «لا يقنع بعض الباحثين بمجرد الحصول على أوصاف دقيقة للظاهرات السطحية. . ولكنهم يسعون أيضاً إلى تعقب العلاقات بين الحقائق التي حصلوا عليها بغية الوصول إلى بُعد أعمق بالظاهرات».

ويضيف الدكتور سمير معززاً هذه الفكرة قوله: «في هذا النوع من الدراسات، يسعى الباحثون إلى دراسة العلاقات بين الحقائق التي تم الحصول عليها بهدف التعرف على الأسباب التي أدت إلى حدوث الظاهرة، والوصول إلى استنتاجات وخلاصات لما يمكن عمله لتغير الظروف والعوامل المحيطة بالظاهرة في الاتجاه الإيجابي وذلك كله على أساس بصيرة أعمق بالظاهرة موضع البحث نتيجة إجراء هذا النوع من الدراسات التشخيصية NORMATIVE».

وفي تقديرنا أن أهمية دراسة العلاقات المتبادلة بين الظواهر أو بين المتغيرات، لا تقف عند هذا الحد. . بل تتيح فهماً أعمق لها. إن فهم طبيعة هذه العلاقات أو كشف ارتباطاتها، لن يتحقق بصورة جيدة إلا بالربط بين الظاهرة المراد تفسيرها من جهة، وبين الأحداث التي تلازمها أو تسبقها من جهة أخرى.

ويجب على الباحثين أن يفرقوا بين فهم الظاهرة بهذا المعنى، وبين مجرد وصف الظاهرة. فالفهم لا يتحقق ما لم نربط بين الظاهرة كمتغير تابع ومتغيرات أخرى خارجة عنها، ويعتبر وجودها مسؤولاً عن حدوث الظاهرة. بمعنى أنها توجد إذا وُجدت، وتغيب إذا غابت وتزيد أو تنقص إذا زادت أو نقصت.

وباختصار، فإن طرق دراسة العلاقات المتبادلة تبحث كتفسير الظاهرة عن ظروف خارجة عنها، تربطها بها علاقة وظيفية مثل العلاقة بين برامج الأطفال المرئية وسلوك الطفل المشاهد لهذه البرامج.

وعلى ذلك فإن دراسة العلاقات المتبادلة تقوم على ما يسمى بالمتغيرات، حيث يتم تفسيرها بثلاث عناصر هي:

العنصر الأول: المتغير التابع: DEPENDENT VARIABLE: وهو المتغير الذي يعتمد على ظروف أخرى أو / متغير آخر مسؤول عن حدوثه.

العنصر الثاني: المتغير المستقل: INDEPENDENT VARIABLE: وهو الظرف أو الحدث المسؤول عن وقوع الظاهرة التي ندرسها.

العنصر الثالث: العلاقة الوظيفية التي تقوم بين المتغير التابع من ناحية والمتغير المستقل من ناحية أخرى. وقد تكون هذه العلاقة ارتباطية أو تبادلية أو توافقية.

وفقاً لوجهة نظر من تناولوا طريقة دراسة العلاقات المتبادلة، فإن هذه الطريقة تتفرع منها الأساليب البحثية التالية:

1 ــ أسلوب دراسة الحالة.
2 ــ أسلوب الدراسة السببية المقارنة.
3 ــ أسلوب الدراسة الارتباطية.

دراسة الحالة: CASE STUDY:

احتدم الخلاف بين المؤلفين والباحثين في مناهج البحث، حول دراسة

الحالة، هل هي منهج أم وسيلة لجمع البيانات والمعلومات؟ وهو خلاف شائع ليس في دراسة الحالة فحسب، بل هناك أكثر من مجال بحثي احتدم فيه هذا الخلاف. منها على سبيل المثال دراسات تحليل المضمون.

ومن الطبيعي، أن حسم مثل هذه الخلافات لا يحدث إلا بالكشف عن الإطار المرجعي الذي انطلق منه كل مؤلف أو باحث في تصنيفه لأنواع البحوث، ولذلك، فإن استخدام الأساليب والطرق البحثية يتحدد وفقاً لطبيعة البحث الذي يقوم فيه، ولا سبيل لإنكار أن دراسة الحالة، وتحليل المضمون، يمكن استخدامهما، تارةً كوسيلة لجمع البيانات والمعلومات وتارةً أخرى كمنهج تخضع له الدراسة بأكملها. وليس في ذلك ما يعيب، طالما أن الباحث اعتمد على الأسلوب العلمي والخطوات المنهجية في دراسة مشكلته العلمية.

ويذهب قاموس علم الاجتماع الذي وضعه فير تشايلد FAIR CHILD إلى أن دراسة الحالة **منهج في البحث الاجتماعي عن طريقة يمكن جمع البيانات والمعلومات ودراستها بحيث يمكن رسم صورة كلية لوحدة معينة في علاقاتها المتنوعة وأوضاعها الاجتماعية. ويمكن أن تكون هذه الوحدة، شخصاً أو أسرة أو جماعة أو نظام معين، أو مجتمع محلي أو وطن معين.**

و «يعتبر هربرت سبنسر أول من استخدم دراسة الحالة، استخداماً واسع المدى، وذلك في محاولته التي بذلها لجمع أكبر قدر من الوثائق الأثنوجرافية عن الإنسان البدائي بحسبانه الوحدة الاجتماعية الأولية»[34].

ويقوم أسلوب دراسة الحالة، كأحد أساليب المنهج الوصفي بدور تشخيصي. وهو دور ينعكس في مرحلتين أساسيتين:

الأولى: وصف الحالة التي يقع السلوك في مجراها.

الثانية: دراسة السلوك داخل الموقف الذي يقع فيه.

واستناداً إلى هاتين المرحلتين، فإن أسلوب دراسة الحالة، يستهدف دراسة السلوك قبل وبعد الموقف المطلوب دراسة الحالة فيه، حيث يمكن

إجراء المقارنة لمعرفة نتيجة التغير الذي أحدثه الموقف في الحالة.

وفي مجال دراسات الإعلام، وتطبيقاً لذلك يمكن أن نتناول دور **وسائل الإعلام في التغير الاجتماعي في قرية بنينة**، على سبيل المثال.

ففي المرحلة الأولى تستهدف دراسة الحالة في هذا المثال تقديم وصف للحالة المخضعة للدراسة «قرية بنينة»، للتعرف على الموقف الكلي أو مجموعة العوامل الثابتة التي تمثل مكونات أساسية للحالة ولهذا يمكن دراسة القرية من حيث:

1 ـ تاريخ القرية بالرجوع إلى الكتب والمراجع والمؤلفات القديمة والوثائق الرسمية والمصادر الحية.

2 ـ دراسة الحالة الاجتماعية للقرية بالرجوع إلى الإحصائيات والبيانات الرسمية للتعرف على عدد السكان، وعدد الأسر، سجلات المواليد والوفيات، حالات الزواج والطلاق والوحدات السكنية. . وغيرها.

3 ـ دراسة الحالة الاقتصادية للقرية، المهن السائدة والمهن الأكثر شيوعاً، كالزراعـة، مساحة الأرض الزراعية.

4 ـ سبل الاتصال بأقرب المدن، المواصلات، عدد السيارات ووسائل النقل الأخرى.

5 ـ المرافق والمؤسسات الخدمية، كالمدارس، المستوصف، خدمات البريد، الأندية، خدمات الأمن، الجمعية التعاونية، الأسواق.

6 ـ عدد أجهزة الراديو والتلفزيون في القرية.

7 ـ الصحف والمجلات التي تصل إلى القرية بصفة منتظمة.

وفي المرحلة الثانية:

تستهدف الدراسة الكشف عن الدور الذي لعبته وسائل الإعلام في التغيير الاجتماعي بإخضاع عينة ممثلة أصدق تمثيل للقرية (كمجتمع للبحث)

لاستبيان ومقابلات وملاحظات بهدف التعرف على اتجاهات التغير ودور وسائل الإعلام في ذلك من حيث:

ـ مدى المعرفة بالقضايا المحلية.

ـ مدى المعرفة بالقضايا القومية.

ـ مدى المعرفة بالقضايا السياسية.

ـ مدى المعرفة بالقضايا الاجتماعية.

ـ مدى المعرفة بالقضايا الثقافية.

ـ التعرض لوسائل الإعلام.

ـ التعلم من وسائل الإعلام.

ـ تملك الأجهزة... وما إلى ذلك.

واستناداً إلى هذا المثال يمكن لنا أن نصيغ التعريف التالي لهذا الأسلوب من واقع الدراسات الإعلامية.

«**دراسة الحالة**: أسلوب منهجي يستهدف تقديم وصف لحالة أو سلوك أو موقف أو جماعة، بغرض الكشف عن خصائص ظاهرة معينة عن طريق دراسة العلاقة بين عناصر الظاهرة ومكوناتها والعوامل الداخلة فيها، في إطار إعلامي معين».

وعلى ذلك التعريف، فإن دراسة الحالة يقع في إطار مفهومين:

الأول: دراسة الحالة كوسيلة من وسائل جمع المعلومات.

والثاني: كأسلوب يستخدم في أغراض المنهجية العلمية.

واستناداً إلى ما سبق يمكن استخدام دراسة الحالة في العديد من البحوث والدراسات الإعلامية على النحو التالي:

1 ـ في الدراسات التي تستهدف الكشف عن الدور الذي تقوم به وسائل الإعلام في تغيير المفاهيم والاتجاهات وأنماط السلوك «التغيير الاجتماعي، نشر الوعي الصحي، ترشيد الاستهلاك.. الخ».

2 ـ في الدراسات التي تستهدف الكشف عن الأثر الذي تحدثه وسائل الإعلام في الحالة أو مجموعة الحالات التي تخضع للدراسة «انحراف الأحداث، قدرات الذكاء والاستيعاب والتعلم، توسيع المدارك» مع الإقرار بمبدأ تعدد الأسباب في الظواهر الاجتماعية.

3 ـ في الدراسات التي تستهدف الكشف عن فشل أو نجاح البرامج الإعلامية الموجهة في فترات زمنية محددة.

4 ـ في دراسة نماذج بشرية إعلامية من خلال إبداعاتها ومواقفها ومساهماتها وغيرها من المعلومات التي تكمل الحياة الذهنية والشخصية للنموذج.

ومن استخدامات دراسة الحالة في مجال البحوث الإعلامية يتضح لنا:

1 ـ أن دراسة الحالة تشبه إلى حد كبير أسلوب المسح في كونها تعتمد على مجموعة واسعة من أدوات البحث كالملاحظة، والمقابلة، والمشاهدة، والمشاركة، والاستبيان، والتحليل الإحصائي... الخ التي تكمل ما ورد في التقارير والوثائق والسجلات الرسمية.

2 ـ يتداخل المنهج التاريخي مع دراسة الحالة إذ يشمل تاريخ الحالة، فقد تكون الحالة حي أو قرية أو قد تكون الحالة شخصاً. وفي دراسة تاريخ الحالة لا يكتفي الباحث بالحصول على المعلومات من الحالة، وإنما يحصل عليه أيضاً من مختلف المصادر والوثائق للتثبت من صحة البيانات(*). في حين أن دراسة التاريخ الشخصي يكتفي بالمعلومات التي تقدمها الحالة شفاهة أو كتابة في صورة مذكرات أو يوميات أو مؤلفات أو مقالات، وكل ما يتعلق بخبرات الفرد الماضية وسلوكه واتجاهاته وسماته الشخصية.

(*) د. عاطف غيث، القرية المتغيرة: القيطون، محافظة الدقهلية دراسة في علم الاجتماع القروي (المكتبة الاجتماعية، دار المعارف، القاهرة 1962)، ص ـ ن من المقدمة.

أسس دراسة الحالة في البحوث الإعلامية:

1 ــ تحديد مشكلة البحث، وصياغة أهدافها ومتطلباتها الإجرائية الأخرى.

2 ــ تحديد المفاهيم والمصطلحات المستخدمة في البحث بهدف التثبت من حدود استخدام كل مفهوم.

3 ــ تحديد الحالة التي سيجري بحثها وأسباب تحديدها.

4 ــ البحث وراء البيانات التي تلقي الضوء على تاريخ الحالة في الماضي، وطبيعتها في الحاضر.

5 ــ البحث عن البيانات والمعلومات التي قد تلقي الضوء على العمليات والعوامل المسببة ومعدل التغيير واتجاهه عن طريق تحديد أدوات البحث المناسبة لدراسة الحالة.

6 ــ التعامل مع مفردات الحالة التي وقع الاختيار عليها، ودراستها دراسة متعمقة في الإطار الإعلامي للدراسة باعتبارها وحدات ممثلة لمجتمع الحالة.

7 ــ البحث عن الاتجاهات والقيم والمواقف والأنشطة التي استهدفها الإطار الإعلامي من خلال دراسة بعض النماذج التي تتسم بقدر من الثبات والاستمرارية.

8 ــ مقارنة الاتجاهات والقيم والمواقف التي تبين سمات الحالة في الماضي ووضعيتها الحالية .

9 ــ التعامل مع دراسة الحالة، كدراسة استطلاعية تستهدف الكشف عن درجة التداخل النسبي بين الدراسة الإعلامية بغرض الوصول إلى الفروض أو الاحتمالات التي يمكن إخضاعها للمزيد من البحث العلمي الدقيق.

10 ــ تحليل البيانات والمعلومات قبل وبعد إجراء المقارنة وفقاً للأسس التالية:

أ ـ تحليل عام للموقف بغرض استخلاص السمات العامة للحالة.

ب ـ تحليل جزئي للمواقف المتباينة بغرض استخلاص السمات الخاصة التي تميز بعض المجموعات داخل الحالة.

جـ ـ تحديد الخصائص والسمات النهائية للحالة، وتبيان مدى اختلافها أو اتفاقها مع الحالات الأخرى.

11 ـ تفسير البيانات، لفهم العلاقات القائمة بين مكونات الحالة والعوامل الداخلة فيها، بهدف الوصول إلى تعميمات أو صياغة أحكام أو نتائج مدعمة بالمبررات والأسانيد والشواهد الكافية التي تصف بدقة العلاقات المتداخلة بين المتغيرات التي تتفاعل مع بعضها البعض باستمرار في إطار الحالة (الناس، الدوافع، الاتجاهات، الآراء، المواقف) وفي الإطار الإعلامي المعد للدراسة. ويمكن استخدام [معامل الارتباط، معامل الاقتران، معامل التوافق] في إدراك طبيعة هذه المتغيرات.

ومن أشهر الدراسات التي طبقت أسلوب دراسة الحالة على مجتمعات محلية، دراسة الدكتور محمود عودة «أساليب الاتصال والتغيير، دراسة ميدانية في قرية مصرية». ودراسة الدكتورة شاهيناز طلعت، وسائل الإعلام والتنمية الاجتماعية، دراسات نظرية مقارنة وميدانية في المجتمع الريفي.

الدراسة السببية المقارنة:

البحوث الاسترجاعية: EXPOST FACTO RESEARCH:

أثبتت الدراسة السببية المقارنة، أهميتها البالغة في معالجة بعض أوجه القصور، وتخطي الصعوبات التي تواجه استخدام بعض المناهج في الدراسات الإعلامية، وعلى الأخص المنهج التجريبي.

فقد ظهرت بعض الشكلات البحثية، في مجال الدراسات الإعلامية لا يمكن دراستها باستخدام المنهج التجريبي، نظراً لتشابك المتغيرات التي تؤثر

في حدوث بعض الظواهر مما يقلل من إمكانية ضبط العوامل اللازمة لدراسة علاقات السبب والأثر في تجارب بيئية مصطنعة، هذا بالإضافة إلى أن إجراء بعض التجارب لقياس علاقات السبب والأثر في مجال الدراسات الأعلامية، «يعد إجراءً غير إنساني كتعرض أطفال سويين لمشاهدة أفلام الجريمة، ومشاهد العنف، لدراسة تأثيرها على أنماط سلوكهم وتغيير اتجاهاتهم، وهي نوع من التجارب التي تؤدي إلى حدوث نتائج سيئة على سلوك هؤلاء الأطفال السويين»[35].

ولهذين السببين يتحول الباحث إلى استخدام أسلوب الدراسات السببية المقارنة الذي يدرس المواقف كما تحدث في الحياة العادية أو في وضعها الطبيعي، دون تدخل الباحث في تجهيز وإعداد التجارب.

وبذلك يتحول الباحث إلى إجراء دراسة سببية مقارنة بين مجموعة من الأطفال الذين تعرضوا فعلاً لمشاهد عنف وجريمة. ثم يقارن المواقف والسلوك من خلال عقد المقارنات بين أوجه الاختلاف وأوجه التشابه لمعرفة أثر العامل أو المتغير التجريبي (مشاهد العنف والجريمة) كسبب في حدوث ظاهرة انحراف السلوك مثلاً.

ومن هنا يمكن القول إن الدراسة السببية المقارنة تعتبر من مستلزمات البحوث العلمية، خاصة عند دراسة الظواهر التي يصعب إجراء التجارب البيئية أو الطبيعية المصطنعة وذلك للأسباب التالية:

1 ــ أنها «أي الدراسة المقارنة» تتيح عقد المقارنات لجوانب الاتفاق والاختلاف بين عدد من الظاهرات في وضعها الطبيعي أي كما حدثت فعلاً لمعرفة العامل أو المتغير التجريبي، الذي يتكرر مصاحباً لأحداث أو ظروف أو ظاهرة معينة. «أفلام العنف والجريمة متغير تجريبي ـ ظاهرة الانحراف».

2 ــ إنها تتيح إمكانية التعرف على التأثير المسبب لبعض العوامل والمتغيرات التي أدت إلى حدوث الظاهرة «ظاهرة الوعي السياسي

داخل مجتمع معين في مراحل تاريخية مختلفة، ودور وسائل الإعلام».

3 ــ إنها تتيح إمكانية دراسة الظاهرة الإعلامية في مجتمعين مختلفين مثل «مقارنة أوجه الاختلاف والاتفاق في بحوث الرأي العام في مجتمع أوربي وآخر عربي» مثلاً.

4 ــ إنها تتيح إمكانية دراسة الظاهرة الإعلامية في مجتمعين متشابهين «مثل دراسة دور وسائل الاتصال في تنمية المجتمعات المحلية» في قطرين عربيين تتشابه ظروفهما السياسية والاجتماعية.

5 ــ إنها تتيح إجراء المقارنة التاريخية للظواهر الإعلامية (مثل مقارنة ظروف وأسباب نشأة الصحافة العربية، والصحافة الإفريقية).

ومما سبق يتضح لنا سمات وخصائص الدراسات السببية المقارنة على النحو التالي:

1 ــ إن هذا الأسلوب المنهجي يتعدى الكشف عن ماهية الظاهرة، إلى معرفة أسباب حدوثها وكيفية حدوثها.

2 ــ إن هذا الأسلوب المنهجي يقارن وجوه الشبه والاختلاف بين الظواهر بغية اكتشاف [المتغيرات، العوامل] والظروف التي تصاحب حدثاً معيناً أو واقعة معينة.

3 ــ إن هذا الأسلوب المنهجي في بحثه عن سبب الظواهر لا يرتب ولا يجهز التجارب، كما يحدث في المنهج التجريبي، وإنما يدرس الظاهرة في إيقاعها العادي ووضعها الطبيعي دون تدخل من جانب الباحث.

4 ــ للتحكم في المتغير الذي يسبب الظاهرة كأفلام العنف والجريمة، يمكن للباحث أن:

أ ــ يجري المقارنة بين الأفراد الذين تعرضوا للمتغير «أفلام العنف والجريمة».

ب ــ أن يقصر الدراسة على أشخاص تجمعهم صفات معينة،

«يعيشون في مركز لرعاية الأحداث» مثلاً وأن يثبت أن أفراد العينة كانوا متشابهين قبل تعرضهم لهذا المتغير.

جـ ـ «أن يحاول تحديد العلاقة الزمنية لحدوث المتغيرين المرتبطين»[36] (المتغير المستقل، أفلام العنف والجريمة، والمتغير التابع ـ الانحراف).

إلا أن هناك حدوداً تقيد الباحث الذي يستخدم أسلوب الدراسة السببية المقارنة أهمها: **أن هذا الأسلوب يتطلب التعرف على عامل واحد مسبب لحدوث الظاهرة أو غيابها، ونادراً ما يكون الأمر كذلك في الدراسات الاجتماعية حيث تتعدد الأسباب، وتتداخل المتغيرات.** فقد تُنتج الدراسة المقارنة عن سبب معين أدى إلى حدوث الظاهرة في حالة، وعن سبب آخر أدى إلى حدوث نفس الظاهرة في حالة أخرى»[37].

ولذلك فإن الدراسة السببية المقارنة لا بد أن تصمم على قاعدة قوية تسمح باستنتاج السببية، وذلك بالتحكم في المتغير التجريبي عن طريق سحب العينة من الأفراد الذين تعرضوا للمتغير التجريبي أو على وشك التعرض له. على أن نضع في اعتبارنا أن اختبار الفرض السببي في الدراسات السببية المقارنة ـ أي في الدراسات السببية غير التجريبية لا يوفر الضمان الكافي كما هو حادث في دراسات السبب والأثر ـ المنهج التجريبي ـ التي تختار فيها عينة الدراسة عشوائياً حيث يتم توزيع أفراد العينة إلى جماعات ضابطة وتجريبية.

وحتى إن وجدت علاقة سببية بين متغيرين فإن ذلك لا يعني أن المتغير التجريبي هو السبب في حدوث الظاهرة في كل الأحوال.

فعلى سبيل المثال، لو درسنا دور التلفزيون [متغير تجريبي نرمز له بالحرف س] في رفع درجة الوعي السياسي [ظاهرة أو متغير تابع نرمز له بالحرف ص] فالنتيجة واحدة احتمال أن يكون المتغير (س) قد أدى إلى حدوث الظاهرة المتبلورة في المتغير التابع (ص)، ولكن لا يؤكد حدوثها في

كل الأحوال. وهنا يكون المتغير التجريبي (س) أي التلفزيون قد عمل **كعامل مساعد** أي عمل في ظروف مساعدة أدت إلى حدوث الظاهرة (ص).

وقد استخدمنا كلمة **احتمال**، لأن المتغير (س) الذي عمل كعامل مساعد أو كظرف مساعد تحت أوضاع سياسية أو ثقافية أو اجتماعية أو إعلامية معينة، قد لا يقوم بنفس الدور تحت أوضاع أو ظروف أخرى.

فالظروف التي تجعل من متغير ما عاملاً مساعداً أو ظرفاً مساعداً لحدوث ظاهرة ما أو متغير تابع ما نطلق عليها ظروفاً توافيقية CONDINGENT CONDITIONS. . ولا بأس في ذلك فمنهجية الدراسات الاجتماعية في عمومها تهتم بالبحث عن هذه الظروف التوافقية، لأنها تجعل العامل المساعد أحد أسباب حدوث الظاهرة كما تهتم أيضاً بالظروف التبادلية ALTERNATIVE CONDITION لأنها تزيد من احتمال حدوث الظاهرة عن طريق عامل مساعد آخر للمتغير التجريبي، بحيث يعملان معاً على حدوث الظاهرة.

والفرق بين الظروف التوافقية والظروف التبادلية:

أن **الأولى** تعمل بالمتغير التجريبي وتحوله من مسبب للظاهرة إلى عامل مساعد لحدوثها.

والثانية تعمل بأكثر من متغير تجريبي لوجود أكثر من فرض سببي يؤدي إلى الظاهرة.

إلا أن كل منهما يجعل المتغير التجريبي عاملاً مساعداً لحدوث الظاهرة، وليس مسبباً لها.

وعلى ذلك يمكن القول إن الدراسات السببية المقارنة تختبر المتغيرات أو الفروض التي تسبب الظاهرة، ولكن في وضعها الطبيعي، أي دون إجراء أي نوع من التجربة. ولأن الدراسة السببية تدرس الظاهرة في وضعها الطبيعي، فلا مجال إذن لإغفال أو عزل الظروف التي نشأت أو ظهرت في

ظلها الظاهرة سواء أكانت ظروفاً توافقية أو تبادلية. ولهذا فإن هذا النوع من البحوث لا بد أن يقدم نتائجه في إطار ثلاثة أنواع من الأدلة لتحديد وضعية المتغيرر السببي(س) وعلاقته بالمتغير التابع، الظاهرة (ص)، وتعتبر هذه الأدلة الثلاثة قواعد أساسية في عملية استنتاج السببية سواء أكان الأمر في هذا النوع من الدراسات السببية أو في دراسات المنهج التجريبي. والأدلة هي[38]:

1 ــ دليل التغير الاقتراني:

التغير الاقتراني، يعني ارتباط المتغير التابع (ص) بالمتغير المستقل (س) تبعاً لاستنتاجنا الموضوع في الفرض السببي.

ولتوضيح هذه النقطة نتناول بالشرح المثال السابق لبحث العلاقة بين البرامج السياسية في الإذاعة وظاهرة الوعي السياسي في المجتمع الليبي. على فرض أن الظاهرة قد نجمت عن البرامج السياسية في الإذاعة.

وهنا نبدأ بفحص الفرض في إطار التغير الاقتراني لنتبين الدليل على أن ظاهرة الوعي السياسي، قد حدثت نتيجة البرامج السياسية في الإذاعة.

ولاستحالة إثبات هذا الأثر إثباتاً مباشراً، بمعنى القطع بأن البرامج السياسية (س) هي التي أدت إلى ظاهرة الوعي السياسي (ص)، فإن الأمر يستلزم دراسة الظاهرة في إطار الظروف الأخرى التي جعلت حدوث الظاهرة أمراً محتملاً.

وهنا تتجه الدراسة إلى التعرف على الظروف التوافقية التي تجعل من المتغير السببي (س) عاملاً مساعداً لحدوث الظاهرة، فلو دلت النتائج أن البرامج السياسية (متغير س) قد أدت تحت الظروف التوافقية إلى حدوث (المتغير ص) أي ظاهرة الوعي السياسية، يمكننا أن نثبت وجود علاقة سببية بالقول إن الفرض «**فرض يعتمد عليه**» أو أن نقول إن نتائج الدراسة لا تتعارض مع القول **بصحة الافتراض**»[39].

ونلاحظ هنا أننا استخدمنا في رصد النتيجة تعبير «فرض يعتمد عليه»، وتعبير «صحة الافتراض» ولم نستخدم تعبير إثبات الفرض، لأننا كما أوضحنا

أن الظواهر الاجتماعية، يصعب إصدار أحكام قاطعة بشأنها في هذا النوع من الدراسات.

2 ــ دليل الترتيب الزمني لحدوث المتغيرات:

ويستخدم الترتيب الزمني لحدوث المتغيرات كدليل على أن السبب قد سبق الأثر من الناحية الزمنية، أي التأكد من أن ظاهرة الوعي السياسي (ص) قد جاءت كمتغير تابع للبرامج السياسية في الإذاعة كمتغير مستقل (س).

وهنا يجب ملاحظة أن (س) لا يمكن أن تعتبر سبباً في حدوث (ص) إلا إذا سبقتها من الناحية الزمنية.

وقد يحدث أن السبب والأثر يحدثان في وقت واحد بحيث يصعب تبين الأثر من السبب أو العكس. وفي هذه الحالة نقول إن طرفا العلاقة (س، ص) قد تبادلا موقعهما الوظيفي في الموقف الواحد (فأصبح الأثر سبباً، والسبب أثراً).. وتسمى العلاقة السببية في هذه الحالة بالعلاقة السببية التناسبية[40] (SYMMETRICAL).

وعلى الرغم من أنه من المفيد أن نعرف أيهما حدث أولاً، إلا أن هذا لا يكفي لإثبات السببية، طالما أن هناك ظروفاً توافقية أو تبادلية، قامت في ظلها عوامل أخرى، لعبت دورها في ظهور الأثر..

وفي المثال الذي أوردناه عن ظاهرة الوعي السياسي في المجتمع الليبي، يمكن أن تقوم ظروفاً عديدة كالاتصال الشخصي، والمشاركة في المؤتمرات الشعبية، والمناقشات التي تدور في التجمعات السكانية، ووسائل الإعلام الأخرى وغيرها من العوامل والتي جعلت منها الظروف، عوامل مساعدة لحدوث ظاهرة الوعي السياسي.

3 ــ دليل استبعاد العوامل السببية الأخرى المحتملة:

العوامل السببية المحتملة هي العوامل التي أخذت طابعاً سببياً في إطار الظروف التوافقية أو التبادلية. وهي مسألة طبيعية في الظواهر الاجتماعية التي

تدرس على طبيعتها دون إجراء التجارب عليها. لأن مثل هذه الظواهر يتأثر بحكم طبيعته الديناميكية بمتغيرات أخرى، فيجب على الباحث، وهو يقيس العلاقة السببية بين (متغير س، ومتغير ص) أن يدرس جميع العوامل السببية المحتملة، حتى يتبين مدى تأثيرها على المتغير السببي (ص) بحيث يتم استبعاد أي عامل لا يثبت عدم تأثيره.

واستطراداً للمثال السابق الذي أوردناه يمكن القول إن هناك عوامل أخرى ذات تأثير في ظاهرة الوعي السياسي، عملت جنباً إلى جنب مع البرامج السياسية في الإذاعة (س) مثل:

1 ـ الاتصال الشخصي.

2 ـ المشاركة في المؤتمرات الشعبية.

3 ـ المناقشات التي تدور في التجمعات السكانية.

4 ـ وسائل الإعلام الأخرى..

وغيرهـا.

وهنا يفحص الباحث هذه العوامل حتى يتأكد من حدوث تأثيرها من عدمه.. ليصل إلى استنتاجه النهائي حول الفرض الذي بدأ منه دراسته أي تأثير البرامج السياسية على ظاهرة الوعي السياسي في المجتمع الليبي.

ويجب أن يكون معلوماً أن الأدلة الثلاثة على الرغم من ترابطها، وضرورتها كأساس علمي لعملية الاستنتاج السببي، إلا أنها وفي كل الأحوال لا توفر التأكيد المطلق للاستنتاج بمعنى أننا لا نجزم بالعلاقة السببية حتى في حالة قيام الأدلة الثلاثة.. ولكننا نقول «بصحة الافتراض»، «أو أن الفرض يعتد به» ولكن لا يمكن القول إن الفرض قد ثبتت صحته.

ومن هنا ظهرت أهمية التصميمات التجريبية التي تهيء إطاراً أكثر دقة وكفاءة في الوصول إلى العلاقة السببية، وهذا ما سنقوم بدراسته في إطار المنهج التجريبي.

الدراسات الارتباطية:

إذا كانت الدراسة السببية المقارنة تهتم بدراسة المواقف والظواهر كما تحدث في الحياة العادية لمعرفة العامل أو المتغير التجريبي المسبب في حدوث الظاهرة، فإن الدراسة الارتباطية لا تشير إلى العلاقة السببية وإنما تتوجه إلى معرفة العلاقة بين المتغيرات ودرجة ارتباطها مع بعضها البعض.

وتضطلع الدراسات الارتباطية بمهمة **تحليل العلاقات بين المتغيرات التي تتحكم في الظاهرة، وتحديد حركتها وتقدير أبعادها وأهميتها في التأثير الكلي على الظاهرة.**

وتعمل الدراسات الارتباطية على تحديد قوة واتجاه ارتباط المتغيرات بمتغيرات أخرى سواء أكان هذا الارتباط بسيطاً أو متعدداً.

وعلى ذلك فإن الدراسة الارتباطية تهدف إلى معرفة الحقائق التالية:

1 ــ تحديد العلاقة الارتباطية بين المتغيرات محل البحث.
2 ــ اتجاه هذه العلاقة الارتباطية.
3 ــ درجة الارتباط وقوته.

وذلك بغرض التنبؤ بوضعية واتجاه الظاهرة مستقبلاً.

وتعتمد فكرة تقدير العلاقة بين المتغيرات أساساً على تكوين صيغة رياضية بين هذه المتغيرات. وذلك من خلال ما هو متاح من بيانات ومعلومات عن تلك المتغيرات.

والنظرية الإحصائية «نظرية الارتباط» تعطي للباحث طرقاً متعددة لقياس هذه العلاقة، وعليه أن يختار الطريقة المناسبة لقياس العلاقة بين المتغيرات التي تتحكم في الظاهرة التي يقوم بدراستها.

والمقياس المستخدم في تحديد العلاقة الارتباطية بين المتغيرات يسمى «بمعامل الارتباط بين المتغيرات CORRELATION COEFFICIENT»، الذي

يتيح معرفة وإيجاد العلاقة بين المتغيرات، وعلى أساسها تستخلص النتائج، ويتم التنبؤ بوضعية الظاهرة مستقبلاً.

والعلاقة بين المتغيرات متعددة. فالمتغيرات لا تتحرك بمعزل عن غيرها، حيث إنها تتحرك فتؤثر وتتأثر بما يحيط بها من متغيرات أُخرى.

* فهناك بحوث تقوم على دراسة العلاقة الارتباطية بين متغيرين فقط. وهذا يعني افتراض عدم وجود علاقات أخرى لهذين المتغيرين. وهذا المستوى من الدراسة بسيط ويستخدمه العديد من الباحثين، غير أنه مبني على افتراض هو إلى حد ما بعيد عن الواقعية.

* وهناك مستوى ثاني يدرس الارتباط بين عدة متغيرات، دون تجاهل لوجود العلاقات الارتباطية بين متغيرات دون غيرها. وهذا المستوى من الدراسة هام وضروري وواقعي، غير أنه لا يحظى بالتطبيق الفعلي من جانب الباحثين وذلك لتعدد صيغة الرياضية، وضرورة استخدامها عند التطبيق.

* وهناك أسلوب ثالث، وهو أسلوب الملاحظة لحركة المتغيرات، والتي تقوم على تسجيل الباحث للعلاقة بين المتغيرات، غير أن ذلك يكون بطريقة تقريبية، يصعب معها تحديد قوة واتجاه الارتباط بين المتغيرات.

وبوجه عام، فإن نتائج الارتباط في بحوث العلاقة بين المتغيرات ذات البيانات الكمية لا تخرج عن الحالات التالية:

1 ــ إما أن يكون ارتباطاً في اتجاه واحد بمعنى أن أي زيادة في المتغير الأول يصحبها زيادة في المتغير الثاني، وأن أي نقص في المتغير الأول يصاحبه نقص في المتغير الثاني. . ويسمى هذا الارتباط [طردياً]، وعند قياسه نحصل على جواب موجب (+).

2 ــ وإما أن يكون الارتباط في اتجاه عكسي، وهذا معناه، أن الزيادة في المتغير الأول يقابلها نقص في المتغير الثاني، والعكس صحيح.

ويسمى هذا الارتباط بالارتباط العكسي وعند قياسه نحصل على جواب سالب (−).

وإلى جانب الارتباط الموجب والسالب فللارتباط درجة تتوقف عليها طبيعة العلاقة بين المتغيرات. فقد يكون الارتباط قوياً أو ضعيفاً أو ضعيفاً جداً.

وقد يقابل الباحث عند حسابه لمعامل الارتباط نتيجة مساوية للواحد الصحيح. وهذا يعني أن الارتباط تام بين المتغيرين (سواء موجب أو سالب). ومعنى هذا (+ 1 أو − 1) وجود علاقة ثابتة وقوية تحكم وتصف ارتباط هذين المتغيرين.

3 ــ وقد يقابل الباحث عند حسابه لمعامل الارتباط نتيجة مساوية للصفر تماماً، وهذا يعني إحصائياً، انعدام العلاقة بين المتغيرين موضع الدراسة.

ويجب أن نلفت النظر، إلى الفرق بين وجود العلاقة الارتباطية بين المتغيرات من جهة، وتبعية العلاقة بين المتغيرات من جهة أخرى. فقد توجد علاقة بين متغيرين (كالسن، ومشاهدة برامج معينة أو قراءة صحف معينة)، (التعليم، ومشاهدة برامج معينة أو قراءة صحف معينة).. ولكن لا توجد تبعية بينهما. بمعنى أن وجود علاقة الارتباط، لا تعني أن المتغير الأول سبباً في تغير المتغير الثاني. بينما يعني ذلك أن علاقة ارتباطية من نوع ما تقوم بين المتغيرين ولكن لا تبعية بينهما على الإطلاق[41].

ومن المآخذ، التي تؤخذ على الدراسات الارتباطية أنها **تضع بعض المتغيرات موضع الاختبار لقابلية تطبيق معامل الارتباط الإحصائي عليها**، في حين أنها تهمل متغيرات أخرى، لعدم قابليتها لتطبيق معامل الارتباط الإحصائي عليها لاختلاف طبيعتها وعدم القدرة على التعبير عنها رقمياً لأنها تتصل باللاشعور، وبالقدرات العقلية والفكرية للإنسان.

إلا أنه أمكن تجاوز هذه النقطة بتطبيق معاملات إحصائية أخرى «كمعامل الارتباط الاقتراني، ومعامل ارتباط التوافق، ومعامل ارتباط الرتب». والتي تستخدم في حالة ما إذا كانت طبيعة البيانات التي حصل عليها الباحث عن المتغيرات وصفية، بحيث يصعب التعبير عن معظمها تعبيراً كمياً.

1 ـ معامل ارتباط الاقتران: ASSOCIATION CORRELATION
: COEFFICIENT

ويستخدم في استخراج علاقة الاقتران بين متغيرين وصفيين لهما دلالة كمية.

2 ـ معامل ارتباط التوافق: COEFFICIENT CONTINGENCY:

ويستخدم في استخراج علاقة التوافق بين متغيرين أحدهما يحمل دلالات وصفية، والثاني مُعبر عنه بالبيانات الكمية.

3 ـ معامل ارتباط الرُتب: RANK CORRELATION COEFFICIENT:

ويستخدم في التعبير عن المتغيرات الوصفية تعبيراً غير كمياً. الاستماع الموجه في مناطق جغرافية معينة (جيد، ممتاز، رديء، لا بأس، إلى حد ما).. وهكذا الآراء موزعة على أفراد العينة.

وفي مجال البحوث الإعلامية، فإن الدراسة الارتباطية تفيد في معرفة العلاقة بين المتغيرات في العديد من المجالات مثل:

ـ دراسة العلاقة بين فئات السن (متغير س) ودرجة الإقبال على مشاهدة أو سماع برامج تلفزيونية أو إذاعية معينة أو الإقبال على قراءة صحف معينة، متغير (ص).

ـ دراسة العلاقة بين برامج إذاعية أو تلفزيونية أو صحف معينة، وبين خصائص الجمهور النوعي المتلقى لخدمات هذه البرامج أو الصحف (برامج الأطفال، صحف الأطفال، جمهور الأطفال).

ـ دراسة العلاقة بين استخدام وسيلة إعلامية معينة أو أسلوب إعلامي معين في ترويج أفكار معينة، ودرجة الاستجابة.

ـ دراسة العلاقة بين مستوى التعليم، أو متوسط الدخل وبين درجة الإقبال على قراءة أو شراء صحف معينة.

ـ دراسة العلاقة بين مستوى التعليم، ومقترحات تطوير أداء الأجهزة الإعلامية.

ـ دراسة العلاقة بين الخصائص الكامنة في الوسائل الإعلامية المختلفة، وطبيعة الدور الذي تقوم به في تعميق القضايا الوطنية كتقوية الانتماء للوطن الواحد والتقليل من النزعات الإقليمية. .

ـ دراسة العلاقة بين الذين يعتنقون ديانة معينة وقراءة صحف ومطبوعات معينة.

طريقة الدراسات التطورية: DEVELOPMENTAL STUDIES METHOD:

تهتم الدراسات التطورية برصد المعلومات والبيانات حول الظواهر المختلفة التي تسود المجتمعات، والتغييرات التي تصاحبها خلال فترات زمنية مختلفة. وبالتالي فإن هذا النوع من الدراسات، لا يهتم فقط بدراسة الوضع الحالي للظواهر وعلاقاتها المتبادلة بالظواهر الأخرى فحسب، بل يتناول أيضاً التغييرات التي تحدث فيها نتيجة لمرور الزمن.

وفي الدراسات التطورية، يقوم الباحث بتكرار نفس الوضع الراهن بعد مضي فترة زمنية قد تمتد لعدة سنوات، وذلك لإجراء المقارنة مع البيانات السابقة للتعرف على معدل التغير واتجاهه.

ومن المسائل الهامة التي تعتمد عليها هذه الطريقة المنهجية، والتي لا بد من وضعها في الاعتبار عند إجراء هذا النوع من الدراسات، الاهتمام بالأبعاد المختلفة للتطور وهي:

1 ـ الأسباب أو المتغيرات التي أدت إلى الظاهرة.

2 ـ العلاقة الزمانية بين الظاهرة والمتغيرات التي أدت إليها.
3 ـ العلاقة المكانية بين الظاهرة والمتغيرات التي أدت إليها.
4 ـ اتجاه العلاقة بين الظاهرة والمتغيرات التي أدت إليها[42].
5 ـ وضع الظاهرة في إطار حركة التطور والتغير في المجتمع الذي نشأت فيه.

إن النقاط الخمسة السابقة ذكرها، تشكل مرتكزات أساسية لتفسير نتائج الدراسات التطورية.

وتتكامل هذه الأبعاد الخمسة مع بعضها البعض بحيث يصعب فصل إحداها عن الآخريات. فقد تكون هذه الأسباب متغيرات مستقلة، أو مجموعة عوامل أدت إلى عملية النمو أو التطور. . ويمكن التعرف عليها باعتبارها أسباب أدت إلى الظاهرة، لو فقدتها الظاهرة فقدت وجودها، أو تحولت إلى ظاهرة أخرى جديدة.

ولأن هذه الأسباب مرتبطة بزمن معين فقد تتحول لتأخذ مساراً جديداً، فتصير الظاهرة القديمة، ظاهرة متطورة على نمط الظاهرة الأولى أو متجددة على شكل مختلف عنها. إلا أنها في كل الأحوال في حالة تفاعل مستمر وتغير على مر الزمن وتعاقب الأحداث فالظواهر الاجتماعية في عمومها ديناميكية في تطورها وتحولها وامتدادها في المستقبل.

كما أن هذه الأسباب المتصلة بالماضي، والقائمة في الحاضر، والممتدة إلى المستقبل، مرتبطة بمكان تحدث فيه، ولها صلات مكانية بغيرها من الظواهر. فالظاهرة المتطورة لا تتحد عناصر وسمات تطورها إلا إذا ارتبطت بمكانها.

والبعد الرابع: وهو الاتجاه ـ أي اتجاه التطور وحركة التغير، وهو ما نعبر عنه ـ بالقول؛ حدث تغير في الظاهرة من كذا إلى كذا. ويمكن النظر إلى الاتجاه وحركة التغير في إطار الكم والكيف. حيث يتمثل الاتجاه الكمي في قياس نسبة وكم التطور بالزيادة أو النقصان أو الثبات. ويتمثل الاتجاه

الكيفي حين نتحدث عن انتقال الظاهرة من وضع كيفي إلى وضع كيفي آخر.

أما **البعد الخامس،** فهو الإطار العام الذي يفسر ارتباط هذا التغير أو التطور بحركة التغير والتطور في المجتمع الذي نشأت فيه الظاهرة، باعتباره المصدر الأساسي لتوجهاتها والمجال الذي تتحرك في إطاره سلباً أو إيجاباً، إلا أن كثيراً من الدراسات التطورية لا تقيم وزناً لقياس تطورات الظاهرة، وتغير مكوناتها في إطار المجتمع الذي نشأت فيه، على اعتبار أنه جزء من حركة تطور وتغير أشمل، سواء أكان على المستوى المحلي أو الإقليمي أو العالمي. . وهذا من شأنه أن يضع الباحث في موقف قد لا يستطيع فيه تفسير بعض جوانب التطور في الظاهرة أو قد لا يجد تبريراً لبعض اتجاهات التطور وأسبابه.

وتتنوع مجالات الدراسات التطورية من حيث جمع وتحليل البيانات المرصودة على مدى زمني محدد، واتجاه التطور، وتحديد معدل التطور من خلال التغييرات التي تحدث عبر الفترة الزمنية المحددة. وتتمثل التصنيفات الفرعية للدراسات التطورية في الأساليب التالية:

1 ــ أسلوب دراسة الاتجاه: TREND STUDY:

ويبحث هذا الأسلوب في اتجاه التغير الذي حدث في المتغيرات المستقلة عبر فترة زمنية كافية للتحقق من طبيعة التحول في الظاهرة المعنية بالبحث.

2 ــ أسلوب الدراسة الطولية زمنياً: LONGITUDINAL STUDY:

يبحث هذا الأسلوب في تحديد التغييرات التي حدثت في الظاهرة عبر فترة زمنية ممتدة طولياً. ويعتمد هذا النوع من البحوث على بيانات متتابعة عن نفس أفراد العينة المختارة في البحث. ولذلك فإن بعض الباحثين يطلق على هذا النوع من البحوث «الدراسات التتبعية FOLLOW UP STUDY».

3 ــ أسلوب دراسة العينات القطاعية: CROSS-SECTIONAL STUDY:

ويعتمد هذا الأسلوب على أخذ عينات من كافة القطاعات

لدراستها في آن واحد، والتعرف على طبيعة ما يحدث للظاهرة في هذه القطاعات[43]، وفي البناء الاجتماعي من خلال تحديد ما يلي:

ـ أسباب التغير.

ـ معدل التغير.

ـ اتجاه ومسار التغير[44].

ويرى الدكتور سمير حسين أن الدراسات التطورية على الرغم من أنها تعتبر من المناهج الأساسية في الدراسات الاجتماعية والتربوية والسلوكية، إلا أنه يمكن اعتبارها أيضاً من المناهج الوصفية الهامة في مجال الإعلام لسببين:

1 ـ أن الإعلام بوسائله المختلفة يعمل في مجال اجتماعي واسع يتعرض لتغيرات عديدة بمرور الزمن.

2 ـ أن نتائج الجهود الإعلامية لا تقاس على أساس ما تحقق خلال فترة زمنية قصيرة، وإنما على أساس ما يمكن غرسه من أفكار،وما يمكن تدعيمه من قيم لدى الجمهور على مدار فترة زمنية طويلة[45].

وتفيد الدراسات التطورية في مجال الدراسات الإعلامية على النحو التالي:

1 ـ في التعرف على طبيعة الدور الذي تقوم به الأجهزة والوسائل الإعلامية في ترسيخ القيم والمفاهيم والاتجاهات على مدى زمني طويل نسبياً، حيث يصعب قياس الدور والتعرف عليه، على مدى زمني قصير. بينما يمكن قياس هذا الدور من خلال تتبع التغييرات التي تحدث عند الجمهور المتلقى خلال المدى الزمني المعني، وذلك لمعرفة الأثر الذي تركته هذه الوسائل.

2 ـ في التعرف على التطورات والتغييرات التي تحدث في نوعية الجمهور المتلقى للرسالة الإعلامية على مدى زمني طويل.

3 ــ في التعرف على التطورات التي حدثت في الوسائل الإعلامية نفسها من حيث الانتشار والتوزيع الجغرافي والتقنيات ونظم الممارسة وأساليبها والعاملين فيها وتخصصاتهم.

4 ــ في التعرف على الاتجاهات المتغيرة للرأي العام حول بعض القضايا الوطنية أو الدولية خلال فترات زمنية مختلفة أو ممتدة ومتصلة.

5 ــ في الكشف عن توجهات السياسات الإعلامية من خلال تتبع التغيرات التي تحدث في النظم السياسية، وأنظمة الحكم، وتأثير ذلك على الأداء الإعلامي.

6 ــ في التعرف على التغيرات والتطورات التي حدثت في مضمون الرسالة الإعلامية من حيث الكم والكيف بالنسبة لبرامج إعلامية معينة كبرامج التوعية أو التسلية أو الإعلان إلخ.. بغرض التعرف على طبيعة المناخ السياسي والاجتماعي الذي أنتجت في ظله.

7 ــ في التعرف على التغيرات التي طرأت على الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية في المجتمع من خلال متابعة البرامج الإعلامية والموضوعات الصحفية التي وُجهت، وأنتجت خلال فترات زمنية معينة، وكذلك الأمر بالنسبة للأغراض الدعائية.

8 ــ في التعرف على التطورات والتغيرات التي حدثت في توجهات منتجي المادة الإعلامية والصحفية خلال فترة زمنية ممتدة طولياً.

متطلبات الدراسة التطورية:

1 ــ أن يتمتع الباحث بالحس النقدي والملاحظة الدقيقة التي تتيح له التعرف على خصائص وسمات ومكامن التطور والتغير من خلال البيانات والمعلومات التي يتم جمعها وتحليلها وتفسيرها، عن طريق المقارنة بين الدراسة الأولى، والدراسة الثانية.

2 ـ العمل بنفس التعريفات الإجرائية والطرق والأساليب المنهجية التي عمل الباحث بها في الدراسات السابقة حتى يتمكن الباحث من تقدير الموقف تقديراً سليماً، وتجنب أخطاء الصدفة والتحيز قدر الإمكان.

3 ـ العمل بنفس الأسس المتبعة في جدولة وتبويب البيانات، حتى يسهل على الباحث رصد اتجاهات التطور والتغير الكمي..

4 ـ التثبت من أهداف البحوث السابقة، قبل بناء الدراسة التطورية.. وخاصة تلك البحوث التي تجري على أساس تقديم مكافآت مالية، أو لأغراض سياسية أو دعائية أو ما إلى ذلك.

5 ـ تحديد الظاهرة التي تستهدف الدراسة تحديداً دقيقاً، وتبين مكوناتها الأساسية بوضوح.

6 ـ الاهتمام برصد شكل التغير والتطور ودلالته على المضمون في إطار الأبعاد الخمسة سالفة الذكر وعدم قصر الاهتمام بعملية التغير نفسها، وذلك بهدف معرفة طبيعة التغيير:

أساس أم فرعي.

كلي أم جزئي.

متصل أم متقطع.

مراجـع الفصـل

(1) محمد زياد حمدان، البحث العلمي كنظام، سلسلة التربية الحديثة، 28، دار التربية الحديثة، عمان، 1989، ص 66.

(2) هـويتنـي WHITNEY فـي سميـر محمـد حسيـن، بحـوث الإعـلام: الأسـس والمباديء، دار الشعب، القاهرة، 1976، ص 123.

(3) محمد لبيب النجيحي، د. محمد منير مرسي، البحث التربوي، أصوله ومناهجه، عالم الكتب، القاهرة، 1983، ص 199.

(4) عبد العزيز مختار وآخرون، محاضرات البحث الاجتماعي في مهنة الخدمة الاجتماعية، جامعة حلوان، القاهرة، 1983، ص 133.

(5) حسن الساعاتي، تصميم البحوث الاجتماعية: نسق منهجي جديد، دار النهضة العربية، بيروت، 1982، ص 157.

(6) جمـال زكـي والسيـد يس، أسـس البحـث الاجتمـاعي، دار الفكـر العربـي، القاهرة، 1962، ص 88 ـ 94.

(7) عبد العزيز مختار وآخرون، مرجع سابق ذكره، ص 136.

(8) دالين، فان، مناهج البحث في التربية وعلم النفس، ترجمة محمد نبيل نوفل وآخرين، ط 3، الأنجلو المصرية، القاهرة، 1985 من ص 297، 333.

(9) د. سمير محمد حسين، مرجع سابق ذكره من ص 123 إلى ص 149.

(10) محمد زيان عمر، البحث العلمي: مناهجه وتقنياته، ط 2، دار الشروق، جدة، 1975، ص 118.

(11) محمد الغريب عبد الكريم، البحث العلمي: التصميم والمنهج والإجراءات، ط 2، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1982، ص 84.

(12) انظر محمد طلعت عيسى، البحث الاجتماعي: مبادئه ومناهجه، ط 3،

مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة، 1963.
(13) سمير محمد حسين، مرجع سابق ذكره، ص 131.
(14) BLUMER, H., PUBLIC OPINION AND PUBLIC OPINION في مجلة البحوث، اتحاد إذاعات الدول العربية، بغداد، سبتمبر 1987، ص 80.
(15) شيللر، أ. هيربرت، المتلاعبون بالعقول، ترجمة عبد السلام رضوان، سلسلة عالم المعرفة، 106، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1986، ص 154، ص 158.
(16) شارل بوث في د. محمد طلعت عيسى، مرجع سابق ذكره، ص 146.
(17) جلال عبد الوهاب، مقاييس الرأي العام، مجلة البحوث، العدد 20، اتحاد إذاعات الدول العربية، بغداد، 1987، ص 74.
(18) جامعة لويزيانا الأمريكية، المدخل إلى بحوث الاتصال الجماهيري، ترجمة المركز العربي للبحوث، بغداد، 1988، ص 19.
(19) ماكبرايد «شون» وآخرون، أصوات متعددة وعالم واحد: الاتصال والمجتمع اليوم وغداً، اليونسكو، ترجمة ونشر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 408.
(20) GREEBNER, G., FUNCTIONAL ANALYSIS AND MASS COMMUNICATION REVISITED: IN THE USES OF MASS COMMUNICATION, J. BULMER AND EKATZ . (eds, 1974), PP. 199 - 200
(21) MORSE, CITED IN زيدان عبد الباقي، قواعد البحث الاجتماعي، ط 3، مطبعة السعادة، القاهرة، 1980، ص 293.
(22) MEKLUWAN, M., UNDER STANDING MEDIA (SIGMET, N. YORK 1964, PP. 23 - 24).
(23) جامعة لويزيانا، مرجع سابق ذكره، ص 20.
(24) سعد لبيب، بعض الوسائل الميسرة لقياس ردود فعل المستمعين والمشاهدين، مجلة البحوث، المركز العربي للبحوث، بغداد، مايو 1984، ص 118.
(25) BERLSON (BERNARD), CONTENT ANALYSIS IN COMMUNICATION RESEARCH, HAFNER PUBLISHING COMPANY, NEW YORK 1971, P. 20.
(26) IBID, P. 13

(27) IBID, PP. 18 - 19.

(28) KRACANNER SIEGFRIED, THE CHALLENGE OF QUALITATIVE CONTENT ANALYSIS, P. OPINION VOL. 16 NO. 4 P. 666.

(29) BERLSON, OP. CIT.pp 163-164..

(30) HOLSTI, OLER, CONTENT QUALYSIS, FOR THE SOCIAL SCIENCES AND HUMANITIES, ADDISON - WESLY PUBLISHING COMPANY, READING MASSACHUSETTS, CALIFORNIA, 1969, P. 140.

(31) BENNETT, E.M., ALPERT, R., AND GOLDSTEIN A.C., COMMUNICATIONS TROUGH LIMITED RESPONSE QUESTIONING, PUBL. OPIN QUART, 18, PP. 303 - 308.

(32) HOLSTI, OP. CIT., P. 96.

(33) سمير محمد حسين، مرجع سابق ذكره، ص 137.

(34) جمال ذكي والسيد يس، مرجع سابق ذكره، ص 262.

(35) سمير محمد حسين، مرجع سابق ذكره، ص 142.

(36) جمال زكي والسيد يس، مرجع سابق ذكره، ص 150.

(37) فاخر عقل، أسس البحث في العلوم السلوكية، ط 1، دار العلم للملايين، 1979، ص 125.

(38) جمال زكي والسيد يس، مرجع سابق ذكره، ص 115 ـ 121.

(39) زيدان عبد الباقي، مرجع سابق ذكره، ص 424.

(40) جمال زكي والسيد يس، مرجع سابق ذكره، ص 118.

(41) مختار محمد الهانس، مقدمة طرق الإحصاء الاجتماعي، ج 1، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ب.ت، من ص 325 إلى 402. وكذلك عباس محمود عوض، علم النفس الإحصائي، الدار الجامعية للطباعة والنشر، بيروت، 1984، من ص 101 إلى ص 107.

(42) دالين، فان، مرجع سابق ذكره، ص 312، 313.

(43) سمير حسين، مرجع سابق ذكره، ص 140.

(44) GENERALLY FROM, PITRIM, SOROKIN, SOCIAL AND CULTURAL DAYNAMICS, (4th ed), PORTEN PUBLISHER, BOSTON, 1987, PP. 83 - 56.

(45) GENERALLY FROM BORG W. AND GALL M., EDUCTIONAL RESEARCH: AN INTRODUCTION, NEW YORK, LONGMAN, 1979, PP. 448 - 450.

الفصل العاشر

المنهج التجريبي في بحوث الإعلام

تأثرت فروع الدراسات الاجتماعية ـ كما سبق الإشارة إلى ذلك في الفصل الخاص بالتجربة ـ تأثراً مباشراً بتطور مناهج البحث في العلوم الطبيعية. حيث نشأت بعض المدارس الاجتماعية التي تحاول فهم الظواهر الاجتماعية عن طريق البحث في أسبابها والعوامل التي تؤثر فيها.. وذلك وفقاً لقواعد المنهج التجريبي.

وإذا كان استخدام هذا المنهج في دراسة الظواهر الطبيعية يقوم على قاعدة أساسية تقول «**إن كل ما يحدث له سبب، وأن نفس السبب ينتج نفس المسببات**»[1]، فالأمر في معظم الأحوال متاح في العلوم الطبيعية لإمكانية عزل الظروف المصاحبة للظاهرة صناعياً أو معملياً.. وبالتالي يمكن إجراء العديد من التجارب عن الظاهرة ومسبباتها والوصول إلى نفس النتائج، بينما في مجال العلوم الاجتماعية يصعب دراسة الظواهر بمعزل عن الظروف المصاحبة لها، مع صعوبة إرجاع حدوث الظاهرة الاجتماعية إلى سبب واحد.. كما أن هذه الظروف تتبدل في وضعيتها، وطريقة تفاعلها مع الظواهر الاجتماعية.. ولهذا فإن دراسة علاقات السبب والأثر في الظواهر الاجتماعية يتم في إطار الظروف المصاحبة للظاهرة أو تلك التي نشأت في ظلها الظاهرة.

ولهذا فقد طرح دعاة استخدام المنهج التجريبي في دراسة الظواهر الاجتماعية، قاعدة شبيهة بقاعدة المنهج التجريبي في العلوم الطبيعية، وهي قاعدة تعترف بالظروف المصاحبة للظواهر الاجتماعية، تقول «**الأمور**

المتماثلة تحدث في الظروف المتماثلة». . وقد أمكن عن طريق هذه القاعدة المنهجية دراسة الظواهر الاجتماعية دراسة علمية تجريبية، عن طريق تطوير أدوات الملاحظة والتجربة ووسائل جمع المعلومات والبيانات، واستخدام المعاملات والاختبارات والمقاييس الإحصائية التي استطاعت أن تدعم موقف البحوث الاجتماعية التجريبية وتجرد نتائجها من اللغة الإنشائية، الأمر الذي يتيح عرض نتائج البحوث في وضوح وتجرد مدعَّم.

ومن جهة أخرى فإن مشكلة السببية، تعتبر من أعقد المشاكل المنهجية في مجال البحث العلمي، وخاصة في مجال الدراسات الاجتماعية، وقد أدى هذا التعقيد إلى مجموعة من الصعوبات التي يرى المعارضون لاستخدام هذا المنهج في الدراسات الاجتماعية أنها تحول دون إجراء التجارب على الظواهر الاجتماعية. ومرد هذه الصعوبات يرجع إلى اختلاف النظرة العلمية لمفهوم السببية. وكما سبق أن أوضحنا ففي العلوم الطبيعية يجري تفسيرها على أساس العامل أو المتغير الذي يؤدي إلى حدوث الظاهرة.

س تؤدي إلى ص

بينما في العلوم الاجتماعية يصعب تفسير مفهوم السببية على هذا الأساس، إلا في إطار بعض الظروف أو المتغيرات التي يجب دراستها أو عزلها والتحكم فيها.

وأياً كانت الصعوبات(*)، إلا أن هذا لا يعني أن الدراسة الاجتماعية مستحيلة بهذا المنهج. فقد أثبت تاريخ العلم أن هناك العديد من الظواهر والموضوعات التي لم يكن من الممكن دراستها في الماضي، قد أمكن دراستها في عصرنا هذا بفضل استخدام أساليب القياس والإحصاء التي استطاعت أن توفر العديد من الأدوات التي سهلت دراسة هذه الموضوعات بصورة لم تكن متاحة من قبل.

(*) للمزيد من المعلومات حول هذه الصعوبات والاعتراضات يمكن الرجوع إلى معظم الكتب والمؤلفات التي تناولت مناهج البحث في العلوم الاجتماعية.

مفهـوم البحـث التجريبـي:

هو البحث الذي يقوم فيه الباحث بملاحظة وتجريب تفاعل متغيرات محددة من خلال ضبط ظروف وأساليب ووسائل عملها، واستثناء تأثيرات متغيرات نظيرة أو إضافية قد تتدخل إيجاباً أو سلباً في هذا التفاعل، بغرض التحقق من نوع ومقدار الأثر الذي ينجم. ويتم هذا الاستثناء عن طريق العزل أو الضبط أو التحكم.

مثال ذلك تأثير برامج العنف في الإذاعة المرئية على سلوك الشباب في المرحلة العمرية من 13 ـ 16 سنة. فمن الواضح أن المتغير المستقل هو برامج العنف في الإذاعة المرئية وأن الشباب هم المتغير التابع.. وما عدا ذلك من متغيرات كالتعليم، والحالة الاجتماعية والاقتصادية للأسرة، والأصدقاء والمدرسة، والحي وما إلى ذلك يجب عزلها أو التحكم فيها قبل إجراء التجربة، على اعتبار أن هذه العوامل أو المتغيرات يمكن أن تؤدي إلى نفس الأثر، وبالتالي يجب عزلها والتحكم فيها قبل بدء التجربة.

وبهذا الفهم، فإننا نلاحظ أن المنهج التجريبي، لا يقتصر على مجرد وصف الظاهرة تحت الدراسة ـ كما هو الحال في البحوث الوصفية ـ كما أنه لا يهتم كثيراً بتتبع تاريخ الظاهرة ـ كما هو الحال في البحوث التاريخية ـ بل يتعدى ذلك إلى دراسة الظاهرة عن طريق التجربة التي تحتاج إلى ضبط بعض الشروط والتحكم في بعض العوامل أو المتغيرات.

ولكي نفهم المنهج التجريبي، علينا أن نتعرف على أنواع المتغيرات وأهمها:

أ ــ المتغيرات التابعة:

وهو الناتج أو الظاهرة تحت الدراسة والتي تحدث نتيجة لعوامل يراد التعرف عليها، وقياس أثرها على هذا الناتج.

ب ــ المتغيرات المستقلة:

وهي العوامل أو المسببات التي تؤدي إلى حدوث المتغيرات التابعة، وعادة ما يتناولها الباحث بالدراسة التجريبية لقياس أثرها على المتغيرات التابعة.

جـ ـ متغيرات دخيلة:

وقد تكون هذه المتغيرات سابقة ANTECEDENT أو وسيطة INTERVENING.. وقد تكون ذات تأثير، أو قد لا تكون. وعادة ما يتعامل الباحث معها إما بقياس تأثيرها أو ضبطها والتحكم فيها حتى لا تؤثر على المتغير المستقل في تأثيره على المتغير التابع.

تداخل الدراسات الارتباطية وشبه التجريبية مع المنهج التجريبي:

إذا كانت الدراسة شبه التجريبية تهتم بدراسة الظواهر كما تحدث في الحياة العادية وفي وضعها الطبيعي لمعرفة العوامل التي تسبب حدوث الظاهرة..

وإذا كانت الدراسة الارتباطية تهتم بمعرفة العلاقة بين المتغيرات، ودرجة ارتباطها مع بعضها البعض.. فإن المنهج التجريبي يذهب إلى أبعد من ذلك.. إلى استنتاج العلاقة السببية بين المتغير أو المتغيرات المراد قياسه أو قياسها (كمسبب)، ودراسة تأثيره أو تأثيرها على المتغير أو المتغيرات التابعة.

وتتداخل الدراسات شبه التجريبية [السببية المقارنة] في بعض نواحيها مع دراسات المنهج التجريبي.. لأن كل منهما يدرس العلاقة السببية في إطار الأدلة الثلاثة التي سبق شرحها «التغير الاقتراني» و «الترتيب الزمني لحدوث المتغيرات» و «استبعاد العوامل السببية الأخرى المحتملة».. إلا أن المنهج التجريبي يكون أكثر دقة من الدراسات السابقة لأنه يضع ويعالج هذه الأدلة في إطار التجربة التي تميزه عن الدراسة شبه التجريبية.

فالتجربة في المنهج التجريبي هي التي تتيح التحكم في المتغير المستقل

الذي يسبب حدوث الظاهرة. وقد أدى هذا التداخل إلى الخلط بين الدراسات شبه التجريبية. . والدراسات التجريبية. وعلى الباحثين أن يدركوا الفرق بين التجريب الذي يستخدم في إطار المناهج المختلفة. . وبين المنهج التجريبي الذي يستخدم التجربة كأداة بغرض إقامة الدليل، وكهدف يمكن من خلاله التعرف على الأسباب الحقيقية التي تكمن وراء حدوث الظاهرة[2].

وعلى ذلك فإن «الفرق الوحيد والأهم بين البحوث شبه التجريبية، والتجريب الحقيقي TRUE EXPERIMENT هو أنه في شبه التجريب يقوم الباحث بدراسة مجموعات كما هي بخصائصها. تتم عليها الدراسة بطريقة عشوائية بينما في التجريب الحقيقي يقوم الباحث بدراسته على مجموعات تخضع لعدد من إجراءات الضبط والتحكم»[3].

قواعد المنهج التجريبي:

كما سبق الإشارة في الفصل السابع، فإن هذا المنهج يقوم على القواعد التالية:

أ ــ قاعدة السببية: وتعني أن العلاقة بين المتغير المستقل والظاهرة كمتغير تابع، هي علاقة بين علة ومعلول «سبب ونتيجة». وللاستدلال على هذه العلاقة يجب توافر الأدلة التالية:

* دليل التغير الاقتراني.
* دليل الترتيب الزمني للحوادث.
* دليل استبعاد المتغيرات السببية الأخرى.

والتي سبق شرحها في الفصل السابع من هذا الكتاب.

ب ــ قاعدة الضبط: وتعني التحكم في جميع المتغيرات التي قد تؤثر في إجراء التجربة أو تؤثر على دقة نتائج العلاقة السببية، فيما عدا المتغير المستقل. ويتم التحكم في المتغيرات الأخرى عن طريق الإجراءات التالية:

* المضاهاة أو التماثل.
* التوزيع العشوائي.

جـ ـ قاعدة التجريب: وتعني تصميم التجربة أو مجموعة التجارب وفقاً لمتطلبات الدراسة وذلك لاختبار ومعالجة المتغيرات قيد البحث، بهدف التعرف على العلاقة السببية بين المتغير المستقل، والمتغير التابع، وذلك عن طريق استخدام القياسات القبلية والبعدية على المجموعات الضابطة والتجريبية.

التصميم التجريبي: EXPERIMENTAL DESIGN:

1 ـ ماهيتـه:

يعتبر التصميم التجريبي هو الإطار الذي يتضمن مجموعة الإجراءات التي يعمل من خلالها المنهج التجريبي على تحقيق أهدافه. فالتصميم التجريبي إجراء بحثي يصمم وفقاً لمتطلبات التجربة، والهدف منها.. حيث يتم من خلاله ضبط ومعالجة واختبار المتغيرات قيد البحث، لمعرفة مدى تأثير المتغير المستقل على المتغير التابع، ولتحقيق الهدف من التصميم التجريبي، ظهرت الحاجة إلى تقسيم أفراد البحث إلى مجموعات تجريبية، وأخرى ضابطة كمجال لاختبار أثر المتغير أو المتغيرات المراد قياسها على مجموعة دون غيرها.

فالمجموعة الضابطة: هي المجموعة التي لا تخضع للتجربة ووظيفتها إجراء المقارنة بينها وبين المجموعة التجريبية التي تخضع للتجربة، شريطة أن يتم اختيار المجموعتين الضابطة والتجريبية بنفس الأسس والمواصفات، خاصةً بالنسبة للمتغيرات أو العوامل الأساسية التي يتم ضبطها والتحكم فيها. وهناك خطأ شائع بين بعض الباحثين وهو الاعتقاد بأن المجموعة الضابطة لا تلقي أي معالجة على الإطلاق، وهذا بالطبع غير صحيح، مثلاً إذا كان المتغير المستقل في بحث عن أثر التلفزيون على الاستيعاب.. هو التعليم بالتلفزيون، فإن المجموعة الضابطة تتلقى التدريس بالطرق التقليدية، بينما تتلقى المجموعة التجريبية التدريس بالطرق التقليدية زائداً التلفزيون.. وبالتالي فإننا من هذا المثال نلاحظ أن المجموعات الضابطة تخضع في بعض

البحوث إلى نوع من المعالجة الاختبارية.

ويتم التحكم في التصميمات للمجموعات الضابطة والتجريبية وفقاً لتوقيت القياس الذي يشمل:

- القياس القبلي: أي القياس قبل إجراء التجربة.
- القياس البعدي: أي القياس بعد إجراء التجربة.
- القياس القبلي والبعدي: أي القياس قبل التجربة وبعدها.

وذلك على المجموعات التي تخضع للتجربة وفقاً لعددها (مجموعة واحدة، مجموعتان، ثلاثة مجموعات، أربعة مجموعات. . . وهكذا).

ويعتبر التصميم التجريبي مرحلة هامة للوصول إلى الاستدلال التجريبي، الذي يمهد الطريق إلى الاستنتاج المنطقي للمبادىء المستقاة من واقع التجربة.

وعلى ذلك، فالتصميم التجريبي إجراء يخدم البحث منهجياً وإجرائياً بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

2 ــ إجراءاته في الضبط والتحكم في المتغيرات الأخرى:

كما سبق أن أوضحنا، فإن التصميم التجريبي يعتمد على المجموعات الضابطة والتجريبية. ولإحكام عملية اختيار هذا النوع من المجموعات، فهناك بعض العمليات التي ينبغي إتباعها عند تكوين المجموعات للتأكد من أن الفروقات القائمة بين المجموعتين غير أساسية. وقد استخدمنا تعبير «غير أساسية» لأن إحداث التشابه التام بين أفراد المجموعتين يعتبر أمراً مستحيلاً.

ولتحقيق التماثل بين أفراد المجموعتين في مختلف العوامل قدر الإمكان، هناك بعض الأسس التي ينبغي اتباعها لتحقيق التعادل والتشابه قدر الإمكان بين أفراد المجموعتين أهمها:

أ ــ المزاوجة أو المضاهاة: MATCHING[4]:

وتعني إجراء المقارنة بين أفراد المجموعة البحثية للوصول إلى

التماثل بين مفرداتها قدر الإمكان وخاصة في المتغيرات التي يمكن أن تؤثر على عمل المتغير المستقل أثناء إجراء التجربة، مثل السن، والمستوى التعليمي، والمهنة، ومستوى المعيشة، والدخل. . وما إلى ذلك.

وتتم عملية المزاوجة بين مفردات عينة البحث ـ قبل تقسيمها إلى مجموعات ضابطة وتجريبية ـ على أكثر من مرحلة، وذلك استناداً إلى المتغيرات المراد اختبارها. فإذا أردنا أن نماثل بين مجموعتين على أساس السن، والدخل، ودرجة التعليم، فإننا نبدأ بعملية المزاوجة بين مفردات العينة أولاً، ثم نعود فنماثل بينهما على أساس الدخل، ثم درجة التعليم وهكذا، مع استبعاد كل مفردة لا تنطبق عليها شروط التماثل في كل متغير.

وتحتاج عملية المضاهاة كتخطيط متعمد يسبق إجراءات التجربة إلى قدر كبير من المعلومات عن كل مفردة من مفردات العينة، الأمر الذي يتيح استجلاء العوامل غير الواضحة في مفردات العينة، وتسمى هذه المعلومات بقائمة الضبط CHECKLIST.

وقد يقتضي ذلك استخدام عينة لا تقوم على التمثيل العددي، ولكن على التماثل بين مفرداتها. وقد نهجت الدراسة التجريبية لأثر التلفزيون على النشء هذا النهج[5].

ب ـ التوزيع العشوائي[6]:

ويطلق عليه عشوائية المعرضين للتجريب RANDOMISATION OF EXPOSURES وهي مرحلة تأتي بعد عملية المضاهاة MATCHING، وتعني أن يعطي كل فرد فرصة متكافئةً لأن يكون ضمن مفردات المجموعة الضابطة أو المجموعة التجريبية. وبذلك يستبعد تأثير العامل الذاتي في الاختيار للمجموعة الضابطة والتجريبية، بما يضمن تحقيق الفرص المتكافئة لكل فرد، ويمكن استخدام الجداول العشوائية في إجراء عملية الاختيار والتوزيع العشوائي لأفراد

المجموعتين. وإذا ظهرت بعض الفروقات أو الاختلافات، فإنها ترجع إلى عامل الصدفة، والذي يمكن التخفيف من أثره عن طريق الاختبارات الإحصائية، وإجراء دراسات سابقة أو لاحقة للتأكد من أن التغير الذي أصاب المجموعة التجريبية يرجع إلى المتغير المستقل أو التجريبي.

وبوجه عام، يمكن للباحث الاعتماد على الطريقتين معاً، وفي ذلك ضمان لدقة اختيار وتوزيع المجموعات الضابطة والتجريبية.

3 ـ أنواع التصميم التجريبي:

ونعني بها، أنواع التجارب التي يلجأ الباحث إليها للتحقق من صدق فروضه حول العلاقة السببية بين المتغير المستقل والمتغير التابع. وتقسم أنواع التجارب تبعاً لوقت قياس المتغير المستقل وإخضاعه للتجربة.

وتتعدد أنواع التصميمات التجريبية وأهمها:

أ ـ تصميم ذو جماعة واحدة: THE ONE-SHOT CASE STUDY DESIGN (القياس البعدي):

ويتضمن هذا التصميم جماعة واحدة فقط تخضع للدراسة أو للتجربة ولمرة واحدة فقط. ويساعد هذا التصميم على معرفة تأثيرات العامل المستقل على الجماعة، وتسجيل جميع المعلومات والبيانات حول الجماعة الخاضعة للدراسة من قبل الباحث. ويحاول هذا التصميم البرهنة على وجود علاقة بين العامل المستقل والمعتمد في فترة زمنية معينة وفي مجتمع معين وفي وضعية اجتماعية معينة.

ويلاحظ على هذا التصميم عدم وجود جماعة مناظرة لقياس أو ضبط التجربة، وهذا بدوره لا يعطي قيمة علمية عالية، وبالتالي لا يساعد على تعميم النتائج.

ب ـ تصميم تجريبي ذو اختبار قبلي وبعدي (جماعة واحدة):
THE ONE-GROUP PRETEST - POSTTEST DESIGN (القياس القبلي والبعدي):

وفيه يقوم الباحث بقياس وتسجيل صفات الجماعة الخاضعة للدراسة قبل عرضها للعامل المستقل (اختبار قبلي: بعد ذلك يتم عرض هذه الجماعة على العامل المستقل (اختبار بعدي)، ثم يسجل الباحث ما طرأ على صفاتها بعد التعريض وذلك عن طريق اختيار قياسي. . ثم المقارنة بصفات هذه الجماعة قبل التعريض وبعده من أجل البرهنة على الفرضية السببية موضع الاختبار.

ويعتبر هذا التصميم أكثر علمية من التصميم الأول حيث يمكن إرجاع أي تغير من الجماعة الخاضعة للدراسة إلى العامل المستقل. . ومن عيوب هذا التصميم أنه لا يبين تأثير العوامل الأخرى الداخلة. . ولكن يمكن تجاوز هذا العيب بتنفيذ إجراءات الضبط والتحكم للمتغيرات وأهمها المضاهاة.

جـ ـ التصميم التجريبي المقارن: THE STATIC - GROUP COMPARISON:

القياس البعدي للمجموعة التجريبية، ومقارنة نتائج التجربة مع المجموعة الضابطة التي تعرضت لقياس قبلي، ويعتبر الفرق في القياس بين المجموعتين راجعاً إلى تأثير أو عدم تأثير المتغير التجريبي.

د ـ القياس قبل التجربة وبعدها لكل من المجموعتين الضابطة والتجريبية. ويسمى هذا بالتصميم التجريبي ذو الاختبار القبلي والبعدي مع جماعة ضابطة THE PRETEST - POSTTEST CONTROL GROUP DESIGN.

وفي هذا النوع تختار المجموعتين على أساس المضاهاة، حيث يتم قياس كل منهما قبل التجربة للتعرف على المستوى أو السلوك أو الوصف المطلوب. وبعدها يتم إجراء التجربة على المجموعة التجريبية ثم إخضاع المجموعتين للقياس، للمقارنة وبذلك يكون:

* الفرق بين القياسين للمجموعة الضابطة راجع إلى تأثير القياس والعوامل الأخرى العارضة.
* الفرق بين القياسين (القبلي والبعدي) للمجموعة التجريبية راجع إلى تأثير القياس أولاً، وتأثير العوامل العارضة ثانياً، وتأثير المتغير التجريبي ثالثاً.
* الفرق في التغير بين المجموعتين الضابطة والتجريبية راجع إلى المتغير التجريبي وحده. وهو المطلوب لإثبات صحة الفرض السببي أو خطأه، وبمعنى آخر وجود أو عدم وجود أثر للمتغير المستقل على المتغير التابع(7).

هـ ـ القياس لمجموعة تجريبية، ومجموعتان ضابطتان، والقياس لمجموعة تجريبية وثلاث مجموعات ضابطة. ويسمى التصميم التجريبي ذو الجماعات الأربع (تصميم سلمان) THE SOLOMON POUR-GROUP DESIGN.

وتتمتع هذه التصميمات بالدقة والثبات في نتائجها لأنها تهدف إلى التعرف على العوامل العارضة للتخلص من تأثيرها أو الحد من تأثيرها وصولاً إلى معرفة أثر المتغير المستقل على المتغير التابع(8).

المنهج التجريبي في بحوث الاتصال:

لم يجد المنهج التجريبي في بداية الأمر استخداماً واسعاً أو نجاحاً ملحوظاً في مجال بحوث الاتصال بسبب الصعوبات التي يرى البعض أنها تحول دون تطبيق هذا المنهج في دراسة الظواهر الاجتماعية ولذلك فإن البحوث التجريبية في مجال الاتصال تعتبر من حيث الكم قليلة قياساً إلى تلك البحوث التي استخدمت المناهج الأخرى.

وإذا كان للاتصال أن يحقق مكانة خاصة به كعلم من العلوم فيجب أن يتم ذلك على أساس المنهج التجريبي بصفة خاصة، حيث يعد التجريب

واحداً من الإجراءات الأساسية المتبعة في الأسلوب العلمي للتحقق من الظواهر. ولكن هذا لا يعني أن يستغني عن المناهج العلمية الأخرى التي تتميز بخصائص علمية.. ولكن يظل التجريب شرطاً ضرورياً لتقدم العلم، على الرغم من أنه ليس الشرط الوحيد.

وبالرغم من أن استخدام المنهج التجريبي في بحوث الاتصال في الدول الغربية، قد تطور بصورة ملحوظة في العشر سنوات الأخيرة، إلا أنه وفي الدول النامية ما زال جنيناً لم تتضح علامات نموه ونضجه بعد.

ويعد صعوبة إجراء التجربة أحد العوامل الأساسية وراء ندرة هذه البحوث، فهي تتطلب الكثير من أجل تحقيق الشرط الأساسي الخاص بهذا النوع من التجارب، ألا وهو الدقة المتناهية في تطبيق قواعد هذا المنهج وخاصة ما يتصل بعزل المتغيرات الدخيلة التي يمكن أن تؤثر في تحديد العلاقة السببية بين المتغيرات المستقلة والمتغيرات التابعة.. بالإضافة إلى الصعوبات الأخرى الناجمة عن تعقد الظاهرة الاتصالية، والأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية والاقتصادية التي توجد فيها الأمر الذي يصعب فيه إحكام الضبط نتيجة لهذه الأوضاع التي تشكل متغيرات ذات تأثير في الظاهرة.

وعلى أية حال فإن التمسك الشديد والصارم بالإجراءات التي تسبق إجراء التجربة على الإنسان، من شأنه أن يوصلنا إلى نتائج متصلبة. فالإنسان ليس كالمادة.. وحيث تختلف الظواهر الطبيعية عن الظواهر الاجتماعية، يجب أن تختلف أساليب استخدام المنهج التجريبي في دراسة كل منها.

ومن المؤكد فإن التطور في استخدام أدوات القياس يعد أحد المتغيرات الهامة في بحوث الاتصال.. وخاصة أداة قياس المعاني المختلفة والتي يطلق عليها اصطلاحاً تباين الدلالات SEMANTIC DIFFERENITIAL. وقد صاحب التقدم في أدوات القياس، تطور مماثل بل وأكثر تشجيعاً يتمثل في ظهور أساليب إحصائية متطورة جديدة، أبرزها أساليب اختبار العينة، وتحليل

التباين، وتحليل العناصر وما إلى ذلك..

إلا أن هناك عقبة أخرى تقف حتى الآن أمام استخدامات المنهج التجريبي في بحوث العلوم الاجتماعية بصفة عامة.. ألا وهي محاولة استخلاص المبادىء العامة من نتائج التجارب الصغيرة فإجراء تجربة صغيرة سليمة ومنظمة شيء، وتفسير وتحويل النتائج التي خلصت إليها هذه التجارب إلى مبادىء أو قوانين شيء آخر[9]. وتشير د. نوال محمد عمر إلى هذه النقطة بقولها يجب ألا يميل الباحث إلى سرعة الثقة في النتائج التي يحصل عليها، بل يلزم تكرار التجربة للتأكد من نفس النتيجة وتلافي الأخطاء[10]..

ومن المسائل المنهجية الهامة في تحديد بحوث المنهج التجريبي في مجال الاتصال، تلك المسائل المتصلة بموضوعات البحوث التي تتناول علاقات السبب والأثر. وتمثل المجالات التالية مرتكزات أساسية لدراسة المشكلات العلمية وفقاً لهذا المنهج.. وهي:

أ ــ دراسات تحليل المضمون السابقة.

ب ــ بحوث الجمهور.

جـ ــ نظريات الاتصال القائمة.

فإذا أوضح تحليل المضمون نسبةً عالية من العنف في مضمون برامج الإذاعة المرئية، وإذا أوضحت بحوث المشاهدين أن أعداداً كبيرة من الناشئة يشاهدون هذه البرامج فهنا يمكن أن نستخدم الأسلوب التجريبي لاختبار فروض تقوم على نتائج مثل هذه البحوث.. على فرض أن نسبة انحراف الناشئة ترتبط ارتباطاً إيجابياً بكمية العنف في برامج التلفزيون..

كما تعد نظريات الاتصال مصدراً ثالثاً لمشكلات البحوث التي تستخدم المنهج التجريبي.. على اعتبار أن التثبت من صحة ودقة هذه النظريات، يكون باختبارها على حالات أخرى أو في تجارب تالية. فإذا استطاعت النظرية أن تجتاز الاختبارات التجريبية بنجاح فهنا يمكن قبول النظرية.. أما

إذا فشلت النظرية في ذلك أي في تقديم إثبات مادي لصدقها، فستكون مثل هذه النظرية موضع شك ويجب مراجعتها أو رفضها.

ومن البحوث التي استخدمت المنهج التجريبي بنجاح البحث الذي قامت به هيملوايت HIMMELWEIT بالاشتراك مع باحثين آخرين نشر في كتاب بعنوان التلفزيون والطفل، والدراسة التي قامت بها مجموعة بحثية برئاسة «أنجا سونسون A. SONSON» خبيرة علم الاجتماع بجامعة لوند بالسويد، والتي شملت 200 فتى وفتاة تراوحت أعمارهم بين السادسة والسادسة عشر في مدينة مالمو بجنوب السويد. وقد بدأت هذه الدراسة عام 1975 عندما قامت سونسون ومعاونوها بإجراء الدراسة على عينة الأطفال، وهم في عمر السادسة ثم استؤنفت عندما بلغوا التاسعة، والحادية عشر، والرابعة عشر، والسادسة عشر. وقد أصدرت سونسون كتاباً تضمن إجراءات ونتائج هذه الدراسة ـ التي تضمنت منهجاً تجريبياً في بعض جوانبها ـ تحت عنوان «من يقوم بتربية أطفالنا»، وذلك في بدايات عام 1989.

وقد قالت سونسون في مقابلة لها مع وكالة رويتر، نشر ملخصاً لها في جريدة العرب الدولية بتاريخ 1988/11/8، قالت: إنها بدأت المشروع باعتقاد إيجابي أن التلفزيون يمكن أن يكون وسيلة للمتعة والتثقيف، ولكن النتيجة جاءت غير ذلك. فقد وجدت أن أطفال السادسة يشاهدون برامج للكبار تتسم غالباً بالعنف، وهي غير مناسبة البتة، ويعاني بعدها الأطفال من كوابيس لمدة طويلة.

* وأضافت: إن الدراسة لا تشير إلى أن مشاهدة التلفزيون تؤدي أوتوماتيكياً [بصورة تلقائية] إلى سلوك عنيف ولكن المسألة تشبه خطر الإصابة بالسرطان نتيجة للتدخين.. حيث إن مشاهدة التلفزيون تزيد من احتمالات إصابة الصغار بمشاكل.

وعن أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة، قالت الباحثة السويدية:

لقد أسفرت عن علاقة إحصائية واضحة لا يتطرق إليها شك بين الإسراف في مشاهدة التلفزيون والفيديو، وبين أعراض مشاكل عاطفية معادية للمجتمع. . وذلك بغض النظر عن الخلفية العائلية للصغار، فالذين يعيشون بين والدين على درجة كبيرة من التعليم يعانون نفس المشاكل التي تصيب أمثالهم من عائلات أقل ثقافة، نتيجة الإسراف في مشاهدة التلفزيون.

كما توصلت الدراسة إلى أن أطفال السادسة الذين يشاهدون التلفزيون أقل من ساعتين في اليوم، أقل تعرضاً للإصابة بمشاكل عاطفية وتعليمية في المستقبل. وأن أطفال السادسة الذين يشاهدون التلفزيون لساعتين ونصف فما فوق، قد عانوا بعد خمس سنوات من مشاكل، حيث أفاد أولياء أمور ومعلمون أن هؤلاء الأطفال أكثر عدوانية وقلقاً، ويواجهون صعوبة في التركيز.

وكانت محصلة الدراسة، وجوب تشديد الرقابة على معظم أفلام الفيديو وألا يجلس الصغار بجانب التلفزيون بمفردهم، ويجب أن نشرح لهم ماذا يحدث؟.

* وكذلك الدراسة التي قام بها تاننباوم PERCY H. TANENBAUM أستاذ الصحافة ومدير مركز بحوث الاتصال الجماهيري بجامعة ويسكونسن WISCONSIM عن تأثير العناوين في تفسير الإخبار حيث تمت السيطرة على المتغيرات المتصلة بمضمون وحجم القصة. . الخ عن طريق تقديم نفس القصة إلى جميع مفردات البحث لقراءتها مع تغيير العنوان فقط.

* والدراسة التي أجراها سوانسون C.E. SWANSON عن القراءة كوظيفة للمقروئية، والتي استخدم فيها شكلين مختلفين لنفس المضمون كمادة للاختبار.

* والدراسة التي أجرتها جين كيرك JEAN KERRIK والذي درست فيها بالتجربة تأثير التعليقات على تفسير الصور الغامضة. . فقد ثبتت الصور في الوقت الذي غيرت فيه التعليقات عليها. وكذلك البحث المشترك الذي

قام به س. هوفلاند C. HOVLAND، و. ڤايس W. WEISS عندما وضعا مصادر مختلفة لنفس القصة وذلك بهدف دراسة تأثير سمعة مصدر القصة الإخبارية على مصداقيتها[11].

*. والدراسة التي أجراها مصباح الخير، وهاشم السامرائي عن أثر برنامج أفتح يا سمسم على أطفال بغداد، والتي شملت عينة قوامها 40 طفلاً، حيث أثبتت الدراسة أن لهذا البرنامج أثر على معلومات ومعارف أطفال العينة في الجانب اللغوي والمعلومات العامة والمعلومات الرياضية والاجتماعية وفي مجال العلوم والقواعد الأخلاقية (مجلة البحوث، ديسمبر 1987). والأمثلة كثيرة في هذا المجال.

متطلبات الدراسة التجريبية:

1 ـ التأكد من أن الظاهرة التي سيتناولها البحث تسير بانتظام، وأنها تتكرر في حالة توفر الظروف المحيطة بها.. ولذلك يجب إجراء الملاحظة التي تهدف إلى التعرف على المشكلة العلمية بدرجة عالية من الدقة والحيدة والموضوعية، لتحديد المجال الذي توجد فيه المشكلة، ويمكن في هذه المرحلة الاعتماد على التجربة الاستطلاعية التي سبق شرحها.. فالملاحظة بهذه الوضعية، تعتبر ركيزة أساسية في هذا المنهج لأنها «تحدد وضعية الظاهرة في سياقها الاجتماعي»[12] ولأنها «أساس الاستدلال الذي يكشف عن الأفكار التي يفترض أن تقوم عليها الظاهرة موضع البحث»[13].

2 ـ تحديد مشكلة البحث بأكبر قدر من الدقة والوضوح وصياغتها بصورة يتيح قابليتها للمعالجة بالطرق التجريبية.

3 ـ تحديد الفروض وصياغتها بطريقة تتضمن متغيرات، وعلاقات قائمة بين المتغيرات المستقلة والتابعة. وفي هذه المرحلة يجب النظر إلى الفرض المستخلص على أنه فرض تجريبي أي أنه فرض قابل للتحقق بالتجربة، ومن ثم القياس والاختبار.. وليس ثمة قواعد ثابتة لتوليد الفرض،

ولكن يمكن ذلك عن طريق تنظيم معطيات الملاحظة، والموازنة بين الوقائع التي أدت إليها الملاحظة والتجربة الاستطلاعية، لتقرير ما هو جوهري منها، أي ما يؤثر في الظاهرة تأثيراً مباشراً. . أو غير مباشر. . لانتظام حدوثه وتكرار وقوعه، وما هو عرضي فقط أي ليس له من الثبات والانتظام ما يجعله جديراً بالتأثير في الظاهرة موضوع الدراسة بصورة مضطردة.

4 ـ مراعاة الموقف الكلي الذي تتداخل في إطاره العناصر المكونة للظاهرة قيد البحث، على اعتبار أن عناصر الموقف الكلي تؤثر هي الأخرى على المتغيرات المستقلة والتابعة أثناء بحثنا عن السبب والعلة. فالظواهر الاجتماعية يصعب دراستها وفهمها بمعزل عن المتغيرات الأخرى التي تؤثر فيها بصورة أو أخرى. ولهذا يجب الاستبعاد أو العزل أو التحكم في المتغيرات السابقة بإجراء عمليات المضاهاة والاختيار والتوزيع العشوائي التي سبق الإشارة إليها. ويجب عدم استبعاد أي عوامل أو متغيرات بدعوى أنها لا تؤثر في الظاهرة «المتغير التابع» إلا بعد التأكد من ذلك فعلاً عن طريق ملاحظتها أو إخضاعها للتجربة الاستطلاعية، لاتخاذ قرار بشأن الإبقاء عليها أو استبعادها بصفة نهائية. ويجب ألا نتمادى في عزل المتغيرات حتى لا تفقد الظاهرة حقيقتها أو هويتها.

5 ـ تحديد المتغيرات المستقلة، والمتغيرات التابعة ووضع تعريفاتها الإجرائية تحديداً دقيقاً يسمح باختبارها وقياسها ذلك «أن الفشل في تعريف أو وصف المتغيرات المستقلة FAILURE TO DESCRIBE INDEPENDENT VARIABLES، والمتغيرات التابعة تضعف من متانة التصميم التجريبي»[14].

6 ـ اختبار الخطوات التجريبية قبل البدء في التجريب الأساسي لتحديد مواطن الضعف في إجراءات التجربة، وسد الثغرات المحتملة في أي

عنصر من عناصرها. وتتضح أهمية هذه الخطوة لضمان سلامة وانضباط إجراءات التجربة[15].

7 ــ إجراء التجربة البرهانية أي التجربة بفرض إقامة الدليل على علاقة السبب أو الأثر، وذلك للمقابلة بين الوقائع التي أدت إليها التجربة، لاستخلاص العوامل أو المسببات التي تحكم الظاهرة. ويجب أثناء إجراء التجربة التأكد من إتباع الخطوات التي تم تجريبها بدقة في مرحلة الاختبار السابقة والالتزام بها، وخاصة ما يتصل بتقنين المعلومات، واتباع التعليمات في تنفيذ الخطوات التجريبية المتتالية، والتسجيل الصحيح للملاحظات أثناء التجربة، والفحص الدقيق للمشاهدات، وثبات استخدام أدوات قياس الاختبارات القبلية والبعدية والمعاملات الإحصائية المتصلة بها.

8 ــ الكشف عن أثر المتغير المستقل الذي يسبب الظاهرة كمتغير تابع، وهي مسألة توجب على الباحث أن ينتقل من المشاهدات الكيفية إلى المقاييس الكمية. لأن الاتفاق على الوحدات القياسية، يبعد الاستنتاج عن الآراء المتضاربة والتفسيرات الكيفية.. واللغة الإنشائية.

9 ــ تحليل العلاقة بين الفروض ووقائع التجربة للكشف عن العلاقات القائمة بين المتغير المستقل، والمتغير التابع، ومن ثم الاستدلال على العلاقة السببية، وتوضيحها في إطار الأدلة الثلاثة وهي دليل التغير الاقتراني، ودليل الترتيب الزمني لحدوث المتغيرات، ودليل استبعاد العوامل السببية الأخرى. . والتي سبق شرحها.. ومن ثَم التعرف على تركيبة STRUCTURE الظاهرة، التي تمثل المادة المباشرة لبناء النظرية. فعندما يتم تحويل حقائق التجربة إلى أفكار في مستويات تجريدية معينة يتم بناء النظرية. «فالمعيار الوحيد لصحة النظرية هو اتفاقها مع التجربة... كما أن متانة النظرية التجريبية يتوقف على عدد الحالات التجريبية التي تؤيدها».

ونختتم هذا الفصل بالحديث حول ما أثير عن صدق التجارب THE VALIDITY OF EXPERIMENTS . . وقد حدد الباحثون(*) الظروف التي تهدد سلامة صدق التجارب، وهي ظروف لها تأثيرات لاحقة على صدق التصميمات شبه التجريبية أكبر من تأثيراتها على التصميمات التجريبية الحقيقية. وهي ما تعارف على تسميتها بالمخاطر التي تهدد الصدق الداخلي للتجربة THREATS TO INTERNAL VALIDITY، والمخاطر التي تهدد الصدق الخارجي للتجربة THREATS TO EXTERNAL VALIDITY.

إن تأثير هذه المخاطر يكون أكثر احتمالاً وخطورة على التصميمات شبه التجريبية لأنها لا تخضع لقاعدة الضبط والتحكم التي سبق الإشارة إليها(**).

(*) (كامبل وستانلي)، (براخت وجلاس).

(* *) للاستزادة، انظر مناهج البحث في العلوم الاجتماعية والتربوية للمؤلفين لويس كوهين، ولورانس مانيون المشار إليها في الهامش من ص 233 إلى ص 239.

مراجــع الفصــل

(1) عبد الرحمن بدوي، مدخل جديد إلى الفلسفة، ط 2، وكالة المطبوعات، الكويت، 979، ص 78.

(2) سمير حسين، بحوث الإعلام: الأسس المبادىء، دار الشعب، القاهرة، 1976، ص 152.

(3) لويس كوهين، لورنس مانيون، مناهج البحث في العلوم الاجتماعية والتربوية، ترجمة د. كوثر حسين، د. وليم عبيد، الدار العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1990، ص 226.

(4) جمال زكي والسيد يس، أسس البحث الاجتماعي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1962، ص 127 وما بعدها.

(5) هيملويت،هـ. ت. وآخرون، التلفزيون والطفل: دراسة تجريبية لأثر التلفزيون على النشء، ترجمة أحمد سعيد عبد الحليم ومحمود شكري العدوي، مطابع سجل العرب، القاهرة، 1967، ص 139 ـ 178.

(6) جمال زكي والسيد يس، مرجع سابق ذكره، ص 127 وما بعدها.

(7) معن خليل عمر، الموضوعية والتحليل في البحث الاجتماعي، ط 1، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1983، ص 152، وكذلك انظر كل من المرجع السابق، وسمير حسين، مرجع سابق ذكره، من ص 161 إلى ص 168.

(8) SOLOMON, R.L., AN EXTENSION OF CONTROL GROUP DESIGN, PSYCHOL,. BULL. 46

في لويس كوهين، مرجع سابق ذكره، ص 231.

(9) برسي تانتباوم في كتاب المدخل إلى بحوث الاتصال الجماهيري، إصدار جامعة لويزيانا، ترجمة المركز العربي لبحوث المستمعين والمشاهدين،

بغداد، 1988، ص 96، 97.

(10) نوال محمد عمر، مناهج البحث الاجتماعية والإعلامية، الأنجلو المصرية، القاهرة، 1986، ص 131.

(11) برسي تاننباوم، مرجع سابق ذكره، ص 82، وص 84.

(12) أوجست كونت في زيدان عبد الباقي، قواعد البحث الاجتمعي، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة، 1973، ص 423.

(13) فرانسيس بيكون في محمد طلعت عيسى، البحث الاجتماعي: مبادئه ومناهجه، ط 3، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة، 1963، ص 249.

(14) SIMON, J.L., BASIC RESEARCH METHODS IN SOCIAL SCIENCES, RANDOM HOUSE, NEW YORK, 1978, P. 163.

(15) IBID, p 163.

الفصل الحادي عشر

بيانات البحث الإعلامي: المصادر والأدوات

تتوفر بيانات البحث الإعلامي، كغيره من أنواع البحوث الأخرى في مصادر SOURCES، وتجمع بواسطة أدوات ومقاييس، ذلك أن تحديد نوع البيانات المطلوبة (أولية أو ثانوية) للبحث، يحدد طبيعة المصادر التي تستقي منها، كما يحدد نوع الأدوات أو الوسائل TOOLS التي تستخدم في جمع هذه البيانات. كما أن عدم تحديد نوع البيانات ومصادرها وأدوات جمعها، يوقع الباحث فيما يسمى بفوضى المعلومات، الأمر الذي يؤدي به إلى الوقوع في الحيرة، وربما ترك مجال البحث العلمي برمته.. وبنفس المستوى فإن تحديد مصادر البيانات وأدوات جمعها، يسهل على الباحث الحصول على البيانات وتصنيفها وترتيبها وتحليلها وتفسير نتائجها.. وهو الهدف الذي يسعى الباحث إلى تحقيقه.

إذن فإن مصادر البيانات وأدوات جمعها، يجب ألا تخضع للصدفة، وإنما يجب تحديدهما بدقة طالما أنهما من الأعمدة الأساسية للبحث العلمي.

مفهوم المصدر ومفهوم الأداة:

المصدر هو: الجهة أو الوعاء أو الميدان الذي يستقى منه الباحث البيانات المطلوبة لحل مشكلة البحث.

أما الأداة: فهو الوسيلة التي يستخدمها الباحث في جمع البيانات المطلوبة للبحث.

وقد يتداخل مفهوم المصدر والأداة في بعض مجالات البحث العلمي. . وذلك حسب طبيعة البحث، ونوع المشكلة، والمنهج المستخدم في دراستها. ففي بعض الدراسات الإعلامية تكون الصحف مصدراً من مصادر البيانات الأولية المطلوبة للبحث. وفي دراسات أخرى تكون الصحف وسيلة من وسائل جمع البيانات الأولية للبحث الإعلامي ويحدث ذلك في الدراسات التاريخية وبحوث تحليل المضمون. المهم أن يكون الباحث مدركاً لهذه المسألة، وقادراً على التفرقة بين المصدر والأداة، وفقاً لمتطلبات البحث في هذا الجانب. وهي مسألة لا تحتاج إلى عناء أو مشقة. فالكمبيوتر عند اختزانه للمعلومات يكون عندئذ مصدراً، أما عند استخدامه لجمع البيانات المطلوبة عن الدراسات السابقة في مجال البحث العلمي، يكون أداة من أدوات جمع البيانات.

وعلى ذلك فإن هذا الفصل يتناول هذا الموضوع على النحو التالي:

* مصادر البيانات.
* أدوات جمع البيانات.

أولاً ــ مصادر البيانات:

تختلف مصادر البيانات من مصدر إلى آخر، حسب نوع البيانات المطلوب جمعها، وتتعدد أنواعها، وأهم هذه الأنواع:

1 ــ المصادر الميدانية:

وهي مصادر أساسية في عملية البحث الإعلامي، لأنها تزود الباحث ببيانات أولية عن موضوع البحث، وتتيح له فرصة الحصول على معلومات لا تتوفر في الغالب والأعم في أنواع المصادر الأخرى. ومن أمثلة هذه المصادر:

أ ــ المواقع البيئية.
ب ــ مواقع الأحداث.
جـ ــ التجربة.

2 ــ المصادر البشرية:

ويطلق عليها المصادر الحية ومن أمثلتها:

أ ــ الخبراء.
ب ــ شهود العيان.
جـ ــ الزعماء والقادة والرؤساء وكبار المسؤولين.
د ــ مجموعات البحث ومفردات العينة.

3 ــ المصــادر المادية:

وهي المصادر التي تزود الباحث ببيانات ومعلومات نُقلت عن مصادر أولية. ويطلق عليها لفظ المصادر الثانوية لأنها كتبت أو أخذت باشتقاق عن المصادر الأولية، مثل:

أ ــ الصحف والمجلات.
ب ــ الأفلام التسجيلية والوثائقية والروائية.
جـ ــ التسجيلات المرئية والمسموعة.
د ــ مراكز المعلومات.
هـ ــ المكتبات ومراكز البحوث.
و ــ الملفات والسجلات الرسمية.
ز ــ المذكرات الشخصية.
ح ــ الوثائق والمخطوطات.

ثانياً ــ أدوات جمع البيانات:

يتوقف تحديد واختيار الباحث لأدوات جمع البيانات على عدة عوامل أهمها:

ــ موضوع ومشكلة البحث.
ــ نوعية البيانات المطلوبة لتحقيق أهداف الدراسة في التحقق من الفروض، والإجابة على التساؤلات المطروحة.

ـ نوع الجمهور الذي سيشمله البحث.

ـ أسلوب الدراسة نظرية (تطبيقية، تحليلية، ميدانية، شبه تجريبية، تجريبية).

ومن أهم الأدوات المستخدمة في البحوث والدراسات الإعلامية:

1 ـ المقابلة: INTERVIEW:

المقابلة أداة متعمقة من أدوات جمع البيانات. وهي ذات قيمة عالية من البحوث ذات الطابع الميداني لما تتيحه من احتكاك مباشر بالجمهور. «ويشترط عند استخدامها أن تكون ثقافة الباحث أو القائم بعملية المقابلة من نفس ثقافة المجتمع»[1]، الذي تجري فيه المقابلة.. خاصةً في المجتمعات أو مواقع الدراسات الميدانية الذي تنتشر فيها الأمية.

وفي مجال بحوث الاتصال، تأخذ هذه الأداة أهمية خاصة، لأن المقابلة في حد ذاتها وسيلة اتصال حيث يكون الاتصال المباشر بين الباحث والمبحوثين عاملاً مشجعاً على استجابة المبحوثين، وتحقيق هدف الباحث في دراسة الظاهرة الاتصالية في موقعها الجغرافي وفي إطارها البشري، والكشف عن عملية التفاعل التي تحدثها وسائل الإعلام، والدور الذي تقوم به في إضافة تراث منظم من المعرفة أو بلورة اتجاهات معينة أو التأثير في السلوك أو رفع درجة الوعي، أو ما إلى ذلك.

ولما كانت المقابلة في حد ذاتها وسيلة اتصال، فإن الباحثين في هذا المجال، يجب أن يكونوا على معرفة بكيفية إجرائها، والتعامل مع الطرف الآخر.. إذ يعتبر الاتصال المتساوي بين الباحث والمبحوثين، شرطاً ضرورياً لانسياب المعلومات والبيانات، التي يسعى الباحث إلى معرفتها وجمعها، ولهذا فهي تحتاج إلى نظام دقيق لتسجيل البيانات. وتعتبر صحيفة الاستبار (صحيفة المقابلة) من أكثر الوسائل كفاءةً في هذا المجال.

وتتوقف نجاح المقابلة على قدرة الباحث على كسب ثقة المبحوث عن

طريق تقديم الباحث لنفسه، ولموضوع بحثه والهدف منه، وتأكيد الباحث للمبحوث على أن مساهمته في الإجابة على الأسئلة تزيد من قيمة البحث، وترفع من مكانته العلمية. كما يجب على الباحث أن يقوم بتوضيح بعض النقاط الخاصة للمبحوث خاصة ما يتصل باختيار عينة البحث، وكيف جاء اسمه أو منزله أو أسرته ضمن عينة البحث، والتأكيد على سرية المعلومات التي سيدلى بها، وقصور استخدامها في مجال البحث العلمي الذي يقوم به الباحث.

وتعرف المقابلة بأنها «محادثة هادفة»[2]، وهو تعريف يوسع من إمكانية استخدام هذه الأداة في مختلف أنواع البحوث، ولهذا تتنوع المقابلة بتنوع استخدامها، ووظيفتها، وأسلوبها، وجمهورها ومداها.

أنـواع المقابلـة:

1 ـ من حيث وظيفتها فهناك:

أ ـ المقابلة التشخيصية DIAGNOSTIC.

ب ـ المقابلة العلاجية TREATMENT.

2 ـ من حيث أسلوبها، فهناك:

أ ـ مقابلات غير موجهة NON DIRECTIVE.

ب ـ مقابلات موجهة FOCUSED.

3 ـ من حيث جمهورها فهناك:

أ ـ مقابلات فردية INDIVIDUAL.

ب ـ مقابلات جماعية GROUP.

4 ـ من حيث مداها فهناك:

أ ـ المقابلة القصيرة SHORT CONTACT.

ب ـ المقابلة الطويلة LONG CONTACT.

جـ ـ المقابلة لمرة واحدة ONCE.

د ـ المقابلة المتكررة REPEATED[3].

5 ـ أما من حيث أهداف المقابلة، فيمكن التمييز بين ثلاثة أنواع من المقابلات هي:

أ ـ المقابلة بهدف المراقبة:

والهدف منها الفهم، وكما يقول كانيل CANELL وخان KAHN، فإن هذا النوع من المقابلات يصلح معه السؤال المفتوح الذي يكشف للباحث الإطار المرجعي الذي بنى عليه رأيه أو مشكلة بحثه.

ب ـ المقابلة بهدف التحقق:

وتهدف إلى فهم السياق والحاجات والحوافز والمتطلبات والآراء التي يقدمها المستجوب.. للتأكد من بنية المستجوب المعرفية بالنسبة للموضوعات التي يتم استجوابه فيها.

جـ ـ المقابلة بهدف التعمق:

والهدف منها مساعدة الباحث على التعرف على آراء المبحوثين حول المواقف أو القضايا أو الأحداث أو الظواهر التي يدور الاستجواب حولها.

تقنيات المقابلة:

ونقصد بها طريقة إدارة المقابلة وأهم إجراءاتها:

1 ـ تحضير بدائل الأسئلة الهامة للبحث لضمان الحصول على إجابات لها، وهذا يتطلب من الباحث تطوير أسئلة البحث الرئيسة بصيغ مختلفة.

2 ـ أن تتم المقابلة مع المبحوث بمفرده، حتى لا يتأثر بأي ضغط أو توجيه أو مداخلة أو لفت نظر من الآخرين كأفراد الأسرة مثلاً..

3 ـ الإصغاء المدرك، والتسجيل المتقن لكلام المبحوث أثناء إجابته على الأسئلة، مع ترديد بعض العبارات التي تشجع المبحوث على متابعة

الحديث، حتى يتأكد من أن حديثه يجد صدى عند الباحث.

4 ــ إدارة الحوار بطريقة حيادية، يتوارى فيها الباحث قدر الإمكان، حتى يسود المقابلة جو علمي جاد، ويمكن أن تترجم هذه المسألة بصيغ مختلفة مثل: ماذا تريد أن تقول؟ ماذا يدور في رأسك في هذه اللحظة؟ بماذا تفكر؟ هل تستطيع أن تحدثني أكثر حول هذا الموضوع؟ هل هناك أسباب أخرى في رأيك؟ هل نسيت أن تقول شيئاً؟..

5 ــ الصمت في نهايات التفكير عند المستجوب.. على ألا تجعل هذه الفترة تطول أكثر من اللازم لئلا يحس المستجوب بالعزلة ويصمت تماماً.

6 ــ عدم مقاطعة المستجوب أثناء الحديث، خاصة إذا كان يتحدث في موضوع السؤال. أما إذا كان حديثه خارج موضوع السؤال، أعد السؤال بطريقة أو صيغة أخرى أو قدم إليه بعض التوضيحات التي تساعده على حصر إجابته في السؤال المطروح.

7 ــ إن جنس الباحث يؤثر في عملية جمع البيانات. فإذا كان نوع جنس الباحث (امرأة مثلاً) من نفس نوع جنس المبحوث (امرأة أيضاً) فستكون المعلومات المعطاة أقرب إلى الصدق والثقة، وخاصة إذا كانت هناك أسئلة ذات حساسية معينة (كمشاهدة أفلام معينة بالفيديو) وتكون الصورة عكسية إذا اختلف جنس الباحث عن جنس المبحوث وخاصة في دول العالم الثالث.

8 ــ تأجيل طرح الأسئلة المحرجة والحساسة التي قد تُنهي المقابلة إلى ما بعد الانتهاء من الحصول على الإجابات المطلوبة لجميع الموضوعات الهامة.

9 ــ ثبات المقاييس في الأسئلة، وطريقة صياغتها، وطريقة نقلها إلى المستجوبين[4]، لأن أي اختلاف في هذه المسائل يؤدي إلى اختلاف

الأجوبة، وبالتالي صعوبة توحيد عملية القياس لاستجابات أفراد البحث. وهذا يضعف الناحية العلمية للبحث، إن لم تكن مسألة علمية مرفوضة تماماً. ولذا ينصح في مثل هذه الحالات أن يستخدم الباحث مقاييس الاتجاهات TRENDS DIAGRAMS، ومقاييس التدرج RANK - ORDER، ومقـاييـس التقييـم RATING، ومقـاييـس النسـب RATIO SCALES وغيرها من المقاييس التي يمكن من خلالها الحصول على طرق استجابة متعددة يمكن تجميعها في بيانات يسهل تفريغها وجدولتها وتحليلها على خلاف الوضع في حالة الاستجابة الحرة.

مثال (1) مقاييـس الاتجاهات، مثل:

يجب ألا نترك الأطفال يشاهدون التلفزيون بمفردهم:

- أوافق بشدة.
- أوافق.
- لا أوافق.
- لا أوافق بشدة.
- لا أدري.

مثال (2) مقاييس التدرج:

رتب البرامج التالية حسب اهتماماتك الخاصة:

البرامج السياسية ( )
البرامج الاجتماعية ( )
البرامج الثقافية ( )
البرامج الدينية ( )
البرامج الرياضية ( )
برامج المنوعات ( )

(1 ـ 6) يمثل الرقم 1 أكثر البرامج أهمية بالنسبة إليك.

مثال (3) مقاييس التقييم مثل:

ما رأيك في برنامج صباح الخير أول جماهيرية من حيث:

الإخراج:	ممتاز	جيد	عادي	سيء	لا أدري.
التقديم:	ممتاز	جيد	عادي	سيء	لا أدري.
المضمون:	ممتاز	جيد	عادي	سيء	لا أدري.

2 ـ الاستبيـان: QUESTIONNAIRE:

يعتبر الاستبيان من أكثر أدوات جمع البيانات الأولية استخداماً في الدراسات المسحية، لإمكانياته في جمع بيانات ومعلومات لم يكن من الممكـن الحصـول عليهـا دون استطـلاع الآراء والتعـرف علـى المـواقـف والاتجاهات. «فهو حجر الزاوية في الدراسات المسحية الميدانية»[5] يستهدف استثارة المبحوثين بطريقة منهجية مقننة، لتقديم حقائق أو آراء أو أفكار معينة، في إطار البيانات المرتبطة بموضوع الدراسة وأهدافها، دون تدخل من الباحث في التقرير الذاتي للمبحوثين في هذه البيانات وهو وسيلة فعالة لتحقيق هذا الغرض، لإمكانية استخدامه في جمع بيانات عن موضوع معين من عدد كبير من الأفراد يجتمعون أو لا يجتمعون في مكان واحد سواء أكان ذلك في منطقة جغرافية واحدة، أو مناطق جغرافية متعددة كالاستبيان البريدي الذي يعد من أرخص وسائل جمع البيانات الميدانية.

وقد ثبت عن طريق استخدام العديد من الباحثين لهذه الأداة، أن الاستبيان البريدي يجذب الأشخاص الأكثر وعياً، الذين يتابعون باهتمام التعليمات التفصيلية التي تساعدهم على ملء بيانات الاستبيان، بينما وُجد أن الأشخاص الأقل وعياً لا يتقيدون بالتعليمات، الأمر الذي يجعل إجاباتهم لا تأتي وفقاً لما هو مطلوب. كما ثبت أن الاستبيان البريدي لا يعطي فرصة للأسئلة الفاحصة التي تبحث في الأعماق، ولا يتيح الفرصة أمام الملاحظة التي تشكل عنصراً مساعداً في جمع بيانات يصعب الحصول عليها عن طريق الإجابة على الأسئلة المباشرة.

ومن أنواع الاستبيان في مجال البحوث الإعلامية، الاستبيان الصحفي

الذي ينشر في الصحف والمجلات، حيث يطلب من القراء الإجابة على جدول الأسئلة بأنفسهم ثم إرسالها ثانية إلى الباحث. . إلا أن هناك بعض المحاذير، التي تكتنف هذا النوع من أنواع الاستبيان أهمها: ارتفاع نسبة الخطأ في إجابات بعض المبحوثين وقلة الردود التي لا تتناسب مع حجم العينة المطلوب استناداً إلى حجم توزيع الصحيفة أو المجلة.

تصميم صحيفة الاستبيان والمقابلة:

لا يختلف تصميم صحيفة الاستبيان عن صحيفة الاستبار (المقابلة) إلا في أشياء بسيطة. .

ففي الأولى يقوم المبحوث ـ في معظم الأحوال ـ بملء بيانات الاستمارة بنفسه، أما في الثانية فإن الباحث هو الذي يتولى القيام بهذه المهمة مدعماً بذلك بملاحظاته المباشرة خلال المقابلة مع أفراد البحث. وهو أمر غير متاح بالنسبة لصحيفة الاستبيان. ولذلك فإن تصميم صحيفتي الاستبيان والاستبار ـ في عمومه ـ يأخذ توجهاً واحداً مع بعض الاختلافات البسيطة التي تتصل بتقنيات المقابلة والتي تفرض بعض الاعتبارات التي سنتعرض لها فيما بعد. .

ويسير إعداد وتصميم صحف البحث الميداني «الاستقصاء والمقابلة» وفق خطوات منهجية تتحدد وفقاً لنوع وحجم البيانات المطلوب جمعها عن طريق هذه الأداة. ويرى سمير حسين أن هذا الإعداد يسير وفق الخطوات التالية:

أ ــ تحديد كمية ونوع البيانات المطلوبة عن طريق المراجعة الدقيقة لمشكلة البحث وفروضه.

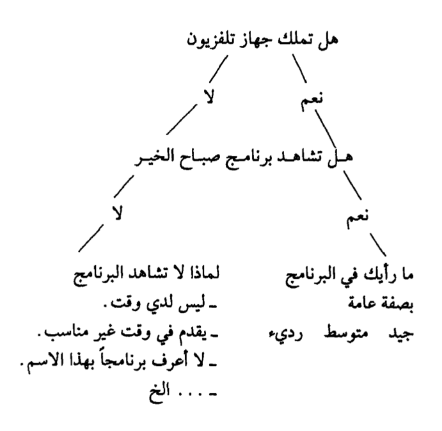
ب ــ تحديد الهيكل العام للصحيفة، عن طريق تقسيم المعلومات وتصنيفها وتبويبها وترتيبها بطريقة منطقية، بحيث تبدو كمجموعة من الوحدات المتتابعة التي تتضمن كل وحدة منها قضية معينة يراد جمع معلومات حولها.

جـ ــ إعداد الصحيفة في صورتها الأولية وذلك بتحويل الوحدات إلى أسئلة متتابعة تشكل في مجموعها صورة أولية للصحيفة.

د ـ اختبار الصحيفة للتأكد من صلاحيتها منطقياً وتجريبياً.. عن طريق عرضها على مجموعة من الأساتذة والخبراء والمختصين للاستفادة من ملاحظاتهم، ثم القيام بتجربة أولية على عينة محدودة ومماثلة للعينة الأصلية للتأكد من صلاحيتها.

هـ ـ إعداد صحيفة الاستقصاء في صورتها النهائية.. عن طريق تصميم غلافها بشكل جذاب، وتصدير الصحيفة بمقدمة تتضمن فكرة البحث وأهدافه والجهة القائمة به، ثم صفحة البيانات الأولية ومجموعات الأسئلة وغيرها من المسائل الأخرى المتصلة بنوع وحجم الورق والطباعة والغلاف وما إلى ذلك[6].

ومن الأساليب المجربة في إعداد صحائف البحوث الميدانية أسلوب استخدام الرسوم التوضيحية التتابعية التي تعبر عن تتابع الأسئلة وتواصلها[7] مثل:



وتورد نوال محمد عمر أسلوباً ثالثاً للتأكد من شمول الاستمارة لجميع البيانات اللازمة لتحقيق أغراض البحث، وذلك عن طريق إعداد مجموعة من الجداول الإحصائية قبل تصميم الاستمارة، بحيث إذا ملئت هذه الجداول ثم حللت بياناتها إحصائياً، أمكن الوصول إلى النتائج التي يهدف إليها الباحث، وهي الجداول الخيالية CHOST TABLES والتي على ضوئها يمكن تحديد وصياغة الأسئلة اللازمة للبحث واستبعاد ما عداها[8].

أسئلـة الصحيفـة:

تتعدد أنواع الأسئلة في صحف الدراسات الميدانية وأهم هذه الأنواع:

1 ـ أسئلة مفتوحة: OPEN - END QUESTIONS:

وهي نوع من الأسئلة التي يترك فيها للمبحوث الحرية الكاملة للإجابة عليها كما يرغب، بحيث يعطي التفاصيل التي يراها مناسبة، مستخدماً المفردات والألفاظ الخاصة به. فالأسئلة المفتوحة لا تطرح إجابات محددة.. وهنا تكمن قيمتها في تحديد الآراء السائدة تجاه الظاهرة أو القضية أو الموقف أو الشيء موضع السؤال، حيث يكون الهدف منها التعرف على وجهة نظر المبحوث وفق رؤيته الخاصة، وبعيداً عن شراك الأسئلة المغلقة. من الضروري أن تتوافر لدى الباحث معلومات كافية عن الهدف من وراء كل سؤال مفتوح حتى يعرف بالضبط ما الذي يبحث عنه.. وإلا أصبحت الأسئلة المفتوحة لا قيمة لها، مثل ما رأيك في برنامج علوم وأعلام؟.

2 ـ أسئلة مغلقة: CLOSED QUESTIONS:

وهي نوع من الأسئلة لا يفتح المجال أمام المبحوث إلا لإجابة واحدة «نعم، لا».. مثل هل تشاهد التلفزيون؟ (نعم ـ لا).

3 ـ أسئلة استبيانية مذيلة بإجابات متعددة:

MULTI - CHOISE QUESTIONS

وهي نوع من الأسئلة يطرح عدة إجابات متسلسلة ومنتظمة ومترابطة، يتضمن جزء منها، إجابة إيجابية على السؤال، والجزء الآخر يتضمن إجابة

سلبية علية. ويترك للمبحوث اختيار الإجابة أو الأجوبة التي يعتقد أنها قريبة من الصحة[9].. وذلك وفقاً لطبيعة السؤال والإجابة المطلوبة عليه. وفي هذا النوع من الأسئلة يجب تحديد البدائل بصورة كافية تشمل كل التوقعات التي تتيح للمبحوث أن يجد من بينها ما يتناسب مع رأيه أو وجهة نظره مثال:

ما هي أنسب الأوقات لمشاهدة التلفزيون من وجهة نظرك؟

5 ـ 7.

7 ـ 9.

9 ـ 11.

11 ـ فما فوق.

4 ـ أنواع أخرى من الأسئلة:

وهي أنواع يتحدد الشكل الذي تقدم به، وفقاً للهدف منها.. مثل:

أ ـ أسئلة الاختيار الإجباري FORCED CHOISE والتي يطلب من المبحوث اختيار إجابة واحدة فقط مثل:

أقرأ الصحف:

ـ لمتابعة الأحداث..

ـ للتسلية وقت الفراغ..

ـ للثقافة وزيادة المعلومات.

ب ـ أسئلة ملء الفراغات: FILL IN THE BLUNK:

وهي أسئلة تستهدف التعرف على قدرة المبحوث على تذكر أشياء معينة. مثل برنامج علوم وأعلام يذاع الساعة ـــــ من يوم ـــــ من كل أسبوع ويقدمه ـــــ.

جـ ـ أسئلة التصفية: FILLER QUESTIONS:

وتهدف إلى اختبار درجة وعي المبحوث بموضوع ما، واختبار صدق بعض البيانات التي أدلى بها المبحوث في مواقع متفرقة من استمارة الاستبيان، وتستدعى بالضرورة سلسلة من الأسئلة التفصيلية

التي تصاغ بشكل مختلف عن الأسئلة الأخرى. فإذا أجاب المبحوث على السؤال التالي بنعم هل تساهم المسلسلات المستوردة في حل مشاكل وقضايا المجتمع الليبي، فإن سؤالاً مصاغ بطريقة أخزى يكشف عن مدى صحة ما ذهب إليه المبحوث مثل.. هل تتفق القضايا التي تعالجها المسلسلات المستوردة مع عادات وتقاليد وقيم المجتمع الليبي (نعم ـ لا).

وأياً كانت أنواع الأسئلة المستخدمة، فإن على الباحث أن يدرك بعض الاعتبارات الهامة التي تساعده على تجنب وضع الأخطاء والثغرات في تصميم الاستمارة، وصياغة أسئلتها.

اعتبارات يجب مراعاتها عند وضع الأسئلة:

1 ـ إن الإجابة على أي سؤال في صحيفة الاستبيان والاستبار يتحدد وفقاً لطريقة توجيه السؤال نفسه.

2 ـ إن الأسئلة الأولى مهمة جداً، لأنها تبين للمبحوث الأسلوب العام للاستمارة، ونوع الجواب الذي نتوقعه، والموضوع الذي سيعالجه، وعلى أساسها تنشأ العلاقة بين الباحث والمبحوث، ولذا يفضل البدء بالأسئلة التي تفيد المبحوث وتجذب انتباهه، وتزيد من حماسه.

3 ـ أن تكون الأسئلة واضحة وقصيرة ومباشرة ومتسلسلة بصورة منطقية، ومصاغة بلغة سهلة وبسيطة.

4 ـ تجنب الأسئلة الغامضة، أو التي تتضمن مصطلحات غامضة لأن الغموض، يولد إجابات غامضة مثل:

هل تحقق صحيفتك المفضلة انقرائية عالية؟.

5 ـ تجنب الأسئلة ذات الأغراض المتعددة.. مثل: متى تقرأ الصحف؟ وهل تقرأها بصفة منتظمة أم غير منتظمة؟ وهل تفضل قراءتها في المنزل أم العمل أم الحافلة؟..

6 ـ تجنب الأسئلة الصعبة التي ترهق المبحوث بعمليات حسابية مثل: ما هي البنود التي تصرف فيها مرتبك الشهري؟.

7 ـ تجنب الأسئلة المفترضة.. مثل كم ساعة تقضيها في قراءة صحيفتك المفضلة؟ هذا السؤال يفترض أن للمبحوث صحيفة مفضلة.

8 ـ تجنب الأسئلة الحرجة مثل هل تسمع خطابات رئيس الجمهورية؟.

9 ـ تجنب الأسئلة التي تشير إلى الإجابة المطلوبة مثل: هل تفضل الدراسة النظرية للإعلام؟

أم

الدراسة العملية التي تساعدك على الحصول على وظيفة في إحدى المؤسسات الإعلامية؟..

10 ـ تجنب الأسئلة التي تعطي المبحوث فرصة التحيز الشخصي مثل:

هل تفضل مشاهدة التلفزيون.

ـ بمفردك.

ـ مع زوجتك.

11 ـ تجنب استخدام الكلمات التي قد ينجم عنها سوء فهم أو إدراك للسؤال بسبب تأثير مضمون السؤال نفسه. مثال ذلك الباحث الذي سأل الزنوج في جنوب الولايات المتحدة، عما إذا كانوا يفضلون تدخل الحكومة لتحديد الأرباح PROFIT، فجاءت غالبية إجابات مفردات العينة بالنفي.. لأن هذا الأمر من اختصاص الله سبحانه وتعالى.. فقد وقعت غالبية مفردات العينة في الخلط بين كلمة ربح FROFIT وكلمة نبي PROPHIT، وهما ينطقان بطريقة واحدة تقريباً[10].

وهنا تجدر الإشارة إلى أن معنى السؤال قد يتغير بسبب بعض عادات النطق التي تنتشر في المجتمعات الريفية والمحلية، ونتيجة استخدام بعض الكلمات التي تتميز بمعنى خاص بالنسبة لجماعات معينة مثل «متى روحت؟»

بمعنى «متى رجعت» عند بعض الليبيين، في حين أنها عند البعض الآخر تعني متى ذهبت؟.

كما يجب مراعاة أنه عند بدء العمل الميداني، لا يجوز للباحث إجراء أي تغيير في استمارة البحث تحقيقاً لوحدة القياس بين الباحثين المساعدين، إذ يتحتم عليهم في هذه المرحلة إتباع وتنفيذ تعليمات البحث الميداني بكل دقة، وكذلك مراجعة العمل الميداني قبل مغادرتهم حالة البحث للتأكد من أنهم قد استوفوا جميع الأسئلة.[11]

ثالثاً ــ صحيفة وجداول تحليل المضمون:

لما كان تحليل المضمون هو الأسلوب العلمي الأمثل لفك رموز الرسالة الاتصالية بشكل موضوعي منظم وواقعي ومقصود تحقيقاً لهدف ما، فإن هذه العملية يصعب إجرائها دون تسجيل هذه الرموز بطريقة منظمة يسهل الرجوع إليها فيما بعد، وتحليلها وتفسير دلالاتها بما يكشف عن هذا المضمون كماً وكيفاً. . حيث توفر استمارة التحليل SCHEDULE للباحث إطاراً محدداً لتسجيل بيانات المحتوى بالصورة التي تفي متطلبات البحث. . حيث يتم تصميمها بما يتفق وأغراض التحليل، متضمنةً فئات التحليل على اختلاف مستوياتها (أساسية، فرعية، مؤشرات تحليل)، ووحدات التحليل والقياس.

ويتداخل مفهوم استمارة التحليل مع جداول التحليل عند كثير من الباحثين. وواقع الأمر يكشف أن الوحدة الأولى للتحليل هي الاستمارة أو الصحيفة، التي يتم بناءً عليها تحليل مادة الاتصال. . فإذا ما قام الباحث بدمج هذه الوحدات المحللة في جداول TABLES عامة تسع هذه الوحدات مجتمعةً أو متجزئةً، يكون قد انتقل من استمارة التحليل إلى جداول التحليل التي تختلف من حيث حجمها في كمية المادة المحللة التي تشملها. وعلى ذلك، فإن استمارة التحليل ما هي إلا صورة مصغرة لجداول التحليل في صورتها العامة. . وإن الاختلاف بينهما هو اختلاف في حجم المادة التي

يستوعبها كل منهما. وفي تقديري أن العمل بجداول التحليل مباشرة يقلل من الجهد والوقت المبذول في عملية التحليل، وهي عملية شاقة، ولذلك فإن أكثر الباحثين يتجه مباشرة إلى العمل بنظام جداول التحليل حتى لا يعيد تكرار نفس العمل مرتين.. وهذا يتطلب أن يصمم الباحث جداول التحليل على مستويات تدرجية حسب حجم المادة المحللة.. وصولاً إلى الجدول الرئيسي MASTER TABLE الذي يأتي في شكل مصفوفة شاملة لمختلف اتجاهات ومستويات وأشكال التحليل.

محتويات جداول التحليل:

تتضمن جداول التحليل عدداً من العناصر أهمها:

1 ـ **البيانات الأولية**: وتشمل البيانات الخاصة بالوثيقة التي سيتم تحليلها أو البرنامج الذي ستخضع عناصره لعملية التحليل مثل اسم البرنامج، زمن عرض البرنامج، موعد تقديم البرنامج، تاريخ الحلقة مخرج البرنامج.. الخ.

2 ـ **فئات التحليل**: وهي التصنيفات التي يضعها الباحث مستنداً إلى طبيعة الموضوع أو المادة المخضعة للتحليل وتضم فئات ماذا قيل؟ WHAT IT SAID? وكيف قيل؟ IT IS SAID?.. وفي النموذج المرفق نجد فئات تضم مادة الموضوع، والجمهور واللغة، ووسيلة الإقناع، وما إلى ذلك تندرج تحتها عدداً من الفئات الفرعية التي تتحد على أساسها عملية التحليل.. ملحق رقم 2 ص 384.

3 ـ **وحدات التحليل**: وتحدد المستوى الذي سيتم من خلاله تحليل المادة. الجملة ـ الفقرة ـ المؤثرات المرئية، المؤثرات الصوتية.. وما إلى ذلك.

ومن النموذج المرفق نلاحظ أن هذه الوحدات تختلف في تحليل اللغة اللفظية عنها في اللغة غير اللفظية.. حيث تكون اللقطة،

والمشهد مثلاً وحدات تحليل للصورة المرئية (غير لفظية) بينما الجملة (فصحى، عامية، مختلطة)، (حقائق، آراء، تعميمات) في اللغة اللفظية.

4 ـ **وحدات القياس**: وتختلف وفقاً لطبيعة المادة المراد تحليلها، والوسيلة الإعلامية التي قُدم المضمون من خلالها. ففي مجال الصحافة كثيراً ما يستخدم السنتمتر والبوصة والعمود كوحدات للقياس. بينما تستخدم الدقيقة في البرامج المرئية والمسموعة.. ومقاييس الأطوال، كالمتر، والقدم، والياردة في قياس الأشرطة ومقاييس الدلالة بالنسبة للألوان المطبوعة، ومقاييس النوع بالنسبة لشكل تقديم المادة، وذلك وفقاً لما تتطلبه طبيعة الدراسة.

رابعاً ـ صحيفة وصف الحالة:

وهي الأداة التي يتم عن طريقها جمع بيانات حول الحالة المخضعة للدراسة، سواء أكانت هذه الحالة شخصاً أو منطقة جغرافية، أو موقعاً إنتاجياً، أو إعلامية وما إلى ذلك.

وفي بحوث الاتصال، يتم تحديد بيانات هذه الأداة وفقاً لطبيعة الحالة المخضعة للدراسة. فإذا كان البحث يستهدف إجراء دراسة ميدانية في إطار منطقة جغرافية معينة كقرية الأبيار(*) مثلاً، فإن بيانات الصحيفة تتضمن عدداً من العناصر أهمها:

أ ـ نشأة القرية وتاريخها.

ب ـ عدد السكان وفقاً للإحصائيات الرسمية الحديثة:

عدد الأسر   متوسط عدد أفراد الأسرة.

جـ ـ توزيعات السكن من حيث:

ـ الجنس: ذكر   أنثى.

(*) قرية صغيرة تقع على مسافة 55 كيلومتراً من مدينة بنغازي الليبية.

ــ العمر: أقل من عشرة سنوات.

11 ـ 20.

21 ـ 30.

31 ـ 40 . . . وهكذا.

ــ المهن: لا يعمل

مزارع

تاجر

عامل

موظف. . . الخ.

ــ مستوى التعليم:

أمي

ابتدائي

إعدادي

ثانوي

جامعي. . . وهكذا.

د ــ عدد الوحدات السكنية.

و ــ نوع الوحدات السكنية:

ــ أرضي

ــ طابقين

ــ عمارات. . . الخ.

ز ــ المرافق العامة:

المدارس: عدد المدارس ـــــــ ومستوياتها.

ــ عدد التلاميذ في كل مستوى ابتدائي،

إعدادي،

ثانوي.

ــ نوع المدارس: بنين بنات مختلط.

ـ المرافق الصحية ومستوياتها ــــــــ

ـ خدمات البريد ــــــــ والهاتف ــــــــ

ـ الأندية ــــــــ

ـ الجمعيات التعاونية ــــــــ

ـ خدمات المياه والكهرباء.

ـ المواصلات داخل القرية.

ـ المواصلات بين القرية وأقرب مدينة.

ـ المسافة بين القرية والمدن المحيطة.

ح ـ أجهزة الراديو.

أجهزة التلفزيون.

أجهزة الفيديو.

ط ـ الصحف والمجلات التي تصل إلى القرية بصفة منتظمة:

ـ أماكن التوزيع.

ـ عدد النسخ.

ـ نوع الصحف (محلية ـ أجنبية).

وهكذا تندرج قائمة طويلة من المعلومات والبيانات التي تقدم وصفاً للحالة في مختلف جوانبها. وهي معلومات تفيد الباحث في إدراك بعض العلاقات القائمة في داخل الحالة، مثل انتشار الأمراض وحجم الخدمات الصحية، انتشار أجهزة الاستماع والمشاهدة، ومدى الإلمام ببعض البرامج الريفية مثلاً. . أو القضايا العامة مثلاً.

خامساً ـ أدوات الملاحظة:

تعتبر الملاحظة المنظمة من أهم أدوات جمع البيانات، وخاصة في الدراسات والبحوث الإعلامية التي تستوجب على الباحث ملاحظة المبحوثين في مواقف معينة. مثل: دراسة سلوك الأطفال أثناء مشاهدة برامج تلفزيونية معينة. وقد عالجنا الملاحظة في الفصل الثالث من هذا الكتاب من حيث:

1 ـ دور الملاحظة في التعرف على المشكلات العلمية.
2 ـ الملاحظة كطريقة للبحث.
3 ـ الملاحظة كأسلوب من أساليب جمع البيانات.

وفي هذا الجزء نتناول أدوات الملاحظة كوسيلة من وسائل جمع البيانات. . وأهم هذه الأدوات:

ـ قوائم الملاحظة: CHECKLIST:

وهي عبارة عن نموذج متعدد المستويات يتم فيه تدوين السلوك أو الموقف موضع الملاحظة لحظة حدوثه، ويتضمن قائمة الموضوعات المطلوب ملاحظتها. وفي صيغة أخرى فإن قوائم الملاحظة هي أداة يمكن للباحث تصميمها وفقاً لطبيعة البحث والمتغيرات التي يرغب في ملاحظتها.

ويمكن تطوير هذه الأداة لتجمع بين ملاحظة الموقف، وتقدير قوة أو درجة الموقف أو السلوك.

وهي أداة يشترط مشاركة أكثر من باحث عند استخدامها، حتى يمكن تقييم مدى الثقة في صحة الملاحظة ودقتها وفقاً للقائمة المعدة لهذا الغرض.

مثال: نموذج لملاحظة سلوك التعامل مع الصحف والمجلات في محلات البيع:

ـ رقم الشخص موضع الملاحظة: ـــــــ
- نوعه ذكر أنثى.
ـ موقع محل البيع:
- شارع رئيسي.
- شارع جانبي.
- . . . الخ.
ـ مكان البيع:
- مكتبة عامة.
- كشك بيع الصحف والمجلات.

ـ موزع متجول.

ــ أسماء الصحف: تذكر أسماء الصحف التي تصدر بالبلد أو التي تصل إليه من خارجه.

ــ وقت الشراء:

ـ الصباح: الساعة 6 ـ 7 ـ 8 ـ 9 ـ 10 ـ 11 ـ 12.

ـ بعد الظهر: 1 ـ 2 ـ 3 ـ 4 ـ 5 ـ 6.

ـ مساء: 7 ـ 8 ـ 9 ـ 10....

ــ طريقة الشراء:

ـ يشتري دون أن يدقق.

ـ يشتري بالنظر إلى عناوين الصحف والمجلات.

ـ يشتري بعد تقليب الصفحات.

ـ ينظر ولا يشتري.

ـ يقلب الصفحات ولا يشتري.

ــ أسلوب الشراء:

ـ يشتري ويعلق: نوع العبارات: ـــــــــ

ـ يشتري وهو صامت.

ــ الوقت الذي يستغرقه في عملية الشراء:

ـ أقل من دقيقة.

ـ دقيقة ـ دقيقتان، ثلاثة... الخ.

ــ عدد الصحف المشتراة:

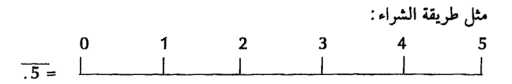
ـ صحف. ـ مجلات

1/2/3/.. 1/2/3.

وهكذا تندرج العديد من التقسيمات التي توجه الملاحظة وترشدها. كما يمكن إعطاء هذه الملاحظات دلالات رقمية أثناء عملية الملاحظة وذلك عن طريق استخدام:

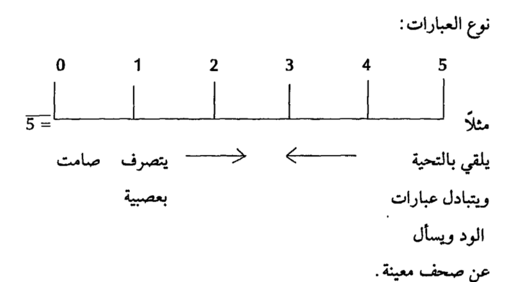
ــ مقاييس التقدير المتدرجة:

مثل طريقة الشراء :



ــ مقاييس التقدير الوصفية :

نوع العبارات :



سادساً ــ الأجهزة والمعدات الحديثة :

مثل معدات التصوير، والتسجيل المسموع والمرئي، وأجهزة الاتصال السلكي واللاسلكي، والقياس الإلكتروني التي يتم تركيبها في أجهزة الاتصال المرئي، والتي يمكن عن طريقها الاتصال بالمبحوثين لحظة مشاهدتهم لبرامج التلفزيون، ومقياس نيلسون NILSON الذي يسجل إلكترونياً كيفية التعامل مع الأجهزة المسموعة والمرئية، وأجهزة القياس السلوكي أو النفسي، وأجهزة تصوير قاع العين وحركتها أثناء القراءة والتي أمكن الاستفادة من نتائجها في تطوير الإخراج الصحفي وتيسير القراءة.

مراجـع الفصـل

(1) محمد الغريب عبد الكريم، البحث العلمي: التصميم والمنهج والإجراءات، ط 2، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1982، ص 124.

(2) رودلف غيفلون، بنيامين ماتلون، البحث الاجتماعي المعاصر: مناهج وتطبيقات، ترجمة علي سالم، ط 2، العراق، دار الشؤون الثقافية، 1986، ص 58.

(3) سمير محمد حسين: بحوث الإعلام: الأسس والمبادىء، دار الشعب، القاهرة، 1976، ص 123.

وكذلك انظر المرجع السابق من ص 57، 80.

(4) إحسان محمد الحسن، الأسس العلمية لمناهج البحث الاجتماعي، ط 1، بيروت، دار الطليعة، 1982، ص 93.

(5) محمد الوفائي، مناهج البحث في الدراسات الاجتماعية والإعلامية، ط 1، القاهرة، الأنجلو المصرية، 1989، ص 97.

(6) سمير محمد حسين، مرجع سابق ذكره، من ص 178 إلى ص 201.

(7) لويس كوهين، لورانس مانيون، مناهج البحث في العلوم الاجتماعية والتربوية، ترجمة كوثر حسين، وليم تاوضروس، ط 1، القاهرة، الدار العربية للنشر والتوزيع، 1990، ص 136.

(8) نوال محمد عمر، مناهج البحث الاجتماعية والإعلامية، القاهرة، الأنجلو المصرية، 1986، ص 174.

(9) معن خليل عمر، الموضوعية والتحليل في البحث الاجتماعي، ط 1، بيروت، دار الآفاق الجديدة، 1983، ص 220.

(10) روي كارتر، الدراسات الميدانية في بحوث الاتصال، في كتاب المدخل إلى بحوث الاتصال الجماهيري، بغداد، 1988، ص 138.

(11) سعد لبيب في مجلة البحوث، المركز العربي للبحوث، بغداد، العدد 23، ديسمبر، 1988، ص 46.

الفصل الثاني عشر

كتابة البحث الإعلامي: التقرير النهائي

كيف تكتب تقرير البحث؟ سؤال يطرحه الباحث عندما يفرغ من جمع المعلومات والبيانات الخاصة بدراسته.. إن الإجابة على هذا السؤال تجعل الباحث يفكر كثيراً في الصورة التي يتم بها عرض البحث في صورته النهائية.

وهي مسألة لا تتم بشكل جزافي، ولكنها تخضع لبعض المواصفات التي ينبغي على الباحث أن يلم بها قبل أن يشرع في كتابة التقرير النهائي للبحث، والذي يعكس المحصلة النهائية للجهد الكبير الذي قام به منذ أن كان البحث فكرة في ذهنه، وشعوراً غامضاً يحس به.

إن الغاية من جمع المادة العلمية هي: الكتابة والتأليف الذي يستهدف استخراج ما لم يسبقه إلى استخراجه، وإكمال النقص، وتصحيح الخطأ، وتوضيح المستغلق، وترتيب المختلط[1]. ولهذا فإن هذه المرحلة تعد من أدق مراحل البحث.. فالخطوات التي مرت من قبل، إنما تعد مقدمة لهذه المرحلة الهامة، التي لا بد أن تبرز فيها شخصية الباحث، وتفصح عن مدى استعداده للقيام بمهمة البحث والإبداع.. باعتبارها المرآة التي تنعكس عليها إمكانات الباحث الذاتية. فمن خلال سطور التقرير تظهر هذه الإمكانات، وتتجسد الملكة الذهنية العلمية للباحث من خلال عمليتي التحليل والتركيب PROCESS OF QUALYSIS AND SYNTHESIS التي تتطلب قدراً من الخيال، وغزارة في الأفكار، ومستوى عالي من الموضوعية.

وهذا الفصل يتناول كتابة تقرير البحث من حيث:

أولاً: محتويات تقرير البحث.
ثانياً: كتابة تقرير البحث.
ثالثاً: قواعد الاقتباس.

محتويات تقرير البحث:

1 ــ صفحة العنوان وتصمم على النحو التالي:

جامعة قاريونس
كلية الآداب والتربية

عنوان البحث ____________________
____
____

مقدم من الطالب
____

للحصول على درجة الماجستير في الآداب
في قسم الإعــلام

تحت إشراف
____
1992

2 ــ **صفحة الإجازة** وتصمم على النحو التالي:

نحن أعضاء لجنة مناقشة الطالب

في موضوع الرسالة التي تقدم بها

تحت عنوان ــ

بعد الاطلاع على الرسالة والتثبت من صلاحيتها لهذه الدرجة، وبعد المناقشة العلنية لها بتاريخ ــــــــ (نقرر أو نوصي) بمنح الطالب درجة الماجستير في الآداب من قسم الإعلام بتقدير ــــــــ

1 ــ

2 ــ

3 ــ

3 ــ **فهرس البحث**: ويتضمن:

أ ــ المقدمة.

ب ــ التمهيد.

جـ ــ الأبواب أو الفصول أو المباحث أو الأجزاء وذلك حسب التقسيم الذي يراه الباحث مناسباً لبحثه.

د ــ قائمة الجداول (إن وجدت).

هـ ــ قائمة الأشكال والرسوم (إن وجدت).

و ــ قائمة الملاحق (إن وجدت).

مع توضيح الأرقام التي تشير إلى المكونات السابقة بالتفصيل.

4 ــ **المقدمة**: وتتضمن الشكر لكل الذين ساعدوا الباحث في إنجاز رسالته، وذلك اعترافاً بفضلهم وتقديراً من الباحث لمعاونتهم له في أداء هذه المهمة.

5 ــ **تمهيد البحث**: وهو عبارة عن عرض سريع لبعض السمات أو الخصائص التاريخية أو الفنية التي تمهد لموضوع البحث.

6 ــ **منهجية البحث**: وهي عبارة عن تطوير وتعديل للمقترحات الأولية لمشروع البحث. فمن الطبيعي أن يكون الباحث قد تقدم ببعض المقترحات التي تحوي تصوراً لمشروع البحث الذي تقدم به لنيل الدرجة العلمية.. وهي تشكل الرؤية العلمية والموضوعية للمشكلة البحثية ومجالها وأهميتها.. كما تعكس الإطار العام للمسائل الإجرائية والفنية وللطرق والأساليب والأدوات المنهجية التي تعنيه على دراسة المشكلة والتوصل إلى قرارات بشأنها أو إيجاد حلول لها. وفي هذه المرحلة يقوم الباحث بصياغة منهجية البحث في صورتها النهائية مراعياً إدخال التعديلات التي فرضتها إجراءات البحث في المشكلة.. وتتضمن منهجية البحث في صورتها النهائية النقاط التالية:

أ ــ مدخل حول المجال العلمي لموضوع البحث.
ب ــ الوضع المنشيء لمشكلة البحث.
جـ ــ تحليل مشكلة البحث.
د ــ الافتراضات العلمية التي تستند إليها الفروض والمتغيرات التي تبحث فيها..
هـ ــ فروض البحث وتساؤلاته.
و ــ تعريف المفاهيم والمصطلحات الواردة في مشكلة البحث وفروضه.
ز ــ الطرق والأساليب المنهجية المستخدمة في إجراء البحث وكيفية استخدامها وحدود هذا الاستخدام.
ح ــ تحديد وسائل وأدوات جمع البيانات الأولية للبحث.. وتقديم وصف

دقيق لها، ولكيفية استخدامها.

ط ـ مجتمع البحث والعينة.

ي ـ طبيعة الدراسة وأسلوب إجرائها: تطبيقية، تحليلة، ميدانية، شبه تجريبية، تجريبية.

ك ـ استعراض محتويات البحث لتوضيح مسارات المحتوى واتجاهاته والعلاقات القائمة بين أجزائه المختلفة(*).

7 ـ الدراسة النظرية لموضوع البحث:

وفقاً لطبيعة البحث، ومعلوماته التي استقاها الباحث من الكتب والمراجع والدراسات والبحوث السابقة، فقد تضم الدراسة النظرية عدة فصول أو مباحث.. وهي بمثابة الإطار المرجعي والمعرفي لموضوع البحث.. وفيه، يقدم الباحث المعلومات التي قام بجمعها وفقاً لرؤيته الخاصة.. شارحاً ومفسراً ومحللاً ومستنبطاً لأفكار جديدة.

وتعتبر هذه المرحلة من أصعب مراحل كتابة البحث وتعرف بمرحلة التحليل والتركيب، حيث تتطلب ألا يكون الباحث مجرد ناقل أو جامع للمعلومات، يرصها رصاً دون أن يخضعها للتحليل الذي يساعده على استنباط الأفكار والرؤى الجديدة التي تأتي كإجابات للتساؤلات التي يطرحها.. وخاصة إذا كانت الدراسة التي يقوم بها الباحث «نظرية» أو تتضمن في جزئية منها جانباً نظرياً، والواقع يكشف أن الدراسة النظرية تبدو مقنعة للقراء إذا ما كانت تسير في نفس النهج الذي طرحته التساؤلات، مجيبة في ذات الوقت عليها.

ولكي يحقق الباحث هذه المرحلة بكفاءة عالية، عليه أن يقوم بمراجعة وتنظيم مادة البحث التي تم جمعها في بطاقات وذلك وفقاً للخطوات التالية:

أ ـ مراجعة البطاقات للتأكد من أن المعلومات التي تحتوي عليها تدخل

(*) للمزيد من التفاصيل: انظر كتاب إعداد المقترحات الأولية لمشروعات البحث، للمؤلف، منشورات جامعة قاريونس، ليبيا، 1992.

في إطار المبحث أو الفصل الذي سيقوم بكتابته.. وقد يرى الباحث في هذه المرحلة استبعاد البطاقات التي تحوي معلومات ليس لها صلة مباشرة بموضوع الفصل.

ب ـ القراءة المتأنية والمركزة للبطاقات وتنظيمها كأفكار أو كعناصر، وذلك بتجميع البطاقات في مجموعات تعالج كل مجموعة فكرة واحدة، بحيث تشكل المجموعات مجتمعة العناصر التي سيتناول الباحث من خلالها موضوع المبحث أو الفصل، وكذلك الأمر بالنسبة لبقية الفصول.

جـ ـ ترتيب مجموعات البطاقات حسب أهمية المعلومات التي تحتوي عليها ترتيباً منطقياً، تتم بموجبه عملية صياغة الأفكار. ويجب على الباحث التعبير عن الأفكار بأسلوبه الخاص.. وإذا لجأ إلى الاقتباس، فيجب أن يكون قصيراً. فالبحث ليس مجرد نقل اقتباسات أو معلومات من الآخرين، وإنما هو عملية إبداعية خلاقة تغوص في المعاني والمعلومات.. لاستنباط الأفكار أو المعاني الجديدة.

8 ـ الدراسة التطبيقية أو التحليلية، أو الميدانية، أو التجريبية:

وتوصف هذه المرحلة بأنها قمة الجانب الإبداعي في البحث، لأنها تظهر أصالة الباحث، ومدى عمق نظرته ونفاذ بصيرته.. وفيها يقوم الباحث بتصنيف وتبويب وتحليل البيانات وتفسيرها وفق نسق معين يتيح للمسات أو الخصائص الرئيسية للبحث أن تبرز بصورة واضحة، ومن أهمها المتغيرات وطريقة تداخلها وارتباطها وتوافقها مع بعضها البعض.. والأمر الذي يتيح تفسيرها للكشف عن جوانب الظاهرة، والعوامل المرتبطة بها والمؤثرة فيها.. ويعتمد الباحث في مرحلة تفسير البيانات على فروض البحث وتساؤلاته للإجابة عليها أو إظهار مدى صحتها أو خطأها.. وعليه مراعاة الموضوعية في التفسير، وعدم التأثر بأي آراء شخصية في هذا التفسير.. وعدم المبالغة في التعميم.. ويمكن تفسير النتائج كذلك في ضوء نظرية

قائمة أو في ضوء الافتراضات التي انطلق منها محاولاً إثبات صحة النظرية أو دحضها أو الوصول إلى نظرية جديدة.

وقد يتضمن هذا الجزء من البحث عدداً من الفصول أو المباحث، وفقاً لتركيبة البحث.. ففي مجال دراسات المستوى الأول أي الدراسات التاريخية الوصفية والتطبيقية: فإن الباحث يكون قد استنبط من دراسته النظرية الأسس العلمية التي سيستند إليها لإجراء الدراسة التطبيقية مثلاً. فإذا كانت الدراسة في مجال أسس الإخراج الصحفي: دراسة تطبيقية على الصفحات الأولى للصحف اليومية الليبية في فترة زمنية محددة، فإن الباحث، ومن خلال الدراسة النظرية يكون قد تعرف على الأسس العلمية التي تتبع في إخراج مختلف العناصر التبوغرافية.. واستخداماتها في إخراج الصفحة الأولى، ليهتدي في دراسته التطبيقية حتى يصل إلى الإجابة على السؤال الأساسي لموضوع البحث، ألا وهو: إلى أي مدى تطبق الصحف محل الدراسة أسس الإخراج الصحفي في إخراج الصفحات الأولى.

أما إذا كانت دراسة الباحث من المستوى المنهجي الثاني ألا وهو «تحليل المضمون»، فإن الدراسة التحليلية عادةً ما تتضمن فصولاً أو مباحث تشمل:

أ ــ التحليل الكمي.
ب ــ التحليل الكيفي.
جـ ــ نتائج التحليل وتفسيرها.

أما إذا كانت دراسة الباحث من المستوى المنهجي الثالث التي تسمى «بحوث الدور»، فإن منهجية هذا النوع من البحوث وتضم:

أ ــ تحليل المضمون.
ب ــ الدراسة الميدانية.

وهنا ينبغي للباحث، وهو يكتب تقرير البحث أن يقدم الجزء الخاص

بتحليل المضمون أولاً، ثم يأتي بعد ذلك الجزء الثاني ألا وهو الدراسة الميدانية.

أما إذا كانت دراسة الباحث من المستوى المنهجي الرابع التي تضم البحوث شبه التجريبية والتجريبية التي تهدف التعرف على الأثر.. فإن الباحث وهو يعد تقريره، عليه أن يقدم لإجراء الدراسة على النحو التالي:

دراسة تحليل المضمون أولاً

الدراسة الميدانية ثانياً

الدراسة التجريبية ثالثاً.

سواء قام بإجراء الدراسات السابقة للدراسة التجريبية بنفسه، أو استند إلى نتائج هذه الدراسات السابقة في بناء الدراسة التجريبية.

9 ـ نتائج وتوصيات وخاتمة البحث:

ويتضمن هذا الجزء:

أ ـ **نتائج البحث:** ومن خلال تقديمها، يعطي الباحث صورة متكاملة لما حققه البحث من أهداف ونتائج، وتعميمات يمكن التنبؤ على أساسها. وعلى الباحث أن يبين ذلك في إطار الفروض أو التساؤلات التي انطلق منها، موضحاً مدى اتساق النتائج مع هذه الفروض. وعليه أن يقدم عرضاً علمياً، ومناقشة موضوعية للنتائج التي توصل إليها ـ حتى ولو كانت مضادة لوجهة نظره، وذلك بتبيان مدى وقتها وصحتها ودرجة الثقة فيها، والحقائق والاتجاهات التي تضمنتها.

ب ـ **توصيات البحث:** وفي هذا الجزء، يقدم الباحث عقب عرضه للنتائج وتفسيره لها، بعض التوصيات أو المقترحات المتعلقة بموضوع البحث ونتائجه، حيث يربط بين ما توصل إليه من نتائج، وبين بعض المقترحات التي يجدها مناسبة لمواجهة بعض المواقف أو حل بعض المشكلات التي أسفرت عنها دراسته.. وعليه أن يكون واقعياً في توصياته موضوعياً في الحلول التي يقترحها.

جـ ـ **خاتمة البحث**: وهي عبارة عن كلمة أخيرة يفتح بها الباحث آفاقاً بحثية جديدة وذلك بتسليط الضوء على بعض المجالات التي يمكن لباحثين آخرين دراستها. . وهو بذلك يقدم المساعدة والتوجيه إلى الجديد الذي يمكن دراسته في إطار هذا الموضوع.

10 ـ إثبات المراجع:

وفي هذا الجزء يقوم الباحث بإثبات المراجع في قائمة نهائية وذلك على النحو التالي:

أ ـ الأبحاث العلمية والتقارير والوثائق غير المنشورة.
ب ـ الكتب والدراسات العربية والمترجمة.
جـ ـ الكتب والدراسات الأجنبية.
د ـ الدوريات والمجلات العربية.
و ـ الدوريات والمجلات العربية.
ز ـ المقابلات.

على أن يراعى ترتيب المراجع أبجدياً في كل نوع من أنواع هذه المراجع حسب الأسماء الأولى للمؤلفين العرب، والأسماء الأخيرة للمؤلفين الأجانب. . مع مراعاة استيفاء قواعد الإثبات وفقاً للعرف العلمي المعمول به في ترتيب مواصفات المرجع، وتجدر الإشارة هنا إلى أن إثبات المراجع في القائمة النهائية للبحث أو الدراسة، يتم دون ذكر رقم الصفحة.

أما بالنسبة لإثبات المراجع في هوامش البحث، فإن هذه المسألة تعتبر من المهارات الفنية المطلوبة في الباحثين، كما أنها تخضع لعرف علمي، يراعى فيه بعض الاعتبارات الخاصة بإثبات المراجع في الرسائل التي تقدم لنيل الدرجات الجامعية العليا، حيث يفضل إثبات المراجع التي يقوم الباحث بالاقتباس منها في الهامش أسفل الصفحة نفسها، تسهيلاً للقراءة، ولأعضاء لجنة المناقشة عند التثبت من المرجع وطريقة إثباته واستخدامه. .

وتهدف عملية إثبات المراجع إلى تحقيق مجموعة من الأهداف أهمها:

أ ــ التأكد من عنصر الأمانة العلمية.

ب ــ التدليل على أصالة البحث وجودته.

جـ ــ مساعدة القارىء في الوصول إلى المصادر الأساسية للمادة العلمية.

د ــ الثقة العلمية في البحث.(1)

وتستخدم الهوامش لأغراض متعددة أهمها:

أ ــ الإشارة إلى المصدر الذي اقتبست منه المعلومة.

ب ــ توجيه القارىء إلى مصادر إضافية للمعلومة المقتبسة.

جـ ــ توجيه القارىء إلى جزء آخر من الرسالة أو البحث تناول فيه الباحث المعلومة بتوسع.

د ــ شرح بعض الكلمات أو العبارات أو المصطلحات الأجنبية أو الغامضة.

هـ ــ الإشارة إلى نقطة جانبية، يخشى أن يؤدي الإسهاب فيها إلى اضطراب تسلسل الأفكار المطروحة محل المعالجة(2).

ويشير الباحث إلى المرجع بوضع رقم يحيل القارىء إلى الهامش، سواء أكان ذلك في الاقتباس المباشر الذي يوضع بين علامتي التنصيص « » أو الاقتباس غير المباشر الذي لا يوضع بين هاتين العلامتين. وفي الحالات الأخرى التي سبق الإشارة إليها في جـ، د، هـ في استخدام الهوامش، يضع الباحث علامة تشير إلى الهامش مثل (*) بدلاً من وضع الأرقام، كما ينبغي إدخال علامات الفواصل للتمييز بين أجزاء المرجع الواحد. وأبسط طريقة لاستخدام الفواصل وضع شولة (،)، كما تستخدم علامة الاستدراك (:) بين العنوان الرئيسي للكتاب، والعنوان الفرعي له (إن وجد).

وتتعدد طرق إثبات المراجع، وفقاً لطبيعة المرجع ونوعه ونعته وعدد مرات استخدامه، وعدد المراجع المستخدمة لمؤلف واحد، كما تختلف طريقة إثبات المرجع أول مرة عن طريقة إثباته في المرات التالية، وذلك وفقاً للأسلوب التالي:

أولاً ــ طريقة إثبات المرجع لأول مرة:

يثبت المرجع لأول مرة كاملاً وذلك على النحو التالي:

أ ــ اسم المؤلف، العنوان الرئيسي للكتاب: العنوان الفرعي للكتاب، رقم الطبعة إذا كان للكتاب أكثر من طبعة، اسم ورقم السلسلة إذا كان الكتاب صادر عن سلسلة، رقم الجزء (إن وُجد)، بلد النشر، الناشر، سنة النشر، رقم الصفحة.

السيد أحمد مصطفى، إعداد المقترحات الأولية لمشروعات البحث: نموذج للتطبيق، الطبعة الأولى، ليبيا، منشورات جامعة قاريونس، 1992، ص 64.

ومن خصائص نظام هارفارد HARVARD SYSTEM OF REFERENCING إثبات الناشر قبل بلد النشر، ثم سنة النشر، ولكن هناك من يرى إثبات بلد النشر، ثم الناشر، ثم سنة النشر. وعلى أية حال، فالمسألة ليست محل خلاف كبير.

كما يجب مراعاة إثبات اسم المؤلف إذا كان أجنبياً على طريقة أهله أي تقديم اسم العائلة على اسم المؤلف. مثل: BUDD R.W.

ب ــ أما إذا كان للمرجع أو الكتاب أكثر من مؤلف: تكتب أسماء ثلاثة مؤلفين على الأكثر، أما إذا زاد عددهم عن ثلاثة فيكتب اسم المؤلف الأول فقط متبوعاً بكلمة (وآخرون) في حالة المراجع العربية، والمصطلح المختصر (ETAL) في حالة المراجع الأجنبية مثال:

عبد العزيز مختار (وآخرون)، البحث الاجتماعي في مهنة الخدمة الاجتماعية، القاهرة، جامعة حلوان، 1983، ص 133.

جـ ــ إثبات كتاب مؤلف بجهد جماعي، ويثبت على النحو التالي:

اسم الجهة التي أشرفت على تجميع مادة الكتاب، اسم الكتاب، ثم بقية التفاصيل مثال:

جامعة لويزيانا، المدخل إلى بحوث الاتصال الجماهيري، ترجمة المركز العربي للبحوث، بغداد، 1988، ص 12.

د ــ إثبات كتاب مؤلف بجهد جماعي تحت إشراف أحد المتخصصين في موضوع الكتاب، وفي هذه الحالة يكتب اسم المتخصص متبوعاً بكلمة (محرر) بين قوسين في حالة الكتب العربية، أما بالنسبة للكتب الأجنبية تكتب كلمة (EDITOR) بين قوسين أيضاً مختصره (ed)، ثم تستكمل بقية التفاصيل مثل:

ASHEIM, L., (EDITOR), FROM BOOK TO FILM: READER IN PUBLIC OPINION AND COMMUNICATION, FREE PRESS, GLENCOE, 1950, P. 299.

(cd)

هـ ــ إثبات كتاب بدون مؤلف، ويتم ذلك على النحو التالي:

اسم الكتاب، مكان النشر، اسم الجهة التي قامت بنشره، رقم الطبعة، اسم ورقم السلسلة، رقم الجزء، سنة النشر، رقم الصفحة.

مثال:

الصحفيون الموريتانيون والتدريب المهني، دمشق، المركز العربي للدراسات الإعلامية للسكان، ط 1، 1975، ص 109.

و ــ إثبات الكلمة المترجمة أول مرة، ويتم ذلك على النحو التالي:

اسم المؤلف، اسم الكتاب، ترجمة «اسم المترجم»... الخ.

مثال:

هيربرت شيللر، المتلاعبون بالعقول، ترجمة عبد السلام رضوان سلسلة عالم المعرفة، رقم 106، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1986، ص 120.

ز ــ إثبات البحوث العربية والأجنبية غير المنشورة، ويتم ذلك على النحو التالي:

اسم المؤلف، اسم البحث، وصف المراجع بمعنى رسالة ماجستير، دكتوراه. . . ، مكان وجود البحث، اسم الجهة التي يوجد لديها البحث، تاريخه، رقم الصفحة.

السيد أحمد مصطفى عمر، القضايا السياسية في صحافة السودان 24 ـ 1956، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الإعلام، 1984، ص 150.

KITWOOD, T.M., VALUES IN ADABSCENT LIFE: TO WORD A CRITICAL DESCRIPTION, UNIVERSITY BRADFORD, 1977, P. 19.

ح ـ إثبات البحوث والمواد العلمية المنشورة في الدوريات والمجلات العلمية، ويتم ذلك على النحو التالي:

اسم كاتب البحث، عنوان البحث كاملاً، اسم الدورية أو المجلة، اسم السلسلة ورقمها (إن وُجد)، رقم المجلد، تاريخ العدد، رقم الصفحة. مثال:

عبد الحكيم أجهر، العقل العلمي، مجلة الفكر العربي، 55، السنة العاشرة 1، فبراير 1989، ص 26.

ADAMS, J.B., WHAT THE FOREIGN CORRESPONDENT DOES FOR A NEWS PAPER" READERS, J. QUARTERLY, VOL. 43, No: 4, P. 300.

ثانياً ــ إثبات المرجع في المرات التالية:

أ ــ إذا كان المرجع التالي هو نفس الكتاب الذي سبق الإشارة إليه. دون أن يفصل بين استخدامه في المرة الأولى، والمرة الثانية أي مرجع آخر، يستخدم الاصطلاح التالي:

المرجع السابق، رقم الصفحة. وفي حالة المراجع

الأجنبية نستخدم المختصر IBID ثم رقم الصفحة.

ب ـ أما إذا فصل مرجع أو مراجع أخرى بين استخدام المرجع في المرة الأولى، واستخدامه في المرة الثانية، فيكتب اسم المؤلف، مرجع سابق...، ثم رقم الصفحة، ويقابله اصطلاح OPCIT للمراجع الأجنبية، ثم رقم الصفحة.

جـ ـ أما إذا كان هناك أكثر من كتاب لمؤلف واحد يثبت المرجع على النحو التالي:

اسم المؤلف، اسم الكتاب، تمييزاً له عن الكتب الأخرى للمؤلف، مرجع سابق ويقابلها OPCIT للمراجع الأجنبية ثم رقم الصفحة.

11 ـ نصوص الملاحق:

ويتضمن هذا الجزء نصوص الملاحق التي استند إليها الباحث على أن يعطي لكل ملحق رقماً يحيل القارىء إليه، على أن يبين على كل ملحق، تاريخه، ومصدره، ونوعه، وغيرها من البيانات التي تبين كيفية الحصول عليها.

كتابة تقرير البحث:

«الأسلوب هو الرجل»، مثل يتداوله اللغويون. ويعني في مجال البحث العلمي، أن أسلوب الباحث في تناول موضوع البحث، إنما يدل على طريقة تفكيره، ومدى استيعابه لما يعالجه من مسائل، ويطرحه من قضايا، ويناقشه من آراء.

وأسلوب الكتابة العلمية، سمة أساسية من سمات كتابة البحوث العلمية، يستمد طبيعته من طبيعة الموضوع الذي يتناوله كل بحث. فالهدف من الكتابة العلمية هو: عرض طائفة من الحقائق والأفكار والمعاني. والتعبير كله وفاء بحاجة المعنى، وكشف تام له. ومن هنا كان مقياس التعبير العلمي

هو الوضوح والدقة، وهي مسألة يصعب تحقيقها دون وضوح في الفكرة أو المعنى، فكثيراً ما يكون غموض العبارة ناشئاً عن غموض الفكرة. . فيعجز الباحث عن اختيار الألفاظ الواضحة في معناها، الدقيقة في دلالتها.

كما أن كتابة البحث تحتاج إلى حصيلة لغوية مناسبة، وإلمام بنهج اللغة في التعبير. . وهي مسألة ضرورية للباحثين في مجالات العلوم الإنسانية بصفة خاصة.

وتبرز أسلوب كتابة البحث في الجوانب التالية:

أولاً: معالجة الأفكار.

ثانياً: لغة التعبير والكتابة والعرض والتحليل.

ثالثاً: قواعد الاقتباس.

وسنتناول بقليل من التفصيل هذه النقاط على النحو التالي:

أولاً ــ معالجة الأفكار:

من المسائل البديهية أن الأفكار التي يتناولها الباحث في بحثه، لا تكون في مستوى واحد من الأهمية وفي هذا الجانب يجب على الباحث مراعاة الاعتبارات التالية:

1 ــ التناسب بين الفكرة وحجم العرض، وهذا يتطلب من الباحث إعطاء الأفكار الرئيسة حجمها في العرض والمناقشة والتحليل والتركيب، والتأكيد عليها أثناء الكتابة، وتجنب الإطناب والمعالجة المطولة للأفكار الثانوية، والتركيز على الحقائق المسلم بها.

2 ــ عرض الأفكار في أسلوب متماسك ومتسلسل مع الحرص على ترابط أجزاء الفكرة الواحدة، وبين الأفكار بعضها البعض.

3 ــ تجميع الأفكار المتشابهة ومعالجتها في موضع واحد مع مراعاة تسلسلها المنطقي، والابتعاد عن تكرار معالجة الفكرة الواحدة في مواضع متفرقة.

4 ــ الوضوح في معالجة الأفكار وتجنب الغموض والرمز عند التأليف بين الأفكار وصولاً إلى الأفكار الجديدة.

5 ــ احترام آراء وأفكار الآخرين، ومناقشتها بصورة علمية، والاعتراف بحقهم الأدبي في الاقتباس وتجنب المبالغة في النقد.

ثانياً ــ لغة التعبير والكتابة:

إذا كان الأسلوب يعكس طريقة تفكير الباحث ومعالجته لموضوع البحث، فإن اللغة المستخدمة في الكتابة والتعبير تستمد طبيعتها من طبيعة الموضوع، والبحث العلمي كموضوع ـ أياً كان مجاله ـ يتسم بالكتابة العلمية، ومن أهم سماتها:

1 ــ في مجال التعبير:

أ ــ الوضوح والدقة في التعبير باختيار الألفاظ التي تعبر عن المعنى المقصود بدقة، ووضعها في أمكنتها المناسبة.

ب ــ إحكام الصياغة في الربط بين المفردات والكلمات والجمل المستخدمة والتناسق فيما بينها، وتحاشي التكرار إلا إذا استدعت الضرورة ذلك.

جـ ــ الموضوعية في التعبير وذلك بتجنب استخدام ألفاظ التهكم، والتفخيم، والجدل العقيم، واللغو، والألفاظ الإنشائية، التي تهدف إلى الإقناع برأي ما، أو تكشف عن أسلوب عدائي للآخرين، أو تعبر عن إعجاب أو انبهار دون مبرر.

د ــ تحاشي استخدام الجمل الطويلة التي تدل على معنى صغير، أو استعمال جمل قصيرة تدل على معاني عديدة أو كتابة جمل متقطعة غير مترابطة، تعكس ارتباك الباحث أو تشتت أفكاره.

هـ ــ استخدام اللغة العربية السليمة القريبة إلى الذهن، والأسهل إلى الفهم.

وتقتضي قواعد اللغة عدم استخدام الكلمات العامية إلا إذا وردت في اقتباس.. وتجنب استخدام المصطلحات الأجنبية إلا عند الضرورة، وتجنب الأخطاء الإملائية والنحوية واللغوية[3].

2 ــ في مجال الكتابة:

* ــ افتتاح الباب أو الفصل أو المبحث الذي يكتبه الباحث بتقديم مختصر، يبين للقارىء مكان هذا الباب (أو الفصل أو المبحث)، من التبويب العام للبحث، كما يحسن بالباحث أن يختتم الفصل بفقرة تبين أهم ما توصل إليه من أفكار أو نتائج.

* ــ مراعاة علامات الترقيم في الكتابة العربية وأهمها[4]:

أ ـ الفاصلة (،): وتستخدم للفصل بين أجزاء الكلام كما تستعمل بعد لفظ المنادي، وبين العطف والمعطوف، وبين جملة الشرط وجواب الشرط.

مثال: تقودنا عملية الاستقراء إلى استنباطات جزئية، ومن هذه الاستنباطات الجزئية نستخلص الحقائق الكلية، وهي الهدف الذي يسعى إليه الباحث.

ب ـ الفاصلة المنقوطة (؛): وتوضع بين السبب والمسبب مثال: رفضت اللجنة موضوع البحث؛ لأن الخطة كانت مفككة.

جـ ـ النقطة (.): وتوضع بعد نهاية الجملة التي تم معناها واستكملت كل مقوماتها. مثل: ربما يلاحظ الباحث بعد استقراء المادة العلمية أن عنوان بحثه بحاجة إلى تعديل.

د ـ النقطتان (:): ويستخدم بين القول والمقول وبين الشيء وأقسامه مثل:

الأجزاء التي تشملها الدراسة هي: الجزء النظري، والجزء التحليلي، والجزء الميداني..

هـ ـ الشرطة (ـ): وتوضع بين العدد والمعدود مثل: من 1 ـ 12.

و ـ الشرطتان (ـ ـ): وتستخدم للفصل بين جملة أو كلمة معترضة، مثل:

وسيجد معظم الباحثين ـ سواء الذين قاموا بتغيير عناوين موضوعاتهم أم ممن لم يغيروا ـ أنهم جمعوا مادة كثيرة للبحث، لم يستفيدوا إلا بجانب منها.

ز ـ علامة الاستفهام (؟): وتوضع بعد الجملة الاستفهامية مثل: ما هي أبعاد المصطلح؟ وما هي حدود استخدامه؟.

ح ـ علامة التنصيص « »: ويوضع بين قوسيها المزدوجين كل ما ينقله الكاتب أو الباحث من كلام غيره... وهو ما يعرف بالاقتباس المباشر.. مثل: «فالفرض يجب ألا ينظر إليه على أنه استنباط أو نتيجة، وإنما ينظر إليه على أنه.. احتمال مؤقت قابل للتغيير والتعديل..».

ط ـ علامة الحذف (...): وتوضع مكان المحذوف من الكلام المقتبس كما في المثال السابق.

ي ـ القوسان ( ): وتوضع في وسط الكلام ويكتب بينهما الألفاظ التي ليست من الأركان الأساسية لهذا الكلام.

ويذكر المؤلف (في كتابه المشار إليه) أن البحث العلمي...

ك ـ القوسان المركنان [ ]: ويوضع بينهما الزيادة التي يدخلها الكاتب على ما اقتبسه من كلام الآخرين مثل: يمكن التمييز بين المقاييس التي تقيس الفرد المبحوث [أي تساعد على تصنيفه]، وتلك التي تقيس موضوع الدراسة [أي تلك التي تصنف الظاهرة محل البحث]...

3 ــ في مجال العرض والتحليل:

أ ــ العرض والشرح والتحليل الدقيق للبيانات والمعلومات المتصلة بموضوع البحث في إطار منطقي.. ذلك أن كثيراً من الباحثين يعانون من ضعف التحليل بسبب الكتابة أثناء مرحلة جمع المعلومات.. حيث رصيدهم من المعلومات ضعيفاً، وبالتالي تضعف قدرتهم على التحليل العميق فيلجأون إلى التبسيط المبالغ فيه، والتعميم غير المؤسس على أدلة كافية أو تقديم براهين ضعيفة أو تفسيرات واهية.

ب ــ تقديم النتائج في حيدة وموضوعية، وعدم محاولة إخفاء النتائج غير المرضية.. أو إظهار النتائج مدللة بأدلة غير ناضجة.

جـ ــ تفسير النتائج بالصورة التي تضعها في الموضع الصحيح لها، بما يوضح أهميتها وكيفية الاستفادة منها، ويعكس قدرة الباحث على الخلق المنهجي والإضافة العلمية، وهذا يتطلب تفسير النتائج في إطار الظروف التي تربط الظاهرة بواقعها وبمنطق العصر الذي ظهرت فيه.

ثالثاً ــ قواعد الاقتباس:

الاستعانة بآراء الآخرين وأفكارهم مسألة بالغة الأهمية. فالاقتباس بالإضافة إلى كونه أحد قواعد كتابة البحوث العلمية، إلا أنه في ذات الوقت أحد وسائل جمع المادة العلمية. ومع صياغة الباحث للمادة وبأسلوبه الخاص، إلا أن الاقتباس يبقى متميزاً في تعبيراته ولذلك يُنصح الباحثين بعدم الإغراق في الاستعانة بالمراجع إلى الدرجة التي تجعل من الباحث مجرد ناقل للمعلومات الموجودة في المراجع الأخرى، الأمر الذي يدل على ضعف تفكير الباحث وسطحيته[4].

وعلى الباحث أن يدرك، أن الاقتباس سلاح ذو حدين، فهو قد يكسب النص قوة وعمقاً أو قد يجعله مفككاً ضعيفاً. ولهذا يجب على الباحث أن يحكم سيطرته العقلية على الاستشهادات من حيث حجمها وكيفية استخدامها والحصول عليها.

وتتعدد أنواع الاقتباسات ومنها:

ـ الاقتباس الكتابي والاقتباس السماعي:

حيث ينقسم الاقتباس الكتابي إلى حرفي مباشر أو تلخيص غير مباشر.

وهو في كل أنواعه يخضع للقواعد التالية:

1 ـ يجب أن يكون الاقتباس من مصادر أساسية، وإذا لم تتوفر هذه المصادر فيجب إسناد الاقتباس إلى صاحب الفكرة أو الرأي الأصلي ثم يثبت بقية المرجع مثل:

مارشال ماكلوهان، في جيهان أحمد رشتي، الأسس العلمية لنظريات الاتصال، . . . الخ.

2 ـ وضع الاقتباس الحرفي المباشر بين علامتي التنصيص مع وضع رقم يحيل القارىء إلى الهامش حيث يوجد المصدر الذي اقتبست منه المعلومة.

3 ـ وفي حالة الاقتباس التلخيصي غير المباشر لا توضع المادة المقتبسة بين علامتي التنصيص، مع الحرص على وضع الرقم الذي يحيل القارىء إلى المصدر المبين في الهامش مسبوقاً بكلمة انظر قبل ذكر بيانات المصدر أو المرجع.

3 ـ يجوز للباحث أن يحذف من المادة المقتبسة كلمة أو جملة لا يحتاج إليها في بحثه، بشرط ألا يضر الحذف بالمعنى الذي يريده الكاتب الأصلي، وفي هذه الحالة يضع الباحث مكان الجملة أو الكلمة المحذوفة ثلاث نقاط متتابعة (. . .) تدل على أنه أسقط شيئاً من الأصل المقتبس.

4 ـ إذا اضطر الباحث إلى الإضافة وسط الاقتباس الحرفي ليوضح شيئاً. . فعندئذ توضع هذه الإضافة داخل قوسين مركونين على هذا النحو [ ].

5 ــ يجب مراعاة الانسجام بين المادة المقتبسة وما سبقها وما تلاها من جمل أو فقرات حرصاً على السياق العام.. وذلك «بأن يدمج الاقتباس بأقصى درجة ممكنة في النص حتى يتحقق التسلسل المنطقي، والتتابع المتناسق»[5].

6 ــ إذا كان الاقتباس الحرفي لا يتجاوز ستة أسطر يوضع كجزء من البحث. وإذا تجاوز ذلك إلى صفحة أو أكثر، فيجب أن يوضع في الهامش.

7 ــ إذا أراد الباحث اقتباس رأي لأحد الكتاب لكي يناقشه فيه، فعليه أن يتأكد أولاً أن المؤلف لم يعدل عن هذا الرأي فيما نشر بعد ذلك من آراء... أو في الطبعات التالية من الكتاب.

مراجـع الفصـل

(1) سمير محمد حسين، بحوث الإعلام: الأسس والمبادىء، القاهرة، دار الشعب، 1976، ص 212.

(2) مصري حنورة، أحمد النكلاوي: فن إعداد وكتابة البحوث والرسائل الجامعية، القاهرة، مكتبة نهضة الشرق، 1986، ص 67.

(3) غازي حسين، إعداد البحث العلمي: ليسانس ـ ماجستير ـ دكتوراه، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 1986، ص 71.

(4) محمد السعيد جمال الدين، مناهج البحث والمصادر في الدراسات الإسلامية والعربية، ط 2، دار مرجان للطباعة، القاهرة، 1981، ص 72 ـ 73.

(5) غازي حسين، مرجع سابق ذكره، ص 95.

خاتمة الكتاب

منهج البحث في الإعلام

تركزت البدايات الأولى للدراسات والبحوث الإعلامية على مستوى الوطن العربي في فترة سابقة على معالجة الفراغ النظري الذي نشأ في تلك الفترة التي تمتد من بدايات ظهور وسائل الإعلام المختلفة، وحتى تأسيس أقسام متخصصة للدراسات الإعلامية. ففي تلك الفترة لم يكن من الممكن تطوير دراسات الإعلام دون سد هذا الفراغ، حيث أمكن عن طريق توجيه البحث العلمي في هذا المجال تجاوز هذا الفراغ بإجراء الدراسات الإعلامية ذات الطابع التاريخي والاستطلاعي، والتي وإن كانت توفر قاعدة من البيانات والمعلومات التي يمكن الاستفادة منها في بحوث أخرى، إلا أنها لا تؤدي إلى تغييرات جذرية ذات قيمة عملية وتطبيقية.

وقد أمكن لبعض الأقطار العربية تحقيق رصيد وافر من هذه الدراسات التأسيسية، بينما لا تزال أقطار أخرى تسير على الطريق.

وفي الوقت الذي تزخر فيه الدراسات الإعلامية العربية - عموماً - برصيد وافر من الدراسات الإعلامية التاريخية، يحدث العكس في بعض الدول الأوروبية إذ يشير البروفسير جيمس د. هالوران مدير بحوث الاتصالات الجماهيرية في جامعة ليستر في محاضرته التي افتتح بها دورة المحاضرات الدولية التي نظمتها مؤسسة البحوث الإذاعية والتلفزيونية الفرنسية والمركز الدولي للسينما والتلفزيون في مقر اليونسكو إلى أن الأبحاث الأوروبية في هذا المجال قد تركزت على المضمون والدور والأثر أكثر منها على المسيرة التاريخية[1].

ومن جهة أخرى، فإن الوصول إلى إطار منهجي لدراسات وبحوث الإعلام، لا يعني أن تقتصر جهود الباحثين في هذه المجالات فقط «المضمون والدور والأثر». . ذلك أن بناء أساس منهجي بشكل ينجسم مع التطلعات والأهداف العربية المعاصرة، يتطلب بالضرورة المضي في إجراء بحوث أكثر تطوراً وفق أساليب ومستويات منهجية مختلفة، تتواكب مع التطور العالمي الذي شهده هذا المجال في مختلف جوانبه، واضعين في الاعتبار أن تشابك وتداخل نشاطات ودراسات الإعلام على المستويين الدولي والمحلي، لا يعني تطبيق الأبحاث المستمدة من مجتمعات تختلف في ثقافاتها وتقاليدها ونظمها عن مجتمعنا العربي ناهيك عن بعض الفروق الموجودة بين الأقطار العربية نفسها.

كما أن مواكبة البحوث الإعلامية العربية للتطورات التقنية المستمرة في وسائل الإعلام الحديثة، وما ينجم عنه من اتصال فيما بين الثقافات المختلفة لهو أمر يحتاج بالضرورة إلى وضع منهجية تستوعب هذا التطور.

وبوجه عام يمكن القول إن هذا الحقل من حقول العلم والمعرفة لا يزال يعاني من نقص الاهتمام بأنماط معينة من البحوث وخاصة بحوث الدور والأثر، الأمر الذي أدى إلى تباطؤ عملية استنباط نظريات(*) عربية في الاتصال. وفي ضوء الأهمية المتزايدة للاتصال الجماهيري واستخداماته في مجالات التنمية المختلفة، ودورة في حل المشكلات، ومواجهة القضايا، والتعرف على المواقف، تتسع الحاجة إلى توسيع قاعدة بحوث الاتصال في الوطن العربي، وهذا بدوره يتطلب توظيف إطار منهجي يلبي حاجة هذه القاعدة، خاصة أن سرعة التطور التقني في هذا المجال، والسرعة التي يحدث بها التغير الاجتماعي قومياً ودولياً، تحتم توجيه جهد أكبر إلى دراسة

(*) المقصود هنا بكلمة نظرية: مجموعة البيانات المترابطة التي تتميز بدرجة عالية من التجريد، والتي يمكن أن نستخلص منها افتراضات قابلة للاختيار بالمقاييس العلمية التي يمكن الاعتماد عليها في وضع التنبوءات.

الدور الذي تقوم به وسائل الإعلام في تنمية المجتمع والإنسان، والأثر الذي تتركه عند المستقبل، وما يتبع ذلك من تطوير للأساليب والأدوات البحثية المستخدمة في بحوث هذا المجال حتى تتوافق مع:

أ ـ الأهداف والاحتياجات العربية المعاصرة.

ب ـ خصائص الجمهور العربي، وظروفه النفسية والسياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية المحيطة به.

جـ ـ الدور الأكثر اتساعاً الذي تلعبه تكنولوجيا الاتصال وتطور وانتشار الأجهزة المرئية والمسموعة وأجهزة التسجيل المرئي والمسموع والنقل عبر الأقمار الصناعية والتي بدأت في توليد معضلات جديدة ستكون أكثر تعقيداً في المستقبل القريب. وهو أمر يلزمنا بضرورة إعادة النظر في مضمون وسائل الإعلام في داخل مجتمعاتنا العربية. وهي مسألة تحتاج إلى بحوث علمية مركزة وموجهة للحد من التأثيرات السلبية الواسعة والعميقة التي قد تحدثها هذه الوسائل في الاتجاهات الثقافية والبنى الاجتماعية للشعوب.

د ـ نشوء جماعات ثقافية جديدة ـ كالشباب ـ امتلكت وسائل تقنية (فيديو ـ كاسيت) تفضلها على وسائل الاتصال الجماهيرية التقليدية، الأمر الذي أحدث فجوة بين الإعلام المركزي، وبعض فئات الجمهور التي ترفض بدرجات متفاوتة الرسالة الإعلامية الرسمية مفضلة استخدام الكاسيت والفيديو[2].

ومن جهة ثالثة، أثبتت الدراسات العملية في مجال دراسات الإعلام، أن المناهج الأكثر ملائمة في هذا المجال تتوقف إلى حد كبير على فهمنا للأوليات والاحتياجات المطلوب تحقيقها من إجراء بحث معين. وقد تتكامل مناهج البحث العلمي وأساليبه وأدواته في بحث أو دراسة واحدة. وقد تتداخل في استخداماتها إلى الدرجة التي يصعب معها في بعض الأحيان إلى القول القاطع بمنهجية محددة في إطار دراسة معينة. فعلى سبيل المثال: فإن

دراسة الحاضر تتطلب بالضرورة الرجوع إلى الماضي، واستيعاب إحداثه، وبعثها حيةً من جديد، لتقييمها بمنطق العصر الذي عاشته، وهنا يكون استخدام المنهج التاريخي هو الأفضل، ولكي تكتمل الدراسة إجراءاً وهدفاً، فإن الأمر يتطلب استخدام إحدى طرق المنهج الوصفي (المسح، العلاقات المتبادلة، الدراسة التطورية) لدراسة الوضع الراهن، كقياس حجم الاستماع، أو المشاهدة، والتعرف على رغبات الجمهور، أو الكشف عن مضمون الرسالة في عملية الاتصال، أو دراسة المؤسسة الإعلامية كحالة، أو ما إلى ذلك.

وبهذه الصورة، فإن المنهج هو الأساس الذي يقوم عليه أي علم من العلوم. والحقيقة المؤكدة أن لا علم بغير منهج يحقق أغراضه ويطور من افتراضاته ونظرياته. وإذا كانت علوم الاتصال على اختلاف مجالاتها قد استفادت من مختلف مناهج البحث العلمي (تاريخي، وصفي، تجريبي)، فإن ذلك يرجع إلى طبيعة هذا المجال الذي تتعدد تقسيماته، وتتشعب علاقاته بعلوم أخرى من بينها التاريخ والاجتماع والسياسة وعلم النفس والتربية وما إلى ذلك.

محاور المنهج المقترح في بحوث الإعلام:

المحور الأول: الرسالة:

تحتل الرسالة بصفتها الرمز الفعلي الذي يجري نقله عبر الوسائل الإعلامية، المحور الأساسي في عملية الاتصال. فهي كما يقول واين. أ. دانيلون «تقف معلقة في الزمن والفراغ بين المصدر الذي كونها والهدف النهائي الذي سيستقبلها. وهي نتاج لعدة قوى بعضها واضح وحاضر، وبعضها الآخر غامض وبعيد»[3].

حول مصدرها يدور التساؤل عن من الذي أعدها؟ ولماذا استخدم المصدر هذه الكلمة بدلاً من تلك؟ وهذه الوسيلة دون الأخرى؟ ما هي دوافعه؟ وما هي الأهداف التي يرمي إليها؟ وهل ستجذب الرسالة الاهتمام؟

وإلى أي درجة سيكون الاهتمام بها؟ وهل سيتم إدراك المضامين بالصورة التي يرمي إليها المصدر؟ وما هو الدور المتوقع منها؟ وما هي طبيعة هذا الدور؟ وما هو الأثر الذي ستتركه لدى المستقبل؟ هل ستؤدي إلى تغيير مواقفه؟ أم تدعم اتجاهات معينة عنده؟ أم تغيير قيم أو سلوكيات خاصة به؟.

وهكذا تندرج قائمة طويلة من الأسئلة التي قد تجد ردوداً انطباعية غير مقنعة أو قد يقف الإنسان أمامها حائراً لا يعرف بماذا يجيب.

وباختصار، فإن الرسالة تتضمن على الرغم من بساطة الفكرة التي تقوم عليها مسائل بالغة التعقيد.

ففي الماضي، تعرضت دراسات الإعلام للنقد بسبب اعتمادها على دراسة الأمور التاريخية والوصفية وعندما بدأ هذا النوع من الدراسات في التعمق باستخدام طرق وأساليب بحثية أكثر دقة وموضوعية برزت العديد من الحقائق المفترضة التي لم تكن حقائق على الإطلاق، وظهرت تبعاً لذلك نظريات الاتصال التي لو أمعنا النظر في الأساليب المنهجية التي اعتمد عليها أصحاب هذه النظريات في الوصول إليها، لوجدنا أن معظمها يدور حول الرسالة واضعين في الاعتبار أن هذه النظريات، لا يمكن أن تكون نهائية لأنها متغيرة، ولأن أساليب البحث العلمي محل تطور دائم.

المحور الثاني: الوسيلـة:

إن العوامل المتصلة بالوسيلة، أدت إلى ظهور بعض النظريات، التي ترى أن لمحتوى البرامج (الرسالة) أثراً ضعيفاً.. وأن الناس يتعاملون مع الوسيلة التي تقدم من خلالها الرسالة كفاعلية في حد ذاتها.. ويدلل مارشال ماكلوهان M. MCLUHAN على مميزات الوسيلة بمقولته التي أطلقها عام 1964 بأن الرسالة هي الوسيلة، وكذلك جيمي هـ. وات J.E. WATTE الذي قام باختبار عوامل الشكل للتحقق من ثبات نظرية ماكلوهان مستخدماً مقياساً للتعرف على الاستجابة العاطفية للبرنامج (مثير، مقبول، قوي) للتعرف على حكم الجمهور على تقبل مادة موحدة تقدم عن طريق التلفزيون

وجهاز إعلامي آخر. وقد كشفت الدراسة التي قامت بتقديم الراديو والتلفزيون لمادة واحدة إلى أن الاستجابة العاطفية للبرنامج، كانت أقوى في التلفزيون منها إلى الراديو.

إلا أن هذه النظرية قد وجدت معارضةً، وخاصة من المدرسة الفرنسية لعلوم الاتصال والتي ترى أن نظرية ماكلوهان تضعف أو تكاد تلغي قدرات الجمهور واهتماماته وأفكاره ومعتقداته التي تتحكم في اختياراته. وكذلك تلك النظرية التي قدمها ستيفنسون STEPHENSON عام 1967 التي تقوم على محتوى الاتصال والتي تقرأ «الاتصال ما هو إلا وسيلة للمتعة»، على اعتبار أن الجمهور يختار وينتقي ما يجب أن يشاهده، وأنه من غير المقبول أن الاستجابة تتم بسبب الشكل ذاته.. ذلك أن أي تقييم عادل لأداء وسائل الاتصال، يجب أن تأخذ في الاعتبار الظروف التي أحاطت بذلك الأداء.. وإلا لماذا جاء الأداء بصورة معينة دون الأخرى؟ ربما كان في الظروف سبب مقنع، أو أنه قد بدا مقنعاً للقائم بالاتصال.

المحور الثالث: الجمهور:

الجمهور ليس ـ كما يعتقد البعض ـ سلبياً، فهو لا يستجيب بشكل نمطي واحد للرسائل الإعلامية، ولكنه يأخذ ما يريده من وسائل الإعلام، ويرفض ما لا يشبع رغباته وتوقعاته حتى ولو كانت الوسيلة ساخنة كالتلفزيون. كما أن هذه الاستجابة لا تتم دون تفكير، وإنما تتشكل في ضوء الاتجاهات والقيم والمعتقدات والانتماءات والمعايير والمبادىء التي يؤمن بها. ذلك أن نوع الجمهور الذي يعتقد القائم بالاتصال أنه يوجه إليه الرسالة، له تأثير كبير على الطريقة التي يتم بمقتضاها اختيار المادة وإعدادها وطريقة تقديمها، والوسيلة التي قدمت من خلالها، ومستوى اللغة التي قدمت بها. ذلك أن الجمهور الذي يرى في الإعلام ضروباً من الانعكاسات لحاجاته، يحاول التخلص من الطوق الإعلامي نافراً منه.. إذا لم يستجب الإعلام لهذه الحاجات.

ومن هنا تظل معرفة الجمهور مسألة أساسية، كما أن معرفة آرائه حول الموضوعات والبرامج والأوقات المفضلة لديه تعتبر مسألة على درجة كبيرة من الأهمية في البحوث الإعلامية المتصلة بالجمهور. ذلك أن نجاح البرامج في جذب الجمهور إليها لا يتوقف على إعداد برامج جيدة، بل يتوقف على معرفة آراء واحتياجات الجمهور بمختلف فئاته، وذلك في الأحوال العادية التي يتمتع بها الجمهور بحرية انتقاء المضمون الذي يفضله.

المحور الرابع: القائم بالاتصال:

تمر المادة الإعلامية من مصدرها حتى وصولها إلى الملتقى بمراحل متعددة. وفي كل مرحلة هناك حراس بوابات يتخذون فيها قرارات بالنسبة لما يذاع أو ينشر فيها.

ويبرز القائم بالاتصال في مختلف المراحل التي تمر بها مادة الاتصال، ولذلك فإن دراسة القائم بالاتصال لا تقل أهمية عن دراسة الرسالة والوسيلة والجمهور.

وتعتبر دراسة ليو روستين LEO ROSTON التي أجراها في الولايات المتحدة الأمريكية عام 1937 بعنوان مراسلي واشنطن، أول دراسة تناولت قطاعاً من القائمين بالاتصال. وفي عام 1941 نشرت مجلة الصحافة التي تصدر في ولاية أيو الأمريكية دراسة عن العاملين في جريدة ملواكي بعنوان التركيب الاجتماعي والتدريب لرجال الأخبار في جريدة ملواكي THE SOCIAL COMPOSTION AND TRAINING AT THE MIL WAUKEE JOURNAL NEWS STAFF.

وفي عام 1950 نشر الباحث الأمريكي ديفيد مانج وايت D.M. WHITE دراسة عن حارس البوابة وانتقاء الأخبار THE GATE KEEPER: A CASE STUDY IN THE SELECTIONS AT NEWS..

فقد أعطت هذه الدراسة دفعة قوية للبحث في هذا المجال الهام.

ويرجع الفضل إلى عالم النفس النمساوي الأصل الأمريكي الجنسية كرت لوين KURT LEWIN في تطوير ما أصبح يعرف بنظرية حارس البوابة الإعلامية. . والتي نشرت عام 1947 بعنوان CHANNELS OF GROUPLIFE وفيها يقول لوين LEWIN أنه على طول الرحلة التي تقطعها المادة الإعلامية حتى تصل إلى الجمهور، هناك بوابات يتم فيها اتخاذ قرارات بما يدخل وبما يخرج وأنه كلما طالت المراحل التي تقطعها الأخبار حتى تظهر في وسيلة الإعلام، ازدادت المواقع التي تصبح فيها سلطة فرد أو عدة أفراد في تقرير ما إذا كانت الرسالة ستنتقل بنفس الشكل أو بعد إدخال بعض التغيرات عليها ولهذا فسلطة إدارة هذه البوابات، والقواعد التي تطبق عليها والشخصيات التي تملك بحكم عملها سلطة التقرير يصبح لها أهمية كبرى في انتقال المعلومات.

وتعتبر دراسة الدكتور يوسف مرزوق حول القائم بالأخبار في الخدمة الإخبارية في إذاعة القاهرة، والتي تقدم بها لدرجة الدكتوراه أول دراسة عربية تناولت هذا الموضوع نظرياً وتطبيقياً.

وتستهدف دراسة القائم بالاتصال العوامل التي تؤثر في القائم بالاتصال وأهمها العوامل السياسية والاجتماعية والمهنية والفنية والمادية. . والاعتبارات الذاتية والضغوط الأخرى.

وعلى الرغم من أهمية هذا النوع من الدراسات التي تشكل محوراً أساسياً في محاور منهج البحث في الإعلام، إلا أن هناك بعض الصعوبات التي تواجه هذا النوع من الدراسات، خاصة في الدول النامية وذلك للظروف التي تعمل في إطارها المؤسسات الإعلامية والصحفية. . وهي ظروف تشكل المجتمع نفسه، ونظام الدولة التي تعمل المؤسسات الإعلامية في إطاره وخاصة ما يتصل بملكية وتبعية وسائل الإعلام.

مستويات منهج البحث في الإعلام:

تتعدد مستويات المنهج في بحوث الإعلام وفقاً لطبيعة البحث ومشكلته والتساؤلات والفروض التي يسعى البحث للإجابة عليها أو التحقق منها، وصولاً إلى الهدف من إجراء البحث. .

ولما كانت أهداف البحوث الإعلامية متعددة ومتطورة، فإن من الضروري أن تتعدد وتتطور مستويات المنهج في الإعلام، وفقاً لمتطلبات تحقيق هذه الأهداف. .

ولما كان الهدف هو المقصد النهائي الذي يسعى إليه الباحث من إجراء البحث الذي يقوم به. . ولما كان المنهج هو الطريق الإجرائي الذي يعتمد عليه الباحث للوصول إلى الحقائق الجديدة. .

فإن مستويات المنهج المقترح تجمع بين الهدف والإجراء بما ينتج حرية الفكر والعمل بالأساليب والمداخل التي يمكن للباحث في مجال الإعلام استخدامها في جمع البيانات اللازمة وتصنيفها وتحليلها وصولاً إلى النتائج والتفسيرات.

وتكمن القيمة الجوهرية للبحوث الإعلامية وفقاً لمنهج البحث في الإعلام، من أنها تمكن الباحثين في هذا المجال من بناء وتكوين قاعدة معرفية، حيث تتعدد مستويات المنهج بالصورة التي تسمح ببناء دراسات وبحوث من نتائج المستوى الأول إلى تأسيس بحوث من المستوى الثاني. ومن نتائج المستوى الثاني إلى بناء بحوث من المستوى الثالث، ومن نتائج المستوى الثالث إلى بناء بحوث من المستوى الرابع الذي تشكل نتائجه مرحلة النضج والرسوخ العلمي في دراسات وبحوث الإعلام.

وعلى ذلك، فإن منهج البحث المقترح يقوم على النحو التالي:

المستوى الأول: الدراسات التفسيرية وتتضمن:

أ ــ البحوث الاستكشافية.

ب ــ البحوث التاريخية.

المستوى الثاني: البحوث التحليلية:

وهي البحوث التي تعتمد في منهجيتها على تحليل المحتوى أو المضمون كأسلوب للبحث وكأداة رئيسة لجمع البيانات والمعلومات في نفس الوقت.

المستوى الثالث: بحوث الدور:

وهي البحوث التي تجمع بين تحليل المضمون أو المحتوى كخطوة إجرائية لازمة لمعرفة طبيعة الدور، قبل إجراء المسوح الميدانية لتحديد حجم الدور. ويمكن قيام الشق الثاني من المستوى الثالث (أي الدراسة الميدانية) مستنداً إلى دراسات تحليلية سابقة، شريطة ألا يكون قد مضى على إجرائها فترة زمنية طويلة، بحيث يكون المحتوى المخضع للدراسة الميدانية لا يزال ماثلاً في أذهان مفردات العينة المختارة للدراسة الميدانية.

المستوى الرابع: بحوث الأثر:

وهي البحوث التي تختبر بعض الفروض السببية وأهمها: البحوث شبه التجريبية.. والبحوث التجريبية التي تقيم دليل الأثر في إطار التجربة، ووفقاً للأدلة الثلاثة اللازم توافرها لقيام العلاقة السببية بين المتغير المستقل والمتغير التابع.

كلمة أخيرة للمؤلف:

استجابةً لملاحظات بعض الزملاء بضرورة الإشارة إلى الكتاب الثاني الذي أنوي إصداره ـ بإذن الله ـ تحت عنوان «القياس في بحوث الإعلام» أود أن أضع أمام القارىء بعض الخطوط العريضة التي سيتضمنها الكتاب المزمع إصداره وأهمها:

* القياس: ماهيته وأهميته.
* أنواع القياس:
  القياسات الوصفية.
  القياسات الكمية.

القياسات المتقطعة.

القياسات المتصلة... الخ.

* استخدام القياس في بحوث الإعلام:

بحوث ودراسات تحليل المضمون.

البحوث والدراسات الارتباطية.

البحوث والدراسات المسحية.

البحوث والدراسات التجريبية.

وذلك بتطبيق المقاييس والمعادلات والمعاملات الإحصائية.. والمعايير الأخرى كمعايير الصدق والثبات وغيرها.

وفوق كل ذي علم عليم

المؤلف

ملحق رقم (1)

جامعة القاهرة
كلية الإعلام
قسم العلاقات العامة والإعلان

مسلسل	
رقم الحالة	
الإقليم	
المحافظة	
الرمز	

استمارة استقصاء
لبحث ميداني بعنوان
دور وسائل الإعلام المركزية في تنمية
المجتمعات المحلية في السودان

للحصول على درجة
الدكتوراه في الإعلام

إعـداد
معتصم عبد الله عثمان
المجلس القومي للبحوث بالسودان

بيانات هذه الاستمارة سرية ولا تستخدم في غير أغراض هذا البحث.

تقديم

هناك نقاش يثار، وعلى مستويات مختلفة حول الدور الذي تقوم به وسائل الإعلام المركزية في مرحلة الحكم الإقليمي في البلاد.

ويهدف هذا الاستقصاء إلى التعرف على آراء قادة الرأي في المجتمعات الإقليمية والمحلية وذلك من خلال عينة مختارة من بين أعضاء المجالس الشعبية والإقليمية بصفتهم قادة الرأي في مناطقهم.

ويثق الباحث في أنكم ستسهمون إسهاماً فعالاً بالإجابة العلمية الدقيقة بقدر الإمكان على الأسئلة التي تتضمنها هذه الاستمارة.

المرجو وضع علامة (✓) في المكان الذي يعبر عن رأيكم بالنسبة للأسئلة التي تحتها إجابات مختلفة، ووضع إجابات وافية ومختصرة على الأسئلة الأخرى.

والباحث إذ يقدم لكم الشكر سلفاً على تعاونكم معه في جمع البيانات المطلوبة يؤكد لكم حرصه الشديد على سرية هذه البيانات وتمسكه بالأمانة العلمية في استخدامها لأغراض البحث فقط.

وتفضلوا بقبول خالص الشكر والتقدير..

الباحث

بطاقــة رقــم (1)الأعمدة من 1 ـ 20 بيانات شخصية

أولاً ــ الـراديـو:

(1) هل تستمع إلى الإذاعة السودانية؟

ـ نعم (اسأل 2)	1	2
ـ لا (اسأل 21)	2	21

(2) في أي الأوقات تسمعها عادة؟

ـ صباحاً 6 ـ	1	22
9 ـ	1	23
ـ ظهراً 12 ـ	1	24
3 ـ	1	25
ـ مساءً 6 ـ	1	26
9 ـ 12	1	27

(3) ما رأيك في درجة وضوح الإرسال الإذاعي في منطقتكم؟

ـ واضح تماماً	1	28
ـ واضح	2	28
ـ إلى حد ما	3	28
ـ غير واضح	4	28
ـ لا أعرف	5	28

(4) في أي الأوقات ترى أن الإذاعة تسمع بوضوح أكثر في منطقتكم؟

ـ الفترة الصباحية	1	29
ـ فترة الظهيرة	1	30
ـ الفترة المسائية	1	31
ـ لا أعرف	1	32

(5) أي الموجات الإذاعية التالية أكثر وضوحاً في منطقتكم رتبها بحسب درجة وضوحها:

ـ الموجة	1	33
ـ الموجة المتوسطة 764	2	33
ـ الموجة المتوسطة 521	3	33
ـ الموجة القصيرة 60	4	33
ـ الموجة القصيرة 49	5	33
ـ الموجة القصيرة 31	6	33
ـ الموجة القصيرة 25	7	33
ـ لا أعرف	8	33

(6) أي من هذه البرامج تفضل سماعها من الإذاعة رتبها حسبما ترى معطياً رقم (1) للأفضلية الأولى ورقم (2) وللأفضلية الثانية وهكذا:

ـ الأغاني	1	34
ـ التمثيليات	1	35
ـ البرامج الدينية	1	36
ـ البرامج الصحية	1	37

- برامج زراعية	1	38
- البرامج الإخبارية	1	39
- البرامج السياسية	1	40
- الحفلات	1	41
- رياضية	1	42
- المنوعات	1	43
- قرآن كريم	1	44
- برامج المرأة	1	45
- البرامج التعليمية	1	46
- برامج الأطفال	1	47
- المواد الثقافية	1	48
- البرامج الإقليمية	1	49
- برامج الفئات	1	50
- برامج علمية	1	51
- الإعلانات	1	52
- أخرى تذكر	1	53

(7) هل هناك برامج لا تفضل سماعها من الإذاعة؟

- نعم (اسأل 8)	1	54
- لا (اسأل 9)	2	54

(9) لماذا لا تفضل سماعها؟

- لأنها مملة	1	55
- توقيت إذاعتها لا يناسبها	1	56
- لا تدخل في نطاق اهتماماتي	1	57
- أخرى تذكر	1	58

(10) هل تستمع إلى البرامج الإقليمية التي تقدم من الإذاعة القومية؟

- نعم	1	59
- لا (اسأل 17)	2	59

(11) ما رأيك في مدى ملائمة البرامج الإقليمية لمنطقتكم؟

- ملائمة تماماً	1	60
- ملائمة	2	60
- إلى حد ما	3	60
- غير ملائمة	4	60
- لا أعرف	5	60

(12) ما رأيك في التوقيت الذي تبث فيه البرامج الإقليمية بالنسبة لمنطقتكم؟

- مناسب	1	61
- مناسب إلى حد ما	2	61
- غير مناسب (اسأل 13)	3	61
- لا أعرف	1	61

(13) ما هو التوقيت المناسب لهذه البرامج بالنسبة لمنطقتكم؟

- صباحاً	الساعة 6 ـ	1	62
	9 ـ	1	63
- ظهراً	12 ـ	1	64
	3 ـ	1	65
- مساءً	6 ـ	1	66
	9 ـ 12	1	67

(14) ما هي أهم أسباب اختيارك لهذا التوقيت؟

- لأنها تسمع بوضوح
- لاتفاقة مع وقت فراغ غالبية المواطنين
- لمواجهة إذاعات مضادة
- أخرى تذكر

68	1
69	1
70	1
71	1

(15) هل هناك موضوعات أو برامج ترى أن المنطقة في حاجة إليها ولا تقدم ضمن البرامج الإذاعية الإقليمية؟

- نعم (اسأل 16)
- لا
- لا أعرف

72	1
72	2
72	3

(16) ما هي هذه الموضوعات؟ رتبها بحسب أهميتها بوجهة نظرك.

(17) لماذا لا تستمع إلى البرامج الإقليمية؟

- لا توجد برامج خاصة بإقليمنا
- توقيت إذاعتها لا يناسبني
- لأنها مملة
- لا تدخل في نطاق اهتماماتي
- غير ذات فاعلية
- أخرى تذكر

73	1
74	1
75	1
76	1
77	1
78	1

(18) هل ترى أن إقليمكم في حاجة إلى إذاعة محلية خاصة به؟

- نعم
- لا (اسأل 20)
- لا أعرف

79	1
79	2
79	3

(19) ما هي أهم الأسباب الداعية إلى إنشاء إذاعة إقليمية بمنطقتكم؟

ـ انتشار الأمية	1	80
ـ عدم وضوح الإذاعة القومية	1	81
ـ لحث المواطنين للمشاركة أكثر في التنمية المحلية	1	82
ـ لأن اللغة العربية غير مفهومة في منطقتنا	1	83
ـ لتعميق الشعور بالانتماء المحلي	1	84
ـ لحث المواطنين على الاستقرار	1	85
ـ أخرى تذكر	1	86

(20) لماذا لا تحبذ إنشاء إذاعة إقليمية في منطقتكم؟

ـ لوضوح الإرسال المركزي	1	87
ـ لقرب منطقتنا من العاصمة	1	88
ـ لأن البرامج المركزية كافية	1	89
ـ لأن الإذاعات الإقليمية تضعف الوحدة الوطنية	1	90
ـ أخرى تذكر	1	91

(21) لماذا لا تستمع إلى الإذاعة السودانية؟

ـ الإرسال غير واضح	1	93
ـ وقتي لا يسمح	1	93
ـ لا تضيف إليّ جديداً	1	94
ـ برامجها مملة	1	95
ـ غير موضوعية	1	96
ـ لا تواكب الأحداث	1	97

ـ لا تتفق مع ميولي واتجاهاتي	1	98
ـ هبوط مستوى البرامج	1	99
ـ أجد في غيرها ما يغنيني عنها	1	100
ـ توقيت برامجها غير مناسب	1	101
ـ لا أفهم اللغة العربية	1	102
ـ أخرى تذكر	1	103

(22) هل تستمع إلى إذاعات أجنبية؟

ـ نعم (اسأل 23)	1	104
ـ لا	2	104

(23) ما هي هذه الإذاعات رتبها بحسب درجة استماعك إليها؟

ـ القاهرة	1	105
ـ صوت العرب	1	106
ـ إذاعة الشعب	1	107
ـ إذاعة الشرق الأوسط	1	108
ـ ركن السودان	1	109
ـ لندن	1	110
ـ السعودية	1	111
ـ مونت كارلو	1	112
ـ الإذاعة الليبية	1	113
ـ صوت ألمانيا	1	114
ـ إذاعة أثيوبيا	1	115
ـ أخرى تذكر	1	116

(24) ما الذي يميزها من وجهة نظرك عن الإذاعة السودانية؟

ـ وضوح إرسالها	1	117
ـ تنوع برامجها	1	118
ـ لموضوعيتها	1	119
ـ لاتفاقها مع ميولي واتجاهاتي	1	120
ـ لمواكبتها للأحداث	1	121
ـ أخرى تذكر	1	122

(31) ما هي البرامج التي تفضل مشاهدتها في التلفزيون رتبها بحسب أهميتها من وجهة نظرك؟

ـ برامج أخبارية	1	11
ـ برامج منوعات	1	12
ـ برامج سياسية	1	13
ـ برامج إقليمية	1	14
ـ محو الأمية	1	15
ـ برامج صحية	1	16
ـ الإرشاد الزراعي	1	17
ـ برامج الأسرة	1	18
ـ برامج تعليمية	1	19
ـ برامج رياضية	1	20
ـ أخرى تذكر	1	21

(32) هل هناك برامج يقدمها التلفزيون وترى أنها لا تناسب منطقتكم؟

ـ نعم (اسأل 33)	1	22
ـ لا	2	22

(33) ما هي هذه البرامج؟

(34) ما أسباب عدم ملائمتها للمنطقة؟

ـ موضوعاتها لا تتناسب وأهتمامات مواطني المنطقة	1	23
ـ لأن ماتحتويه أعلى من مستوى إدراك المواطن العادي	1	24
ـ مواعيد بثها غير مناسب	1	25
ـ الشكل الذي تقدم فيه غير مناسب	1	26
ـ أخرى تذكر	1	27

(35) هل تشاهد برامج التلفزيون الريفي؟

ـ نعم (اسأل 36)	1	28
ـ لا	2	28

(36) هل ترى أن هذه البرامج ذات فائدة لمنطقتكم؟

ـ نعم (اسأل 37)	1	29
ـ لا (اسأل 38)	2	29
ـ لا أعرف	3	29

(37) اذكر بعض الأمثلة؟

ـ تساعد في تطوير المنطقة	1	30
ـ رفع مستوى الوعي عند المواطنين	1	31
ـ تجعلهم ملمين بأحوال المنطقة	1	32
ـ تثير فيهم الرغبة للمشاركة في التنمية	1	33

- تغير بعض العادات الضارة	34	1
- أخرى تذكر	35	1

(38) لماذا تعتقد أن هذه البرامج غير مفيدة؟

- أضعفت الترابط الأسري	36	1
- جلبت للمنطقة أفكاراً لا تناسب تقاليدنا	37	1
- لأنها غير مفهومة	38	1
- لا تعالج مشاكلنا	39	1
- طريقة تقديمها غير مناسب	40	1
- أخرى تذكر	41	1

(39) في حالة عدم وجود محطة ريفية هل ترى أن منطقتكم فى حاجة إلى قناة خاصة بها؟

- نعم (اسأل 40)	42	1
- لا (اسأل 41)	42	2
- لا أعرف	42	3

(40) أهم أسباب حاجتنا إلى قناة ريفية هي:

- الكثافة السكانية عالية	43	1
- منطقتنا لها نشاط اجتماعي كبير	44	1
- نسبة الأمية أقل من المناطق الأخرى	45	1
- عدم وصول الإرسال المركزي	46	1
- لمواجهة البث الأجنبي	47	1
- أخرى تذكر	48	1

(41) لماذا لا تحبذ إنشاء محطة ريفية للتلفزيون في منطقتكم؟

- لأنها تساعد على تفتيت الوحدة الوطنية
- السكان بطبيعتهم رحل غير مستقرين
- لا تمثل أولوية بالنسبة لمشكلات منطقتنا
- الإرسال المركزي يغني عنها
- أخرى تذكر

49	1
50	1
51	1
52	1
53	1

(42) لماذا لا تشاهد التلفزيون؟

- لا يوجد إرسال
- ليس لدي جهاز
- وقتي لا يسمح
- لا أحب مشاهدته
- أخرى تذكر

54	1
55	1
56	1
57	1
58	1

ثالثاً ــ الصحافــة:

(43) هل تصل الصحف المركزية إلى منطقتكم؟

- تصل بانتظام
- تصل أحياناً
- تصل نادراً
- لا تصل مطلقاً
- لا أعرف

59	1
59	2
59	3
59	4
59	5

(44) هل تقرأ الصحف المركزية؟

- نعم (اسأل 45)
- لا (اسأل 53)

60	1
60	2

(45) تقرأها؟

- بانتظام
- أحياناً
- نادراً

61	1
61	2
61	3

(46) متى تصلكم الصحف عادة؟

- يوم صدورها
- بعد يوم من صدورها
- بعد يومين
- بعد ثلاثة أيام فأكثر
- لا أعرف

62	1
62	2
62	3
62	4
62	5

(47) ما هي الصحف التي تود قراءتها ولا تجدها في منطقتكم؟

- الأيام
- الصحافة
- الشباب
- القوات المسلحة
- مجلة الإذاعة
- سوداناو
- أخرى تذكر

63	1
64	1
65	1
66	1
67	1
68	1
69	1

(48) ما هي الموضوعات التي تحب أن تقرأها في الصحافة المركزية، رتبها بحسب الأفضلية؟

- الأخبار
- التعليقات

70	1
71	1

- التحليلات	1	72
- المقالات	1	73
- التحقيقات	1	74
- القصص	1	75
- الإعلانات	1	76
- أخرى تذكر	1	77

(49) هل ترى أن الصحف المركزية تهتم بقضايا منطقتكم؟

- نعم (اسأل 50)	1	78
- لا (اسأل 52)	2	78
- لا أعرف	3	78

(50) اذكر بعض الأمثلة التي تعكس اهتمام الصحافة المركزية بقضايا منطقتكم؟

- تخصص لنا مساحة معقولة	1	79
- تعالج موضوعات تهم مواطنينا	1	80
- لارتفاع توزيعها في منطقتنا	1	81
- تنشر أغلب ما ترسله لها	1	82
- لها مندوب في المنطقة	1	83
- أخرى تذكر	1	84

(51) ما هي أهم أسباب عدم اهتمام الصحف المركزية بقضايا منطقتكم؟

- لا يوجد من يمثلها في منطقتنا	1	85
- لا تهتم بالمسائل الإقليمية	1	86

- غير مقروءة في منطقتنا
- لا تصل إلينا بانتظام
- ركود مجتمعنا
- أخرى تذكر

87	1
88	1
89	1
90	1

(52) لماذا لا تقرأ الصحف المركزية؟

- لا أعرف القراءة بالعربية
- لا أجدها
- غالية اليمن
- لا تهتم القضايا المواطنين
- لأنها تعكس وجهة النظر الرسمية فقط
- لا تهتم بالأحداث الخارجية
- تصلنا متأخرة
- أخرى تذكر

91	1
92	1
93	1
94	1
95	1
96	1
97	1
98	1

(53) هل هناك صحف إقليمية تصدر في منطقتكم؟

- نعم
- لا
- لا أعرف

99	1
99	2
99	3

(54) هل تقرأ الصحف الإقليمية؟

- نعم (اسأل 56)
- لا (اسأل 58)

100	1
100	2

(55) ما هي الموضوعات التي تفضل قراءتها أكثر في الصحف المحلية؟

- الأخبار المحلية
- مواد إخبارية قومية
- موضوعات اجتماعية
- موضوعات دينية
- موضوعات اقتصادية
- موضوعات ثقافية
- أخرى تذكر

101	1
102	1
103	1
104	1
105	1
106	1
107	1

(56) ما هي الصحف التي ترى أن المواطنين يقبلون عليها أكثر في منطقتكم رتبها بحسب ما تعتقده؟

- الصحف المركزية
- الصحف الإقليمية
- الصحف الأجنبية
- لا أعرف

108	1
109	2
110	3
111	4

(57) لماذا لا تقرأ الصحف المحلية؟

- لا توجد صحافة محلية
- لا تعجبني موضوعاتها
- لأسباب تتعلق بالشكل والإخراج
- لأن الصحف المركزية تغني عنها
- أخرى تذكر

112	1
113	1
114	1
115	1
116	1

(58) هل ترى أن النشرات التي تصدرها مراكز الإعلام في منطقتكم تمثل نوعاً من الصحف الإقليمية؟

- نعم

117	1

ـ لا (اسأل 60)	2	117
ـ لا أعرف	3	117

(59) ما هي أهم الأسباب؟

ـ لا يوجد مركز للإعلام	1	118
ـ يغلب على أدائها الطابع الرسمي	1	119
ـ خالية من الموضوعات الصحفية	1	120
ـ محدودة التوزيع	1	121
ـ أخرى تذكر	1	122

(60) هل تقرأ صحف غير سودانية؟

ـ نعم (اسأل 62)	1	123
ـ لا (اسأل 63)	1	123

(61) ما هي هذه الصحف رتبها حسب أفضلية القراءة؟

ـ صحف مصرية	1	124
ـ صحف سعودية	1	125
ـ صحف لبنانية	1	126
ـ صحف عربية أخرى	1	127
ـ صحف بلغات غير عربية	1	128
ـ أخرى تذكر	1	129

(62) لماذا لا تقرأ صحفاً غير سودانية؟

ـ لا أجدها في المنطقة	1	130
ـ غالية اليمن	1	131

ـ الصحف السودانية تكفيني
ـ أخرى تذكر

132	1
133	1

رابعاً ـ السينما:

(63) هل توجد دور عرض سينمائي في منطقتكم؟

ـ نعم (اسأل 65)
ـ لا (اسأل 71)
ـ لا أعرف

134	1
134	1
134	1

(64) كم عدد الدور؟

ـ دار واحدة
ـ اثنتين
ـ ثلاث
ـ أربع فأكثر

135	1
135	2
135	3
135	4

(65) هل تشاهد السينما؟

ـ أسبوعياً
ـ أحياناً
ـ نادراً
ـ لا

136	1
136	2
136	3
136	4

(66) هل تشاهد السينما المتجولة؟

ـ نعم (اسأل 68)
ـ لا

137	1
137	2

(67) ما مدى تغطية السينما المتجولة لمنطقتكم؟

ـ تغطي كل المنطقة	1	138
ـ تغطي أغلب أجزائها	1	139
ـ تغطي مناطق محدودة	1	140
ـ لا تستخدم في منطقتنا	1	141
ـ أخرى تذكر	1	142

(68) هل ترى أن الأفلام السينمائية التي تعرض في منطقتكم تلائم المجتمع؟

ـ نعم	1	143
ـ إلى حد ما	2	143
ـ غير ملائمة (اسأل 70)	3	143
ـ لا أعرف	4	143

(69) يرجى ذكر بعض الأسباب؟

ـ لغتها غير مفهومة	1	144
ـ تتعارض مع ثقافتنا	1	145
ـ لأن الأفلام التي تعرض قديمة	1	146
ـ غالبية الأفلام أجنبية	1	147
ـ لأنها لا تعرض بانتظام	1	148
ـ طبيعة عمل غالبية السكان لا تتيح لهم وقتاً لمشاهدة السينما	1	149
ـ أخرى تذكر	1	150

(70) ما هي الأسباب التي ترى أنها حالت دون وجود دور السينما في منطقتكم؟

- لا يوجد تيار كهربائي	1	151
- المجتمع لا يرغب في وجودها	1	152
- لم يفكر أحد في افتتاح دار	1	153
- أخرى تذكر	1	154

خامساً ــ وسائل أخرى:

(71) من بين وسائل الإعلام المركزية التالية بين ما يستخدم في منطقتكم رتبها بحسب درجة الأهمية التي ترونها؟

- المعارض	1	155
- الكتيبات	1	156
- الملصقات	1	157
- النشرات	1	158
- أخرى تذكر	1	159

(72) هل ترى أن هناك وسائل أخرى تحتاجها منطقتكم ولا تستخدم فيها؟

- نعم (اسأل 74)	1	160
- لا	2	160
- لا أعرف	3	160

(73) ما هي هذه الوسائل؟

بطاقـة رقـم (3)

سادساً ـ ملائمة الوسائل للمجتمعات المحلية

(74) أي من هذه الوسائل ترى أنها أنسب لمنطقتكم؟ رتبها بحسب ما تعتقده معطياً رقم (1) لأكثرها أهمية ورقم (2) الأهمية التالية وهكذا:

ـ الصحف اليومية	1	1
ـ الإذاعة المركزية	1	2
ـ التلفزيون المركزي	1	3
ـ التلفزيون الريفي	1	4
ـ دور السينما	1	5
ـ الصحف الأسبوعية	1	6
ـ الصحف الإقليمية	1	7
ـ الإذاعات الإقليمية	1	8
ـ السينما المتجولة	1	9
ـ المعارض	1	10
ـ الكتيبات	1	11
ـ الملصقات	1	12
ـ النشرات	1	13
ـ مكبرات الصوت	1	14
ـ أخرى تذكر	1	15

(75) ما هي أهم الأسباب الداعية لهذا التفضيل؟

-

-

(76) هل ترى أن هناك تنسيقاً بين ما يقدم من خلال وسائل الإعلام المركزية ومراكز الإعلام الإقليمية؟

- نعم (اسأل 78)
- لا (اسأل 79)
- لا أعرف

16	1
16	2
16	3

(77) ما هي في رأيك أهم مظاهر هذا التنسيق؟

- أن الخطة الإعلامية واحدة
- أداؤها يكمل بعضها
- الأنماط المحلية تفسر ما تقدمه الوسائل المركزية
- أخرى تذكر

17	1
18	1
19	1
20	1

(78) أهم أسباب عدم التنسيق؟

- عدم وجود خطة
- تناقض ما تقدمه الوسائل المركزية مع ما تقدمه الوسائل المحلية
- الوسائل المحلية تعكس النشاط الرسمي فقط
- أخرى تذكر

21	1
22	1
23	1
24	1

(79) هل ترى أن الأداء الحالي لوسائل الإعلام يتفق ويواكب مرحلة التنمية التي تمر بها البلاد؟

- نعم (اسأل 81)
- إلى حد ما
- لا (اسأل 82)
- لا أعرف

25	1
35	2
25	3
25	4

(80) اذكر بعض الأمثلة؟

-

-

(81) ما هي أهم الأسباب من وجهة نظركم؟

- الوسائل لا تصل إلينا	1	26
- مواطنونا لا يميلون للتعرض لها	1	27
- عدم استقرار السكان	1	28
- بسبب الفهم الخاطىء لما تقدمه الوسائل	1	29
- لأنها تثير التطلعات أكثر من اللازم	1	30
- لانتشار الأمية	1	31
- أخرى تذكر	1	32

سابعاً ــ الدور الوطني:

(82) هل ترى أن وسائل الإعلام المركزية تلعب دوراً إيجابياً في تعميق الوحدة الوطنية؟

- نعم (اسأل 84)	1	33
- إلى حد ما	2	33
- لا (اسأل 85)	3	33
- لا أعرف	4	33

(83) ما أهم ملامح ذلك الدور؟

- يقوى الشعور بالانتماء للوطن الواحد	1	34
- تقلل من النزاعات الإقليمية	1	35
- يحقق انتشار لغة الدولة	1	36

- تساعد على محاربة العادات الضارة	1	37
- سهولة تصميم برامج واحدة	1	38

(84) ما هي أهم الأسباب في رأيك؟

- قصور الخلط	1	39
- لا تهتم بالقضايا القومية	1	40
- لتعارض ما تبثه مع ما تبثه الوسائل المحلية	1	41
- لغتها غير مفهومة	1	42
- لأسباب تتعلق بالجوانب الفنية والتنظيمية	1	43
- تقديمها للموضوعات يتم بأسلوب تقريري	1	44
- أخرى تذكر	1	45

(85) هل ترى أن إنشاء وسائل إعلام محلية كالإذاعة والصحافة الإقليمية يساعد على:

- تعميق الوحدة الوطنية	1	46
- توسيع الفجوة بين الأقاليم	2	46
- لا أعرف	3	46

(86) ما هي مظاهر توسيع الفجوة بين الأقاليم في أداء وسائل الإعلام الإقليمية؟

- لأنها ستهتم فقط بالقضايا المحلية	1	47
- ستكون مسموعة أكثر من المركزية	1	48
- ستبث بلهجات محلية	1	49
- لانخفاض الوعي المحلي	1	50
- ستستغل لأغراض غير قومية	1	51

- ستقوى من النعرات القبلية	1	52
- أخرى تذكر	1	53

(87) هل ترى أن أداء وسائل الإعلام المركزية الحالي يسهم في خلق المواطن المدرك المشارك في قضايا التنمية؟

- نعم (اسأل 89)	1	54
- إلى حد ما	2	54
- لا	3	54
- لا أعرف	4	54

(88) أي هذه المجالات ترى أن وسائل الإعلام المركزية تهتم بها أكثر من غيرها رتبها بحسب ما ترى؟

- نشر الوعي الصحي	1	55
- تعميق الإحساس بقضايا الوحدة الوطنية	1	56
- تغيير الأنماط التقليدية في السلوك والعادات	1	57
- قضايا الأسرة والأمومة والطفولة	1	58
- الاهتمام بالقضايا المحلية	1	59
- نشر الوعي بقضايا المهن	1	60
- محو الأمية	1	61
- اكتساب مهارات جديدة	1	62
- نشر الإرشاد الزراعي	1	63

(89) أي الوسائل ترى أنها تسهم إيجابياً أكثر من غيرها؟

- الإذاعة	1	64
- التلفزيون	1	65

ـ الصحف	1	66
ـ السينما	1	67
ـ أنماط اتصال محلية	1	67
ـ أخرى تذكر	1	69

(90) هل ترى أن أداء مراكز الإعلام الإقليمية الحالي يحقق التوعية والتغيير الاجتماعي في منطقتكم؟

ـ نعم بصورة مرضية (اسأل 92)	1	70
ـ إلى حد ما	2	70
ـ لا يحقق شيئاً (اسأل 93)	3	70
ـ لا أعرف	4	70

(91) ما هي مظاهر الصورة المرضية لأداء مراكز الإعلام الإقليمية في تحقيق التوعية في منطقتكم:

ـ وجود خطة واضحة	1	71
ـ جدية البرامج التي تقدم	1	73
ـ تفاعل المراكز مع القضايا التي تهم المواطنين	1	74
ـ إقبال المواطنين على البرامج اتي تقدمها مراكز الإعلام	1	74
ـ أخرى تذكر	1	75

(92) ما هي أهم أسباب عدم تحقيق مراكز الإعلام الإقليمية للتوعية والتغيير الاجتماعي؟

ـ لا توجد مراكز إعلام كافية	1	76
ـ أسباب تتعلق بالخطط (وجودها ووضوحها)	1	77

- انصراف المواطنين عن برامجها
- اهتمامها بالمسائل الرسمية أكثر من الاجتماعية
- بسبب القصور في إمكاناتها
- قلة كفاءة العاملين بها
- أخرى تذكر

78	1
79	1
80	1
81	1
82	1

ثامناً ــ الرأي العام:

(93) هل ترى أن وسائل الإعلام المركزية تقوم بإجراء البحوث لمعرفة آراء المواطنين حول أدائها؟

- نعم (اسأل 95)
- لا
- لا أعرف

83	1
83	2
83	3

(94) ما هي الوسائل التي ترى أنها تهتم ببحوث المستمعين رتبها بحسب ما تعتقده:

-
-

(95) هل ترى أنها تهتم بنتائج هذه البحوث؟

- نعم
- إلى حد ما
- لا (اسأل 97)
- لا أعرف

84	1
84	2
84	3
84	4

(96) ما أهم الأسباب من وجهة نظرك؟

ـ لا توجد خطة	1	85
ـ المسؤولين عنها لا يهتمون بالبحوث	1	86
ـ لا تستخدم الأسلوب العلمي	1	87
ـ لقصور في الإمكانات	1	88
ـ لا يوجد متخصصون	1	89
ـ أخرى تذكر	1	90

(97) هل ترى أن مراكز الإعلام الإقليمية تسعى لمعرفة آراء المواطنين حول القضايا التي تهتم مناطقهم؟

ـ نعم	1	91
ـ لا	2	91
ـ لا أعرف	3	91

تاسعاً ــ أهم المقترحات:

(98) ما هي في نظركم أهم المقترحات التي ترونها حتى يكون أداء وسائل الإعلام المركزية أكثر فاعلية للمجتمعات المحلية؟

ـ

ـ

(99) ما هي أهم المقترحات التي ترونها لتطوير أداء مراكز الإعلام الإقليمية في هذه المرحلة؟

ـ

ـ

تابـع بطاقـة رقـم (1)

بقية بيانات مطلوبة لأغراض إحصائية بحتة

أولاً ــ بيانات عامة:

1 ـ اسم الإقليم. . . .

2 ـ المحافظة

3 ـ المدينة

ثانياً ــ بيانات شخصية للمبحوث:

4 ـ النوع

ـ ذكر

ـ أنثى

1	1
1	2

5 ـ العمر لأقرب سنة

ـ أقل من 30

ـ 30

ـ 40

ـ 50

ـ 50

ـ 60 فأكثر

2	1
2	1
2	2
2	3
2	3
2	5

6 ـ الحالة الاجتماعية:

ـ أعزب

ـ متزوج

ـ مطلق

ـ أرمل

3	1
3	2
3	3
3	4

7 ـ التعليم:

4	1
4	2
4	3
4	4
4	5
4	6

ـ فوق الجامعي
ـ جامعي
ـ ثانوي
ـ أوسط
ـ ابتدائي
ـ لم يتعلم

8 ـ المهنة:

5	1
6	1
7	1
8	1
9	1
10	1
11	1
12	1
13	1

ـ مواظف
ـ عامل
ـ مزارع
ـ تاجر
ـ أعمال حرة فني
ـ مهني
ـ جندي
ـ خالي عمل
ـ أخرى تذكر

ـ الدخل الشهري لأقرب فئة:

13	1
13	2
13	3
13	4
13	5

ـ أقل من 100 جنيه
ـ 100
ـ 200
ـ 300
ـ 400 فأكثر

10 ـ مكان الإقامة:

ـ

ـ

11 ـ الاسم (اختياري)

12 ـ العنوان (اختياري)

13 ـ الموقع الاجتماعي:

ـ عضو مجلس شعب

ـ عضو مجلس محلي

ـ نقابي

ـ ديني

ـ عضو نادي

ـ أخرى تذكر.

استمارة تحليل مضمون لعينة من البرامج الثقافية

في الإذاعة المرئية

اسم البرنامج — تاريخ عرض البرنامج

معد البرنامج — يوم عرض البرنامج

مقدم البرنامج — وقت عرض البرنامج

مخرج البرنامج — مدة عرض البرنامج

إعداد الباحث

تحت إشراف

فئات التحليل

فئات التحليل الكمي ⟵⟶ ماذا قيل ؟

فئات التحليل الأساسية	فئة الموضوع	فئة أهداف المادة	فئة الجمهور المستهدف		ملاحظات خاصة بفئة التحليل الكمي
فئات التحليل الفرعية			خاص	عام	
%	%	%			

فئات التحليل الكيفي ⟵⟶ كيف قيل ؟

صفة اللغة			من شكل تقديم المادة	من العالمة المهمة			ملاحظات خاصة بفئة التحليل الكيفي
مقدم البرنامج	آخرون	سائر	خبير مباشر	مادة مهمة	سبب الترتيب	المساعدات	
			%	%	%	%	



استمارة جمع بيانات حول أماكن تواجد الصحف الليبيّة المعنيّة بالدراسة والأعداد المتوفرة منها

إعداد الباحث : كمال عبد الباسط الوحيشي
تحت إشراف : د. السيد أحمد مصطفى عمر

اسم الصحيفة : ____________ الصفة : ____________ العطلة الرسمية : ______
مكان الصدور : ____________ عدد الصفحات : ____________
تاريخ الإصدار : ____________ تاريخ التوقف : ____________ السنة

الشهر	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14	15	16	17	18	19	20	21	22	23	24	25	26	27	28	29	30	31
يناير																															
فبراير																															
مارس																															
ابريل																															
مايو																															
يونيو																															
يوليو																															
اغسطس																															
سبتمبر																															
اكتوبر																															
نوفمبر																															
ديسمبر																															

المصادر : ● دار الكتب الوطنية ◪ مركز جهاد الليبيين ❖ السرايا الحمراء ◆ المكتبة المركزية ○ دار الجماهيرية للنشر ◎ اشخاص عاديين

ملاحظات

ملحق رقم -3-

محتويات الكتاب

الموضوع | الصفحة

رقم الإيداع 1622 / 94
دار الكتب الوطنية ـ بنغازي

